العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

ج٥ و٦ س ٥٧

ذو القعدة وذو الحجة ١٤٤٢هـ

حزيران-تموز/يونيو-يوليو ٢٠٢١م

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية

في هذا العـــــــــدد

- الحذف وتعدد المعنى في النص القرآني
  د. إبراهيم عبدالفتاح رمضان
- قراءة لُغويَّة في ديوان الزمن الأخضر
  د.محمد جمعة الدَّربيّ
- نصوص سقطت من تحقيق كتاب الدُّرّ الفريد وبيت القصيد
  د. عبد الرَّازق حويزي
- من انتسب إلى وظيفته أو مهنته من علماء الأندلس
  د.محمود أحمد هدية
- نقد الشِّعرالصقلّي قديمًا
  أ. د. نزار شكور شاكر
- بريد العرب: مصادر الهَمْداني عن قبيلة حرب
  سلطان الحربي

arab@hamadaljasser.com

العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء الخامس والسادس – السنة ٥٧

ذو القعدة وذو الحجة ١٤٤٢ هـ

حزيران- تموز/يونيو -يوليو ٢٠٢١م

رئيس التحرير

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخراشيّ

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. أسعد بن سليمان بكر عبده

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع

أ. د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق

مدير التحرير

أ. هارون بن فهد العتيبي

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ – شارع أبي دجانة – حي صلاح الدين – وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ – ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) – **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر – حي الورود – الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ – المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) – **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة في ملف (word) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

رد مد (ISSN) : ۲۶۷۱- ۱۳۱۹

الفهرس

الحذف وتعدد المعنى في النص القرآني	د. إبراهيم عبدالفتاح رمضان	٣٥٣
قراءة لُغويَّة في ديوان الزمن الأخضر	د.محمد جمعة الدَّربيّ	٤١٣
نُصُوصٌ سَقَطَتْ مِن تَحْقِيقِ كِتَابِ الدُّرِّ الفَرِيدِ وَبَيتِ القَصِيدِ	د. عبد الرَّازق حويزي	٤٣٧
من انتسب إلى وظيفته أو مهنته من علماء الأندلس	د.محمود أحمد هدية	٤٦٩
نقد الشِّعرالصقلِّي قديمًا	أ. د. نزار شكور شاكر	٤٩٥
بريد العرب: مصادر الهَمْداني عن قبيلة حرب	سلطان الحربي	٥١٥

الحذف وتعدد المعنى في النص القرآني

د. إبراهيم عبد الفتاح رمضان

يُعدّ المعنى نقطة الالتقاء الحقيقية التي تلتقي عندها العلوم اللغوية بل علوم أخرى غير لغوية؛ وذلك لأنه هو الغاية لتلك العلوم، والشيء الذي تهدف للوقوف عليه، ومن ثم ظهر علمٌ قائم بذاته لدراسة المعنى، وكيفية الوصول إليه، والكشف عنه، والأدوات والإجراءات اللازمة له، وتوظيف العلوم الأخرى في تلك المهمة، ذلك هو علم الدلالة؛ العلم الذي تعددت تعريفاته، واختلفت فيما بينها اختلافات يجمعها كلها الاتفاق على أن المعنى هو الهدف والغاية من ذلك العلم، وهو ماصرح به عديد من تعريفات علم الدلالة؛ فيقول الدكتور أحمد مختار عمر عنه في كتابه علم الدلالة: "هو العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى[١]، ويقول في موضع آخر: «علم الدلالة هو العلم الذي يبحث في معاني الألفاظ»[٢] ومن قبل هذا وذاك نجد تعريفًا للدلالة ينقله الدكتور عبد الفتاح البركاوي عن الجاحظ، إذ يعتبر الجاحظ البيان والدلالة شيئًا واحدًا فيقول عنهما: «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل» [٣]، وهناك تفصيل في هذا الأمر أشار إليه الدكتور البركاوي –رحمه الله – ودل عليه [٤].

ومفـاد الأمر وخلاصـته أن المعنى كان قطب رحى التعريفات التي انصـبّت تعرّف علم الدلالة، فلا يكاد يخلو واحد منها منه، أو من الإشارة إليه - تصريحًا أو تلميحًا - سواء كان التعريف قديمًا أو حديثًا.

ولا يُستند في الكشف عن المعنى إلى علم واحد فقط، ولا يُستغنى عن أيّة أداة لغوية في الوصـول إليه، بل علم دراسـة المعنى أو علم الدلالة يتطلب فيما يتطلب أدوات كثـيرة، فالـدلالي يوظف علم الأصـوات والصـرف والنحـو (التراكيب) والبلاغة، وغيرها من علوم أخر في سـبيل الوصول إلى المعنى المتضمن في النص المقصود بالدرس والتحليل.

وإذا كانت الدوال اللغوية، وما تدل عليه هي مناط بحث علم الدلالة فإنا نعدُّ الحـذف من هـذه الدوال، إذ يكون له ما يكون من دلالات يدل عليها في المواضـع الوارد فيها، وحسـب السياق المضـمن فيه ذلك الحذف. لكن فارقًا ما بينه وبين الـدوال اللغويـة الأخرى إذ إنه دالٌّ لغـويّ راقٍ؛ لأنه يدخـل في معظم أحايينه في الدلالـة البلاغية، أو البعد البلاغي مبتعـدًا عن المعنى اللغوي المجرد، أو الدلالة المعياريـة التقريرية المجـردة من الجماليات البلاغية، ومثلـه مثل غيره من تلك الدوال كالتنغيم، والإطناب، والفصـل والوصـل، والتقديم والتأخير، والالتفات، فهذه كلها في حقيقتها دوالٌّ تدل على معان، لكن معانيها هي ما يطلق عليه معنى المعنـى، ونحن نعرض هنا لدلالة الحذف ومـا يمكن أن يترتب عليـه من معانٍ، بوصـفه دالًّا مـن تلك الدوال المحملة بالمعنـى، ونُذَكِّر في هذا المقـام بما نوّه إليه الدكتـور تمام حسـان في كتابه البيـان في روائع القرآن إذ يقـول: «إذا قلنا إن في أسـلوب القرآن حذفًا فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن، وإنما ننسبه إلى تركيب اللغة»[٥].

المبحث الأول:

تعدد المحذوف وأثر تعدد التقدير في ثراء المعنى القرآني.

تمهيد:

من أوجه إعجاز القرآن تحمُّله كثيرًا من المعاني والوجوه، وفي الحديث الشريف «القرآن ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه»[٦] ويعلق الزركشي على هذا الحديث في البرهان بقوله (ذو وجوه) فيقول: «وقوله: (ذو وجوه) يحتمل معنيين: أحدهما أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهًا من التأويل، والثاني: أنه قد جمع وجوهًا من الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، والتحليل والتحريم، وقوله (فاحملوه على أحسن وجوهه) يحتمل أيضًا وجهين: أحدهما: الحمل على أحسن معانيه، والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص، والعفو دون الانتقام، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله»[٧].

ففي كلام الزركشي ما يمكن وصفه بالتعدد في المعنى. والقرآن الكريم ليس على درجة واحدة، ففيه أساليب يفهمها العامة والخاصة، وأساليب تحتاج إلى تدبر وتفهم، لايدركها إلا الخاصة ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص ٢٩]، ومن خلال هذا السعي الدائب من علماء التفسير، وعلماء اللغة عمومًا بدأ إعمال العقل في آيات القرآن لتقليبها على أوجهها الممكنة في حدود ما تسمح به قواعد اللغة العربية منشئة للآية الواحدة أكثر من معنى من خلال اعتبارات مختلفة، فحين يأتي في الكلام ضمير يمكن عوده على أكثر من كلمة يحدث تعدد المعنى كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ﴾ [النساء: ٥٥]. ففي مرجع الضمير في (به) ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يعود إلى ما أنزل الله على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–. قاله مجاهد [٨]... والثاني: أنه يعود إلى النبي –صلى الله عليه

وسلم-... والثالث: أنه يعود إلى النبأ عن آل إبراهيم. قاله الفراء [٩] فاختلاف مرجع الضمير أعطى كل تقدير معنى يختلف عن غيره.

وقد يكون تعدد المعنى راجعًا إلى الوقف والابتداء، ومن ذلك ما قرأ به نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [١٠] [آل عمران ١٤٦] من جَعْلِهم الفعل (قاتل) غير دال على المفاعلة (قُتل) بالبناء للمفعول فلو وقف على "قُتِلَ" كان المعنى وجود ربيين يبلغون دعوته بعد قتله، ولو وصلت الآية كان المقتولُ الربيين، فالوقف قد غيّر المعنى بل قَلَبَه.

وقد يكون من أسباب تعدد المعنى اختلاف القراءة وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى دليل، حيث هذه القراءة تفيد معنى، والقراءة الأخرى تفيد معنى آخر.

فالآية السابقة شاهد على ما نقول، فالاختلاف في (قاتل وقتل) يؤدي إلى اختلاف في المعنى، فـ"قاتل" تفيد مفاعلة واشتراكًا في الجهاد والنضال لنصرة الدين، و"قتل" تفيد أنهم قضوا نحبهم دفاعًا عن دينهم وفَرْقٌ بين الأمرين كبير، ومن أسباب تعدد المعنى اختلاف التقدير للمحذوف، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] فيمكن تخريج الآية على أربعة أوجه:

١. القول بعدم الحذف.

٢. حذف مضاف من المبتدأ؛ أي: مثل داعي الذين كفروا.

٣. الحذف من الخبر؛ أي: كمثل بهائم الذي ينعق.

٤. الاحتباك، وهو الحذف من المبتدأ والخبر معًا (وسيأتي الحديث عن الاحتباك فيما بعد).

وكل تقدير من هذه التقديرات يجعل للكلام معنى مختلفا وسيأتي الحديث عن ذلك كله.

ومما سبق لاحظنا أن تعدد المعنى له أسباب منها:

١. اختلاف مرجع الضمير.

٢. الوقف والابتداء.

٣. اختلاف القراءة.

٤. اختلاف تقدير المحذوف [١١].

وما دام حديثنا عن الحذف فإننا سنكتفي بما يناسب الموضوع فنبدأ بتعريف تعدد المعنى.

تعدد المعنى: هو أن يحتمل التركيب أكثر من معنى في القراءة الواحدة والسياق الواحد، قد يرجح أحدها على الباقي، وقد يتساوى الجميع في احتمال القصد والإرادة، ولكن الذي لا يكون هو أن يتعين أحدها وينعدم الباقي[١٢]. ولهذا التعريف قيود ففي قولنا (في القراءة الواحدة) احتراز من اختلاف القراءة كما مثلنا من قبل في (قتل – قاتل)، وخرج بقولنا: السياق الواحد: الوجوه والنظائر، لأن العبارة قد تدل على معنى في سياق وتدل على معنى مخالف في سياق آخر، ونمثل بقوله تعالى ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [فصلت ٤٠]، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم- في أهل بدر «إن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم»[١٣] فعبارة: "ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ" مشتركة في التعبيرين لكن هناك فرقًا كبيرًا بينهما في الدلالة إذ الأولى تهديد ووعيد، والثانية قرة عين ورحمة وتلطف؛ لأن السياق هو الذي أدى إلى هذه الدلالة[١٤].

وبهذين القيدين وجب أن نضع لتعدد المعنى ضوابط تضبطه فيما نحن بصدده حتى يمكن أن نقول: إن في هذا الأسلوب تعددَ معنى:

١- اتحاد القراءة، بحيث تصبح الصيغة اللفظية للتركيب واحدة؛ لأن الاختلاف في القراءة لا يدخل معنا – هنا – فمن الطبيعي أن يتغير التركيب تبعًا لتغير القراءة، ولو في حركة قد تغيرت، فحين نقرأ: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (برفع يكونُ كما في قراءة حفص) يكون المعنى فهو يكون [١٥] وحين ننصبها يختلف المعنى، وإن كان البعض خطّأ ابن عامر في هذه القراءة مع أنها رواية متواترة [١٦].

٢ – ثبات السياق اللفظي، بحيث ينظر إلى التركيب في سياق الآية الواحدة دون مقارنتها بآية أخرى أو سورة أخرى فيما يعرف بالمتشابه، أو متشابه النظم القرآني، وفي ضوء هذين القيدين نسير في دراسة أثر الحذف في تعدد المعنى. وقد وجدت أن هناك آيات قد اتفق العلماء من لغويين ومفسرين وبلاغيين على أن فيها حذفًا قد نتج عنه تعدد في المعنى، ووجدت آيات أخرى يكون الحذف فيها أحد الأوجه الممكنة لتعدد المعنى، وتكون الوجوه كلها مقصودة لكن قد يتغلب أحدها على الآخر فخصصت كل واحد من الأمرين السابقين بمبحث خاص، وإن عملي في هذا المبحث أن أوضح الأوجه الممكنة في تقدير المحذوف، ثم أناقش هذه الوجوه لأبين كيف يكون التقدير مؤثرًا في المعنى وأزيد ترجيح أحد الأوجه على الباقي، بيد أنه ليس معنى ترجيح وجه إلغاء الأوجه الأخرى الممكنة.

ونبدأ بالمبحث الأول حيث تكون الأوجه الممكنة قائمة على الحذف:

تعدد المحذوف

وأثر تعدد التقدير في ثراء المعنى القرآني

أولًا: أثر الحذف في تعدد المعنى في الجملة الفعلية:

وقد بدأنا بالجملة الفعلية؛ لأنها بسيطة تتكون من فعل (هو المسند) وفاعل هو (المسند إليه) ومكملات وهي (المتعلقات) ونبدأ بالترتيب المذكور.

(أ) حذف المسند (الفعل):

ومن ذلك قول الله تعالى ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗا﴾ [البقرة:٢٣٨] ذكر المفسرون أن "فرجالا" حال من محذوف تقديره (فصلوا رجالا) [١٧] وذكر أبو حيان[١٨] وتبعه تلميذه السمين الحلبي[١٩] أن "فرجالا" منصوب على الحال، والعامل فيه محذوف تقديره (فصلوا رجالا)، أو (فحافظوا عليها رجالا)، وهذا أولى؛ لأنه من اللفظ الأول[٢٠] فالحذف هنا وسع دائرة التقدير، بل أدى إلى تعدد المعنى، وقد رجح أبو حيان قوله (فحافظوا) على (فصلّوا) وعلل بتعليل نحوي. بيد أن هذا الكلام لا يستقيم، فالتقدير الذي سار عليه المفسرون غير أبي حيان والسمين أولى لأمرين:

١. أن تقدير أبي حيان يفيد المحافظة عليها (رجالا) وهذا لا يستقيم من حيث المعنى؛ لأن الأصل أن صلاة الحرب تصلى جماعة بالهيئة التي ذكر الله في سورة النساء، ولا يلجأ إلى هذه الطريقة التي تصلى عليها فرادى إلا عند شدة الحرب بحيث يتعذر صلاتها جماعة فكيف تكون المحافظة عليها كذلك؟

٢. أن تقدير العامل (فحافظوا) يستلزم متعلقا آخر (جارا ومجرورا)

أي: فحافظـوا عليها، وحذف عامل واحد متعدٍّ أولى من تقدير عامل مع متعلق؛ لأن الحذف خلاف الأصل.

ومن خلال ما سـبق تبـين أن هناك تعددًا في المعنى عند أبـي حيان إذ يفيد معنـى الآية (فإن خفتم فصـلوا رجالا أو ركبانًـا) أو (فإن خفتم فحافظوا عليها رجالا أو ركبانا) وما من شـك أن التقدير الأول أبرّ بالمعنى، ويصبح الحذف هنا مسـلّطًا الضوء على الحال التي تصـلى عليها، وليس على العامل؛ فالنصب فيها لتتسـع دائرة التقدير، ومن رحمة الله بعباده أنه لم يلزمهم بالجماعة في الخوف الشديد والحرب الطاحنة.

ولعلنـا نحس من خلال حذف الفعل وفاعله سـرعة الدلالة على المقصـود، ذلـك أن الآيـات حديث عن الصـلوات والحفاظ عليها «ولعل هـذا ما حدا بأبي حيـان أن يقـدر "فحافظوا"؛ ليكون المحذوف من جنـس المذكور، ومما هو مقرر عنـد النحـاة أنَّ الأصـل أنْ يكون المحذوف مـن جنس المذكور مهمـا أمكن، وقد تخـترق القاعدة كما في هذه الآية أو في غيرها»[٢١] والآية التي معنا اسـتثناء من القاعدة العامة: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) والاستثناء لا يكون أصـلًا؛ ذلك أن صلاة الخوف هي الاستثناء وعند الخوف يصلي المسلم على أية حال -مترجلًا أو راكبًا- فالحذف أفاد مسارعة إلى المذكور. ولو قلنا: إنه احتراز عن العبث أيضًا لم نبعد؛ لأن الآية في سياق الصلاة والحفاظ عليها فحين حذف الفعل وفاعله (المسـند) فُهِمَ من السـياق. وإن كان لا يعجبني تطبيق هذا السـر الـذي ذكره البلاغيون للحذف "الاحتراز عن العبـث" على القرآن الكريم؛ فأنا أرى أن القرآن نزل على أعلى درجة من البلاغة والفصاحة، ولا مكان فيه للعبث إن غُـيِّر التعبير، أو جـيء بالمحذوف، ولا مكان كذلك للاحـتراز عن العبث حتى لايسبق للوهم أن العبث قد يسند إلى الله، أو ينفى عن كلامه تعالى.

ومـن أمثلة تعدد المعنى من خلال حذف الفعـل قوله تعالى ﴿وَقَـالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقـرة: ٢٨٥] وسـياق الآيـة يتضـح مـن سـبب نزولها، روى العلاء عـن أبيه عن أبي هريرة قال: لمـا أنزل الله تعالى ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ اشـتد ذلـك على أصـحاب النبي -صـلى الله عليه وسلم – فأتوا رسـول الله ثم جثوا على الركب فقالـوا: قد أُنزل عليك هذه الآيـة، ولا نطيقها، فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سـمعنا وعصينا؟ قولوا: ﴿سَـمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡـكَ ٱلۡمَصِـيرُ﴾ فلما قالوها، وذلّت بها ألسـنتهم أنـزل الله في إثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[٢٢]". وسـبب النزول واضـح في أن هذا لجوء وتضـرع لله أنْ يكـون قد عاقبهم ببعض ذنوبهم، وقد أرشـدهم الرسـول إلى ما يجـب عليهم أن يفعلـوه، أو يقولوه بعد أن حذرهم أن يكونـوا كأهل الكتاب، ومن هنا صـدر هذا الدعاء ﴿سَـمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وقد قدم السـمع على الطاعـة؛ لأن الأوامـر والتكليفات مقدمة في سـماعهم على الطاعة فيها، وقد حذف مفعولها؛ لبيان ثبوت السـمع والطاعة في أنفسهما دون نظر إلى متعلقهمـا؛ إذ التقدير: سـمعنا قولك، وأطعنا أمرك مثلًا فهي دعوة إلى السـمع والطاعة لكل ما جاء به الوحي الأمين والرسول الكريم، فهو إيقاع للسمع والطاعة ثم (غفرانك) مصدر سد مسدَّ فعله، وانتصب بالفعل المحذوف.

قال الزمخشـري: «منصـوب بإضـمار فعله يقال: غفرانك لا كفرانك؛ أي: نسـتغفرك ولا نكفرك»[٢٣] قال السـمين: «فقدره جملـة خبرية وهذا ليس مذهب سيبويه، إنما مذهبه تقدير ذلك بجملة طلبية كأنه قيل: اغفر غفرانك» [٢٤].

فالمعنى على قول الزمخشـري: نستغفرك غفرانك، وعلى رأي سيبويه: اغفر غفرانـك، وتقديـر الجملة الطلبية أولـى؛ لأنها أدلّ على المعنى، وهي تفيد شـدة

الضـراعة لله، والمعنى بالحذف أحسـن من ذكر الفعل؛ لأنه واجب حذف العامل فلا يقال: إن «نسـتغفرك» يفيد الاسـتمرار؛ لأننا نتفق أن المحذوف إذا ذكر نزل بمنزلة الكلام، وأن الأكثر في مثل هذه الأساليب تقدير الجملة الطلبية؛ لأن إنشاء طلب المغفرة أحسـن من الإخبار بها، ولأن سَـبْقَ المصدر بفعلين ماضيين يفيدان الامتثال التام يمهّد لطلب المغفرة، فهو توسـل بالعمل الصالح لطلب المغفرة، كما يؤكد ذلك سبب نزول الآية. إن كلمة (غفرانك) مسبوقة باستسلام عام وخضوع لأمر الله، وبالتالي تأتي «غفرانك» معلنة خشوع القلب لطلب المغفرة.

ومـن أمثلة تعدد المعنى من خلال حذف الفعل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامـة: ٣، ٤] ذكر المفسـرون في نصـب «قادرين» أنها حال، وعاملها محذوف تقديره: «بلى نجمعها قادرين»، وهـذا تقدير سـيبويه لهـا[٢٥]، وقدّر الفراء: "بلى ليحسـبنا قادريـن"[٢٦] وذكر القرطبي[٢٧] والسمين[٢٨] أن "قادرين" منصوب على أنه خبر كان المضمرة أي: كنا قادرين في الابتداء. فحَذْفُ الفعل هنا أتاح الفرصة لكي يُقَدِّرَ كل واحد ما يراه صوابًا، فتعدد المعنى بسبب الحذف، فعلى مذهب سيبويه يكون المعنى: (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى نجمعها ونحن قادرون على ذلك)، وعلى مذهب الفراء: (أيحسب الإنسـان أن لن نجمع عظامه بلى ليحسبنا قادرين على تسوية بنانه)، وعلى مذهب القرطبي والسـمين يكون المعنى: (أيحسـب الإنسـان أن لن نجمـع عظامه بلى كنا قادرين في البدء على تسـوية بنانـه). والرأي الأول أولى؛ لأنه صـحيح المعنى، وتقديره خالٍ من المآخذ، أما التقدير الثاني وهو "ليحسـبنا قادريـن" ففيه مخالفة بـين المحذوف والمذكور؛ لأن حسـب المذكور معناه الظن، والمحذوف على ذلك معناه اليقين. ولا يجوز أن يكون المحذوف والمذكور من جنس واحد، لكنهما مختلفان في المعنى، وإن قلنا: إنَّ المحذوفَ بمعنى الظّنّ أيضًا فسد

المعنى؛ لأنه شكّ في البعث، وفعل الجمع أقرب في الجملة من فعل الحسبان، ولأن "بلى" لإيجاب المنفي وهو في الآية فعل الجمع.

وجعْلُ (كان) محذوفة في هذه الآية -وهو الرأي الثالث؛ رأي القرطبي والسمين- لايخدم المعنى أيضًا؛ لأن السورة سورة القيامة، وهو حديث مع كافر هو عدي بن ربيعة، أو أبو جهل [٢٩]، وهو منكِر ليوم القيامة، وقد قال: أوَ يجمعُ الله العظام؟ فالإجابة بأن الله يجمعها قادرًا أولى من قولنا: كنا قادرين في الابتداء، ثم في القول الثالث كثرة حذف حيث إن الذي على هذا التقدير حذف كان واسمها ثم متعلق بخبرها، والحذف خلاف الأصل.

إن حذف الفعل قد أسهم في تعدد المعنى وجعل الآية محتملة لأكثر من معنى، وإن كنا قد فضلنا بعض الآراء في تقدير المحذوف فليس معنى ذلك أننا نلغي بقية التقديرات وإنما نحن نتحدث عن الأفضل والأولى[٣٠]، وإن حذف الفعل قد جعل بؤرة الضوء مسلطة على الحال المذكورة بصيغة التعظيم، فالمهم الحال وليس الفعل؛ لأنه إذا كان الشك في الفعل وهو (نجمع) فهي مجموعة الآن، ولكن الشكّ في القدرة على جمع هذه العظام بعدما رمّت وبليت، فناسب ذلك التركيز على الحال دون فعلها. هذا عن تعدد المعنى في حذف الفعل.

وهناك أمثلة أخرى لحذف الفعل لإفادة تعدد المعنى [٣١].

ب) حذف الفاعل:

ونختار لذلك مثالًا لحذف الفاعل والفعلُ مبني للمعلوم، ومثالًا آخر والفعل مبني لما لم يسمّ فاعله. فمثال حذف الفاعل والفعل مبني للمعلوم: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ وسياق الآية ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٣٠ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ [ص: ٣٠: ٣٢] ذكر المفسرون في

فاعل «توارت» قولين: أولهما أنه الشمس، والثاني أنه الخيل[٣٢] واعتمد من قدر المحذوف (الشمس) على مناسبة العشي للشمس، ويكون المعنى أني شغلت بالخيل عن الصلاة حتى غربت الشمس، وتورات بالحجاب. وحين نجعل ضمير (الخيل) فاعلًا يكون قد سبق له ذكر يعود عليه الضمير: ويكون المعنى: إني أحببت حب الخير حتى غابت الخيل عن عيني ودخلت إصطبلاتها.

إن من المفسرين من جزم بأن الضمير عائد إلى الشمس قولًا واحدًا، ومنهم ابن الجوزي وابن كثير والبقاعي، ومن المحدثين الطاهر بن عاشور، ومن المفسرين من ذكر الرأيين، ورجح أن يكون الضمير للشمس إمّا تصريحًا أو تلميحًا؛ فمن التصريح قول الشوكاني: «والأول أولى؛ أي: عود الضمير إلى الشمس». وممن قال تلميحًا الزمخشري والقرطبي وأبو السعود حيث ذكروا عود الضمير إلى (الصافنات) بصيغة التمريض (قيل) بعد استيفاء الحديث وتفصيله في عود الضمير على الشمس، ومن المفسرين من ذكر الرأيين، ورجح أن يكون الضمير للخيل، ومن هؤلاء الفخر الرازي وأبو حيان وتلميذه السمين، وقد تحدث الرازي حديثًا طويلًا عن عود الضمير إلى (الخيل) ورد على من قال بعوده إلى الشمس فقال: «وهذا الاحتمال عندي بعيد، والذي يدل عليه وجوه: الأول أن الصافنات مذكورة تصريحًا، والشمس غير مذكورة، وعَوْدُ الضمير إلى المذكور أولى من عوده إلى المقدر. والثاني أنه قال: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ وظاهر اللفظ يدل على أن سليمان عليه السلام كان يقول: «إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي»، وكان يعيد هذه الكلمات إلى أن توارت بالحجاب، فلو قلنا: إن المراد حتى توارت الصافنات بالحجاب كان معناه أنه حين وقع بصره عليها حال جريها كان يقول هذه الكلمة إلى أن غابت عن عينه وذلك مناسب.

ولو قلنا: المراد حتى توارت الشمس بالحجاب كان معناه أنه يعيد عين هذه الكلمة من وقت العصر إلى وقت المغرب وهذا في غاية البعد»[٣٣] وظل الفخر الرازي يعدد أسباب اختياره لأن يكون (الخيل) حتى عدد سبعة أدلة على ذلك، ثم قال: «فكان عود الضمير إلى الصافنات أولى»[٣٤].

ولعل سائلًا يقول: ما سبب ذكر هذه الآية هنا مع أن هناك فرقًا بين حذف الفاعل وإضماره (فالمضمر كأنه موجود، والمحذوف فهو غير موجود يقتضيه المعنى أو تقتضيه الصناعة)؟ والجواب: إننا لو قلنا: إن الفاعل الشمس لكان الضمير عائدًا إلى غير مذكور في الكلام، وهذا ضرب من الحذف، وهذا ما دفعني إلى ذكر الآية هنا، ولعلنا لاحظنا أن الحذف للفاعل هنا أفاد تعددًا للمعنى، ولو ذكر الفاعل لحصره في المذكور، لكنه حين حذف جعل الذهن يتردد بين الخيل والشمس، فأفاد ثراءً للمعنى، وأجاز في المحذوف أكثر من تقدير، وهذه من سمات الكلام العالي.

ولعل من المناسب أن نذكر أن سبب حذف هذا الفاعل، أو عوده على غير مذكور له سر بلاغي مؤدّاه أن الحديث عن شمس توارت، أو خيل غابت عن نظر نبي الله سليمان، فناسب غياب الفاعل في الواقع غيابه عن الكلام لتتلاقى أطراف الجملة.

ومن حذف الفاعل والفعل مبني لما لم يسم فاعله قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤] وقد اختلف المفسرون في فاعل الفعل "زُيِّن"[٣٥] إذا رد إلى

البناء للمعلوم بين قائل: المزيّن هو الله تعالى، وقائل: المزين هو الشيطان، ورأي ثالث قال: المزين هو الأنفس، وإن كان الأخير لم يحظ باهتمام المفسرين كما حظي الرأيان الأولان القائلان بأن المزين هو الله تعالى، أو المزين هو الشيطان «والفرق بين التزيينين أن تزيين الله بما ركَّبه، ووضعه في أصل الجبلة وتزيين الشيطان بإذكار ما وقع إغفاله، وتحسينه بوساوسه إياها لهم»[٣٦]، وقد اقتصر الزمخشري على أن المزين هو الشيطان، وحين أراد ذكر الرأي الثاني قال: «ويجوز أن يكون الله قد زين لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها، أو جعل إمهال المزين له تزيينا»[٣٧].

وفي كلام الزمخشري إبراز لمذهب المعتزلة؛ فمذهب المعتزلة «أن الله لا يخلق الشر وإنما ذلك من خلق العبد، فلذلك تأوَّل التزيين على الخذلان، أو على الإمهال»[٣٨]، ومذهب أهل السنة أن الله خالق الخير والشر؛ أما الخير فبيده، وأما الشر فبتقديره، ولهذا الأمر شواهد كثيرة في القرآن منها قوله تعالى ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]... وغيرها. وقد استدل الرازي على أن الله هو المزين بدليلين الأول: قراءة من قرأ: (زَيَّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا) [٣٩] على البناء للفاعل، وثانيهما: قوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

ولعلنا رأينا وعلمنا أن الحذف هنا أدى إلى تعدد المعنى بحيث صار لكل طائفة تقدير؛ فأهل السنة يقولون: إن المزين هو الله، والمعتزلة يقولون: المزين هو الشيطان. وقد ذكر صاحب البحر المحيط أقوالاً كثيرة في المزين؛ فزاد على ما سبق أن المزين نفوسهم لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] وكذلك ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠] وذكر

أن المزيـن شـركاؤهم من الجن والإنس، وقيل: المزين هـذه الحياة الدنيا. وقيل: المزين المجموع [٤٠] فانظر كيف كان حذف الفاعل مؤديًا إلى تعدد الدلالة، وتعدد المعنى بل تعدى ذلك إلى الخوض في قضايا العقيدة من خلال مذهب أهل السنة والمعتزلة في قضـية نسـبة الشـر إلى خَلْقِ الله (بمعنى أن الله خالق هذا الشر)، أو نسبته إلى الإنسان [٤١]. والفاعل هنا محذوف للعموم ليشمل كل هذه التقديرات.

ج) حذف المفعول وتعدد المعنى:

ومـن الآيـات التي يـؤدي حذف المفعـول فيها إلـى تعدد المعنى قولـه تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٣] قدر فيها النحاة والمفسرون في قوله تعالى: (لمن اتقى) مفعولا به محذوفًا، إما أن يكون: لمن اتقى الله، أو لمن اتقى الصيد، أو لمن اتقى المعاصي في حجه، أو لمن اتقى فيما بقى من عمره [٤٢]، ومن المفسرين من جعل الفعل كاللازم فبين أن المراد حصول التقوى وحدوثها[٤٣].

وقد أسهم الحذف في تعدد المعنى بأن أفسح المجال لأنْ تقدَّر هذه التقديرات جميعها دون الجزم بأحدها، وهذا من ثراء التعبير القرآني، وغزارة دلالته.

وهل الفعل هنا متعد أم لازم؟ الزمخشري يجعله لازمًا؛ حيث يتضح ذلك من تفسـيره فيقول: (لمـن اتقى) أي: ذلك التخيير لمن اتقـى ونفى الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي) [٤٤].

والفـرق بين التعـدي واللزوم في الفعـل: أن الفعل اللازم يقصـد فيه ثبوت الفعـل لفاعلـه فحسـب دون أن يتعداه إلى مفعـول به، فالغرض حصـول التقوى للحاج هنا بدون قصـد إلى مايُتقى، وتابعه الشـوكاني في فتح القدير [٤٥] فرجح كون الفعل لازمًا أو مسـتعملًا استعمال اللازم، وإن كان متعديًا في أصله، واختار

كونـه متعديًـا الفخر الرازي والقرطبي وغيرهما لكن الـرازي[٤٦] اختار أن يكون المفعول به لفظ الجلالة، وضـعَّف رأيَ القائلين بأنه (الصـيد) من وجهين الأول: «أنـه تقييـد للفظ المطلق بغـير دليل، الثاني: أن هـذا لا يصـح إلا إذا حمل على ما قبل الأيام؛ لأنه في يوم النحر إذا رمى وطاف وحلق فقد تحلل قبل رمي الجمار فلا يلزمه اتقاء الصيد إلا في الحرم، لكن ذلك ليس للإحرام»[٤٧].

ولعلنـا لاحظنا كيف أسـهم الحذف في أمور مختلفة أولهـا: التردد بين كون الفعل متعديًا إلى مفعول، أو كونه متعديًا لكنه اسـتعمل اسـتعمال اللازم، ثم إذا كان متعديـا اختلف في التقدير على آراء مختلفة أَثْرَتْ الكلام، وأنشـأت جسـرًا من التواصـل بين الحق تبارك وتعالى وبين عبـاده الذين تلقوا هذا القرآن لتعمل العقول في المحذوف فاختلف المقدر نظرًا لاختلاف المتلقين.

ولا يفوتنـا أن هنـاك اختلافًـا آخـر في الآية نفسـها؛ حيـث إن (لمن اتقى) متفـق على كونها خبرًا لمبتدأ محذوف، لكـن الاختلاف باعتبار تعلق اللام، فمن جعلها متعلقة بنفي الإثم قال: المغفرة لمن اتقى، وهذا يُنسب إلى ابن مسعود [٤٨]. ومن علقها بالتخيير المفهوم من الآية قال: الإباحة لمن اتقى، وهذا رأي ابن عمر. ومن جعلها متعلقة بالذكر قال: الذكر لمن اتقى. ومن لم يجعلها متعلقة قال: ذلك لمن اتقى وهذا رأي الأخفش.

لقد تآزر الحذفان في رسـم صـورة تخص قضـية التعجل والتأخر لمن اتقى، وليتعدد المقدر في الموضـعين، وليفيـد المعاني الكثيرة التي قدرهـا العلماء، ولعل الحذف يفيد شـمول التقوى لكل الأمور المذكـورة: فهي تقوى لله، وخوف من قتل الصـيد، وتقوى من المعاصـي في الحج، وعهد على ترك المعاصي بقية العمر، ولو ذكر القرآن أحد هذه الأوجه لكان قصرًا للكلام على معنى واحد من غير احتمال لبقية الأوجه. ولو ذكر المبتدأ أو اقتصـر عليه فقـال: المغفرة لمن اتقى أو الإباحة أو الذكر أو ذلك لمن اتقى لضاقت دائرة التوقع حتى اقتصرت على المعنى المذكور،

لكن الحذف جعل كل هذه الأوجه محتملة بل معتبرة؛ لأن المحذوف لدليل كالموجود فهو غائب جعله الدليل حاضرًا أو في قوة الحاضر.

ومن الأمثلة التي حذف فيها المفعول لقصد تعدد المعنى قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ١٣] ذكر الزمخشري ومن جاء بعده من المفسرين أن المفعول محذوف؛ لأنه مفعول المشيئة فقدره: ولو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة [٤٩]. وتابعه المفسرون على ذلك خلا أبي حيان في البحر المحيط حيث ردَّ على الزمخشري تقديره فقال: «تتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفًا إلا من جنس الجواب نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾» [الأنعام ٣٥] فعلى هذا الذي تقرر أن لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري وإنما التقدير: «لو شاء ربنا إنزال ملائكة برسالة منه إلى الإنس لأنزلهم بها إليهم، وهذا أبلغ في الإقناع من إرسال البشر إذ علقوا ذلك بإنزال الملائكة وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك في البشر» [٥٠].

وقد رد تلميذه السمين هذا الكلام، وأكد قول الزمخشري فقال: «وتقدير أبي القاسم أوقع معنى، وأخلص من إيقاع الظاهر موقع المضمر إذ يصير التقدير: لو شاء إنزال الملائكة لأنزل ملائكة" [٥١]، وأرى أن تقدير الزمخشري أحسن من تقدير أبي حيان لا لأن فيه إيقاعًا للظاهر موقع المضمر، ولكن لأن السياق يرجحه إذ الحديث عن تكذيب عاد وثمود لأن يكون الرسل بشرًا، وليس التكذيب لإرسال الملائكة، إذًا تعليل السمين ليس قويًّا؛ لأننا درجنا في القرآن، وتعودنا على حذف مفعول المشيئة، ومعلوم أن المحذوف لو أظهر لهبطت رتبة الكلام وتدنت منزلته، وإذا كان الشأن في حذف مفعول المشيئة أن يكون محذوفًا ومن جنس المذكور في الجواب، فإن هذه الآية حالة خاصة سماها الطاهر

ابن عاشور حذفًا خاصًا لمفعول المشيئة فيقول: «وهذا حذف خاص هو غير حذف مفعول فِعْل المشيئة الشائع في الكلام؛ لأن ذلك فيما إذا كان المحذوف مدلولًا عليه بجواب "لو" كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام ١٤٩] ولعل نكتة الحذف فيه الإبهام ثم البيان».

وأما دليل الحذف في الآية فهو الاعتماد على قرينة السياق والإيجاز، وهو حذف عزيز لمفعول فعل المشيئة، ونظيره قول المعريّ: [الطويل]

وإنْ شِئْتَ فَازْعُمْ أنَّ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهَا عَبِيدَكَ واسْتشهِدْ إلَهَكَ يَشْهَدِ[٥٢]

ولعل اطراد حذف مفعول فعل المشيئة هو الذي دعا أبا حيان إلى تخطيء الزمخشري في تقديره.

وبذلك يتضح لنا أن الحذف هنا كان دافعًا إلى تعدد المعنى، واختلاف التقدير الأمر الذي دعا المفسرين إلى تقدير مفعول خاص، ومخالفة أبي حيان لهم بتقديره مفعولًا من جنس المذكور، ولعل تحامله على الزمخشري هو الذي أوقعه في ذلك إضافة إلى أن الأصل في المفعول الخاص بفعل المشيئة أن يحذف.

ومن أمثلة حذف المفعول التي تعدد المعنى فيها بسبب الحذف -لكنها هنا ليست معاني لغوية، وإنّما هي معان بلاغية- قوله تعالى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] ذكر المفسرون أن الحذف هنا للاختصار اللفظي، وظهور المحذوف [٥٣] وكذا قال أبو حيان: إنه للاختصار [٥٤]، وكذا فعل باقي المفسرين والنحويين فرددوا الحذف بين الاختصار والعلم به لسبق الحديث عنه في (ما ودعك) ولمراعاة الفواصل.

وذكر بعضهم أن غرض حذف المفعول لئلا ينسب القِلَى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو بتعبيره: «نفى صدور الفعل عنه تعالى» [٥٥] والحق أن القول بالاختصار جائز، والقول بالعلم به، وموافقة رؤوس الآي جائز كذلك،

لكن لابد من الفصل بين الأمور إذ الاختصار عام في كل حذف وهو علة نحوية، وموافقة رؤوس الآي هذه علة صوتية، أما قولهم للعلم به، ولكيلا ينسب القلى إلى الرسول الكريم فهاتان من العلل البلاغية لكن أيهما نفضل؟ إن كل ما سبق ممكن، لكن القول بنفي القلى عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يحتاج إلى مناقشة حيث إن المفعول المراد نفي القلى عنه قد ثبت في الآية قبل (ما ودعك ربك) وعلى الرغم من أن الفرق بين التوديع والقلى معروف حيث التوديع معناه الترك، والقلى شدة البغض[٥٦] فإن التشديد في (ودّع) تفيد قوة في الفعل لهذا قال الزمخشري: «التوديع مبالغة من الوَدْع؛ لأن من ودّعك مفارقًا فقد بالغ في تركك»[٥٧] وهذا ردّ على الدكتورة بنت الشاطئ التي قالت: إن التوديع غير القلى[٥٨] وحَلُّ الموضوع أنّ كلًّا من التوديع والقلى منفيّ، ويبقى الحذف في (قَلَى) مرددًا بين ثلاثة أمور عددها الرازي في تفسيره هي:

١) الاكتفاء بالكاف الأولى في ودعك.

٢) اتفاق الفواصل أوجب حذف الكاف.

٣) فائدة الإطلاق أي: أنه ما قلاك، ولا قلى أحدًا من أصحابك، ولا أحدًا ممن أحبك إلى يوم القيامة [٥٩].

والإطلاق الذي ذكره الرازي لا يساعد السياق على القول به حيث الخطاب في معرض فتور الوحي عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم-ويبقى الأمران الأولان محتملين. وكنت قد ألمحت قبل إلى أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن تنفي أن يكون اعتبار العنصر الصوتي فحسب سببًا في الحذف، وأكدتُ على ذلك، وبينتُ أنه قد يكون سببًا من أسباب الحذف، وأن الأصل أن يكون الحذف لأمر معنوي فإن جاء معه سبب لفظي؛ فإنه يقوي السبب المعنوي دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل [٦٠].

ويمكن أن نلخص فوائد حذف الكاف هنا في أمور:

١. هو توافق الفواصل.

٢. وهو الاختصار.

٣. العلم به أو عدم اتصال الضمير (الكاف) بفعل القِلَى حتى لا يُنسب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد تبين مما سبق كيف كان الحذف مؤدّيًا إلى تعدد المعنى، واختلاف المشارب في تقدير المفعول المحذوف[٦١]. فالسورة كتلة واحدة متماسكة حقق هذا التماسك فيها الحذف، حيث فاصلة السورة على الألف.

ثانيًا: أثر الحذف في تعدد المعنى في الجملة الاسمية:

أ) حذف المبتدأ وتعدد المعنى:

يؤدي حذف المبتدأ أحيانا إلى تعدد المعنى حين يحتمل الحذف تقديرين أو أكثر، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥]. حذف المبتدأ في قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾، واحتمل حذفه أمورًا: أنتم قوم منكرون، أو هؤلاء قوم منكرون[٦٢]، أو هم قوم منكرون... ويترجح أن يكون إبراهيم قد قال القول الأول، ولكن بشرط أن يكون قد قاله في نفسه؛ لأن هذا يتنافى مع كرم إبراهيم، بل مع كرم كل أحد، فليس من الأدب أن يجاهر الإنسان بذلك لضيفه، ويحتمل أن يكون إبراهيم قد قال القول الثاني: (هؤلاء قوم أو هم قوم) ويكون قد قاله لأهله وغلمانه، حيث الحديث عن الملائكة الضيف بطريق الغَيْبة، والحذف هو الذي أوجد هذه الاحتمالات؛ فحذف المبتدأ جعل المعنى يتعدد كما رأينا.

ولا يخفى ما في الآية من أمور ساعدت على رسم المعنى بهذه الصورة؛

فـأول ذلـك قـول الملائكة: "سـلامًا" وما فيه مـن عامل محـذوف يجعل الجملة فعلية أي: نسـلم سلامًا ليكون قول إبراهيم بعد ذلك: "سلام" بالرفع فهو مبتدأ خبره محذوف أي: عليكم فيكون أبلغ إذ عبر بالجملة الاسـمية التي تفيد الثبوت والـدوام، وهم عبروا بالجملة الفعلية، والتعبير بالاسـمية يفيد أن شـأنه سـلام دائمًا. فقد وقع الحذف في الآية في ثلاثة مواضـع في قولهم: "سـلامًا" أي نسلم، و"قـال سـلام" أي عليكم، و "قـوم منكرون" أي أنتم أو هـؤلاء؛ فبنية الآية تقوم على الحذف لرسـم صورة توضـح موقف الملائكة مع إبراهيم ثم موقف إبراهيم معهم.

ولو ذكرنا المبتدأ المحذوف أو الخبر أو الفعل لانحصر الذهن في المذكور دون غـيره ولمـا احتمل تأويلات متعـددة للمعنى فكان الحذف لإفـادة المعاني الكثيرة المتعددة.

وكنت قد أشرت قبل إلى حذف المبتدأ في قوله تعالى: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣] وأن التقديـر يختلـف فيـه فقيـل: المغفرة لمن اتقـى، أو الإباحـة لمن اتقى، أو ذلك لمن اتقى. والمقصود بتقدير الأخفش (ذلك لمن اتقى) أي: مجموع الأمور السـابقة على الجملـة من ذكر وإباحـة. وفي تعـدد التقدير تعدد للمعنى أنشـأه الحذف؛ لتختلف تقديرات المعربين والمفسرين في تأويله، وذلك دليل على إعجاز نظـم القرآن، وثـراء معانيـه، ووحدانية منزله -جـل جلاله- وعلـى ذلك أكثر حذوفات القرآن الكريم [٦٣].

ب) حذف الخبر وتعدد المعنى:

ومـن مواطن حذف الخبر ما يكـون فيه معادلًا للمذكور كمـا في قوله تعالى ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨] و(مَنْ) هنا مبتدأ،

وخـبره محـذوف؛ لأن الخبر معادل للمبتدأ، فقدَّره بعضـهم: كمـن لم يزين[٦٤] وقدَّر آخرون: كمن هداه الله[٦٥] وقدَّر آخرون: ذهبت نفسك عليهم حسرات[٦٦]، وفي الحقيقـة أن التقديـر قد اختلف لاختلاف دليل الحـذف فمن نظر إلى قوله: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ قـدَّر: كمـن لم يزيـن، ومن نظر إلى قولـه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ قدَّر: كمن هداه الله؛ لأن من المعلوم أن من زُيِّن له سـوء عمله فرآه حسـنا قد ضـلّ. فمعادله كمن هداه الله، ومن نظر إلى قوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ قدَّر: ذهبت نفسك عليهم حسرات. وهكذا نرى الحذف قد وسـع دائـرة التقدير فاجتهدتْ فيها العقول، وقد قدَّر الكسـائي التقدير الثالث: ذهبت نفسك عليهم حسرات، ثم قال: «وهذا كلام عربي طريف لا يعرفه إلا القليل»[٦٧] قال النحاس: والذي قاله الكسـائي أحسن ما قيل في الآية لمـا ذكره من الدلالة على المحـذوف [٦٨] والمعنى: أن الله –عز وجل- نهى نبيه – صلى الله عليه وسلم-عن شدة الاهتمام بهم، والحزن عليهم كما قال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴾ [الكهـف: ٦]. ورجح الشـوكاني التقدير الأول (كمن لم يزين له)، وقال: وهذا أولى لموافقة المذكور لفظًا ومعنى. والاسـتفهام في الآية إنـكاري، والتعبير بالموصـول للدلالة على وضـوح الصـلة وظهورهـا؛ وهي تزيين الشـيطان له سـوء عمله، ثم العطف على الصـلة في (فرآه حسـنا) لبيان التعلق بها، حيث المقصـود ليس بيان تزيين الشـيطان له سـوء عمله وحسب، بل إضافة إلى ذلك رؤيته لهذا العمل على أنه حسـن، ثم التعبير بإن واسمية الجملة لتوكيد المعنى الذي هو هداية الله لمن يشـاء له الهداية، وإضـلاله لمن يريد له الضـلال، وفي هذا تسـلية لرسـول الله حيث لا يملك الهداية، وإنما يملك التبليغ، والهداية أو الضلال من الله، ثم النهى عن ذهاب النفس حسرة على ضلالهم، وهذا تجريد حيث الرسـول ونفسه شيء واحد، فجُعِلا شيئين؛ لتقرير المعنى في النفس، وبيان شـدة حرصـه على هداية هؤلاء الناس حرصًا يكاد يزهق نفسـه، ويهلك روحه.

وكان ذلك كله مُعينًا في الآية على أداء المعنى بالصورة الحسنة التي رأيناها. ومما سبق يتضح لنا كيف أثر الحذف في تعدد المعاني – بل اختلافها – حسب تقدير الكلام، وهذا مما يتميز به القرآن الكريم لاحتماله وجوهًا مختلفة من التفسير وكما في الحديث: إن القرآن حمَّال أوجه فاحملوه على أحسن وجوهه»[٦٩].

ت) ما يحتمل حذف المبتدأ أو الخبر: ومن أمثلته:

(أ) قوله تعالى ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ووردت مرة أخرى في السورة نفسها مع اختلاف التعقيب: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ٨٣].

يصلح هنا تقدير مبتدأ محذوف هو: صبري صبر جميل، أو أمري صبر جميل، ويصلح تقدير خبر محذوف تقديره: فصبر جميل أمثل بي، أو أجمل بي. فتَرْك المصدر هكذا أُريد امتلاء العبارة به؛ لأنه الأليق بحاله، ليس أمامه سواه، فحُذِف لبيان ما يحتاج إليه الآن، وهو الصبر الجميل، فتقدير مبتدأ: (فصبري) يفيد وصف يعقوب لصبره بأنه صبر جميل، وتقدير خبر محذوف بيان لما يحتاجه حاله الآن، وكأنه يعزي نفسه بفقد أولاده – في الموضعين معًا – فأي التقديرين يفضل الآخر؟

نقل الدكتور محمد أبو موسى عن السعد التفتازاني[٧٠] ترجيح حذف المسند إليه بمرجحات منها:

١. أن حذف المسند إليه أكثر وقوعًا في كلامهم من حذف المسند فحمل الآية عليه أولى.

٢. أن سوق الكلام للمدح بحصول الصبر ليعقوب، وحين يكون المحذوف

هو المسند إليه والتقدير: أمري صبر جميل يكون هذا الكلام دالا على حصول الصبر له. أما تقدير أن يكون المحذوف مسندًا، وأن الأصل: فصبر جميل أجمل فليس فيه ما يدل دلالة مباشرة على حصول الصبر لسيدنا يعقوب [٧١].

غير أنني أرى أن حذف الخبر أولى، وترجيحات السعد ليست قوية؛ لأن المسند إليه أو المسند ليس أحدهما بأكثر وقوعًا في الكلام ما لم يستلزمه السياق والمقام، وإن كثرت أمثلة حذف أحدهما فليس لشيء راجع إلى الاستعمال اللغوي، وإنما للمتكلم باللغة وهو محكوم بالحال التي يتحدث فيها، أما قوله: (إن سوق الكلام للمدح بحصول الصبر) فالأمر ليس كذلك؛ حيث إن تقدير المسند إليه يفيد أمرين:

أولهما: تزكية نفسه حيث يصف صبره بأنه صبر جميل، وهذا لا يكون من الأنبياء؛ الذين يتواضعون في عبادتهم، واستئناسًا لذلك نذكر قوله تعالى ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر ٦].

الأمر الثاني: إن التعبير بالجملة الخبرية يفيد كذلك امتلاك يعقوب للصبر الجميل وهو لا يعلم أيصبر أم لا.

إن القول بأن المحذوف هو الخبر أولى؛ لأن الحذف من الأواخر أولى كما ذكر ابن هشام [٧٢]، كما أن يعقوب يذكِّر نفسه، ويصبِّرُها، ويعلِّم أولاده أن الصبر في هذه المواقف أليق، ومن هنا كان القول بحذف الخبر أولى من غيره.

(ب) قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النور:٥٣] يجوز أن يكون التقدير: أمركم طاعة، أو طاعتكم طاعة معروفة على حذف المسند إليه، ويجوز أن

يكون التقدير: طاعة معروفة أولى لكم، أو أمثل بكم، والآية في سياق حديث عن المنافقين الذي يتولون عن حكم الله ورسوله إذا لم يكن في صالحهم، ويتبعونه إذا كان الحكم لهم، ثم تُبيِّن الآيات موقف المؤمنين الصادقين، ثم تعرض صورة أخرى للمنافقين؛ وهي قَسَمُهم على الخروج إذا أمرهم الرسول للجهاد، والجواب من الله ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ ولكن أي التقديرين أولى بالآية؟

الحق أن كلا التقديرين يُرَجَّح ولكن باعتبار مختلف عن الآخر، فنرجح حذف المسند لو نظرنا في سياق الآية من حيث إن الحديث مع المنافقين، فيكون المعنى: طاعة معروفة أمثل بكم؛ ليكون ذلك توجيها لهم لكي يمتثلوا طاعة الله -عز وجل-. ويترجح حذف المسند إليه فيصبح المعنى: أمركم طاعة، أو طاعتكم معروفة هي طاعة المنافقين على سبيل الاستهزاء بهم، فيكون الكلام على اشتهار حالهم. وقد رجح ابن جنى هذا الوجه واستدل عليه بقول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللهِ أَمْرُكَ طَاعةٌ وإِنْ كُنْتُ قَدْ كُلِّفْتُ ما لم أُعَوَّدِ (٧٣)

فقد رأينا كيف يمكن ترجيح الأمرين كل واحد منهما على اعتبار غير الآخر. ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠، ٢١] (٧٤).

ث) ما يحتمل محذوفات متعددة:

١- ما يحتمل حذف مبتدأ أو خبر أو فعل:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١] والاسم

الموصول (الذي) يجوز فيه ثلاثة أوجه: أن يكون:

١. المحذوف هو المسند إليه وتقديره، معيدكم الذي فطركم.

٢. المحذوف هو المسند، وهو خبر تقديره: الذي فطركم يعيدكم.

٣. المحذوف مسند أيضًا لكنه فعل، تقديره: يعيدكم الذي فطركم، وقد صرح بالفعل في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] وقد رجح السمين حذف المسند إليه؛ لأن فيه مطابقة بين السؤال والجواب [٧٥].

٢- ما يحتمل حذف مضاف، أو حرف جر، أو لام تعليل:

ومن أمثلته قوله تعالى﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء: ١٣٥] فالمصدر المؤول فيه ثلاثة أوجه: أولها: أنه مفعول لأجله على حذف مضاف أي: فلا تتبعوا الهوى محبة أن تعدلوا، أو إرادة أن تعدلوا. ويكون معنى العدل هو: العدل عن الحق أو الجور، وقدره أبو البقاء: «مخافة أن تعدلوا عن الحق[٧٦] وجعله ابن عطية محتملًا الأمرين (أي العدل) فيكون تقديره: محبة أن تعدلوا، ويكون العدل معناه القسط، أو مخافة أن تعدلوا، ويكون العدل معناه العدول عن الحق» [٧٧].

الثاني: حذف حرف جر ولا النافية، ويكون المعنى، فلا تتبعوا الهوى في ألا تعدلوا أي في ترك العدل.

الثالث: أنه على حذف لام العلة، والتقدير: فلا تتبعوا الهوى لأن تعدلوا، ويكون العدل هنا محتملًا الأمرين العدل بمعنى الجور، ويؤيده سبق المصدر باتباع الهوى أي: فلا تتبعوا الهوى لتجوروا، وقد يكون العدل بمعنى القسط أي: لا تتبعوا الهوى؛ لأن اتباعه مع العدل يكون منافيا.

وقـد ظهـر لنا أن الحذف كان لأجـل أن تحتمل الآية هـذه الإعرابات جميعًا فكان الحذف مؤديًا إلى تعدد المعنى [٧٨].

هـ - حذف المضاف وتعدد المعنى:

ومن المواضـع التي حذف فيها المضـاف لكي يتعدد المعنى الاستعاذة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، وتلحق بها آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل ٩٨] فإنه يُقدّر في الاستعاذة أمور: أعوذ بالله من وسواس الشيطان الرجيم، أو شر وسواس الشيطان الرجيم، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس ٤]، أو من همز الشـيطان الرجيـم لقولـه تعالـى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون ٩٧] ويمكن أن يكون المحذوف: من نزغ الشـيطان الرجيم، ويدل على ذلـك قولـه تعالـى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [فصـلت ٣٦] ويرجح العز بن عبد السـلام التقدير الأول، وهو من وسـواس الشـيطان، أو من شـر وسـواس الشيطان، وحجته في ذلك أن الشيطان يوسـوس للقارئ القرآن في تحريفـه وتبديله وتنزيلـه على غير مراد الله منه[٧٩] وهذا تعليل جيد خصوصًـا حين نعلم أن التقديرات الأخرى مسبوقة بأمور تتم الاستعاذة منها؛ ففي فصلت نجد الآية مسبوقة بحديث عن الإساءة، وردّها بالإحسان حتى يتحول مَنْ أمامك مـن العـداوة إلى الحميمية، ولا يقدِر على ملك نفسـه إلا الصـابرون ذوو الحظ العظيم، وربما لا يصبر المرء على رد الإساءة بالإحسان، بسبب نزغ الشيطان، فهو نزغ للانتقام، وردّ السـيئة بالسـيئة، أما في تلاوة القرآن فالإنسان يبدأ مستعيذًا بربه من وسوسـة الشيطان في الانشـغال عن القراءة أو التحريف والتبديل وغير ذلك [٨٠].

و- حذف الحرف وتعدد المعنى:

من المواضع التي حذف فيها الحرف، وقصد منه تعدد المعنى قوله تعالى: ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء ١٢٧] و(رغب) من الأفعال التي يؤثر فيها حرف الجر تأثيرًا عكسيًا؛ إذ الحرف يجعل الفعل من الأضداد؛ فاستعمال حرف الجر (في) يفيد المحبة والرغبة الشديدة في الشيء، واستعمال حرف الجر (عن) يفيد البغض والعدول عن الشيء، وقد أشار د. ردة الله إلى أن العدول أو المفارقة في هذه الآية ليست معجمية فحسب بل هي معجمية تركيبية؛ حيث إن الفعل قد انفك عن علاقة التطالب المباشرة بينه وبين الحرف، وقد كان محتاجا إلى عنصر سياقي آخر في تحرير دلالته هو والحرف قلما انفك عنه صارت المفارقة معجمية تركيبية [٨١]. والآية في سياق الحديث عن البنات اليتامى ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ وقد أجاز المفسرون تقديرَ كلا الحرفين (في وعن) في الآية، ومع (في) يكون المعني: (وترغبون في نكاحهن؛ لأنهن جميلات صاحبات أموال)، ومع (عن) يكون المعنى: (وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن وقلة أموالهن). وقد كان حَذْف الحرف مردّدًا المعنى بين الرغبة فيهن، والرغبة عنهن؛ ليشمل الأمرين جميعًا من الولي، كي يعلم أنه محاط بعلم الله وجبروته في حال الرغبة في اليتيمة، أو الرغبة عنها، وإن كان لابد من ترجيح حذف أحد الحرفين على الآخر فسياق الآية يرجح «عن» حيث قول الله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ والولي لا يعطي اليتيمة حقها، ولا يرغب في زواجها إذا كانت دميمة، ثم يشهد لذلك حديث عائشة الذي رواه البخاري ومسلم: «وترغبون أن تنكحوهن رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال...» [٨٢]

ولعل من نافلة القول أن نذكر أن حذف الحرف كان لاحتمال الأمرين ليبقى الوصي في حال الرغبة في اليتيمة، وحال الكره لها خائفًا من الله مراقبًا له، فإن رغب في اليتيمة فليعطها مالها ومهر مثلها، وإن رغب عنها فليعطها مالها، وليزوجها من الكفء دون خوف أن يشركه الزوج في مالها.

ثالثًا: أثر حذف الجملة في تعدد المعنى(٨٣):

ذكرنا أن حذف الفعل والفاعل يؤدي إلى تعدد المعنى، وكذلك يؤدي حذف المبتدأ والخبر، وحين تحذف الجملة أيضاً تؤدي إلى تعدد المعنى، ومن أمثلة حذفها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٥٤] ففي قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ حذف، وفي تقديره أمران حيث الفاء عاطفة على محذوف وهذا المحذوف أحد أمرين:

١. أن يقدر: (فإن فعلتم فقد تاب عليكم) فيكون الكلام من موسى عليه السلام.

٢. أن يقدر: (ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم) فيكون هذا كلامًا من الله –عز وجل– لهم على سبيل الالتفات، فيكون الكلام خبرًا يقصد به التذكير بنعم الله عليهم.

وقد كان الحذف سببًا لجعل الكلام يحتمل الأمرين، ولو أردنا ترجيح أحد الأمرين على الآخر فإننا ننظر في السياق حيث الآية مسوقة لتذكير بنى إسرائيل بنعم الله عليهم؛ حيث اتخذوا العجل إلهًا دون الله، وبين لهم موسى طريقة التوبة، والرجوع إلى الله بأن يقتلوا أنفسهم توبة إلى بارئهم فتاب الله عليهم.

وقـد عطفت الفاء على المحذوف أي: ففعلتم «إشـارة إلـى تعقيب جرمهم بتوبته تعالـى عليهم، وعدم تأخيرها إلى ما بعد استئصـال جميع الذين عبدوا العجل، بل نسـخ ذلك بقرب نزوله بعد العمل به قليـلاً، أو دون العمل به، وفي ذلك رحمة عظيمة بهم؛ إذ حصل العفو عن ذنب عظيم بدون تكليفهم توبة شاقة، بل اكتفاء بمجرد ندمهم، وعزمهم على عدم العود لذلك» (٨٤)

وكون الكلام خطابًا من الله أولى من جعله كلامًا من موسـى عليه السـلام لأمرين:

١. أن جعل الكلام من موسـى يجعل تذكير بني إسـرائيل بنعم الله عليهم ضمنًا وليس صراحة.

٢. أنـه يلزم منه حذف شـرط ليس عليـه دليل حتى إن جواب الشـرط لم يظهـر فيه عمل الأداة المحذوفـة، فهو حذف كون الكلام خطابًا من الله للقوم، وليس من موسى للقوم. والحذف في الآية يفيد الامتثال من هؤلاء النـاس لأمـر الله –عز وجل– بعد أن سـقط في أيديهـم، ورأوا أنهم قد ضـلوا، فطوت الآية ذكـر فعلتهم وعجلت بتوبـة الله تعالى عليهم، ولعل هـذا يعكس عظيم فضـل الخالق على بني إسـرائيل إذ إنهم بمجرد أن تابوا قَبِل الله توبتهم.

المبحث الثاني

ما يحتمل الحذف وعدمه

وأثر ذلك في أداء المعنى

كما رأينا الحذف مؤديًا إلى تعدد المعنى نجد الحذف أحد الأوجه الممكنة لتصحيح الإعراب، أو لبيان المعنى، أو لاستقامة الكلام، أو لتعدد المعنى، ودليل ذلك اختلاف النحاة والمفسرين في تأويل الآية، فمن قائل بالحذف، وقائل بعدم الحذف، وإذا كان الحذف عدولًا فإنه مخالفة للأصل الذي هو الذكر، وما دام الحذف مخالفة للأصل فإننا لا نلجأ إليه إلا لاستقامة المعنى أو الإعراب.

ومن هنا نقول: إذا دار الكلام بين الحذف وتركه، فتركه أولى لكن ليس الأمر كذلك دائمًا، فقد تكون هناك مرجحات ترجح الحذف على الذكر، وسيتضح ذلك من خلال تناولنا للآيات.

أولًا: احتمال حذف الفعل أو عدم حذفه:

ومن الآيات التي يقدر الحذف فيها سبيلًا إلى فهم المعنى قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٦]، والقراءة التي نحن عليها بنصب (قوم) وفي تخريج هذه القراءة أقوال منها:

١. أنها منصوبة بإضمار فعل تقديره: "أهلكنا" لدلالة الكلام قبله عليه، ويكون المعنى: وأهلكنا قوم نوح من قبل.

٢. أنها منصوبة بـ "اذكر" مقدرًا أي: اذكر قوم نوح من قبل، ولم يذكر الزمخشري (٨٥) غير هذين الوجهين، وأولهما أقوى من الثاني في أداء المعنى؛ لأنه يدل على الهلاك بسبب فسقهم، والثاني يصفهم بالفسق فحسب.

٣. أنها معطوفة على ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ ولكن يعترض على هذا الإعراب بأنهم لم يغرقوا في اليم، حتى يصير المعنى: فنبذناهم ونبذنا قوم نوح في اليم، وهذا غير صحيح؛ لأن العطف يقتضي التشريك في المتعلقات.

٤. أن تعطف على مفعول فـ "أخذتهم"، وفي هذا مثلما في السابق؛ لأنهم لم يهلكوا بالصاعقة.

٥. العطف على مفعول فـ "أخذناه". والمعنى: فأخذناه وجنوده وأخذنا قوم نوح.

وأرى أن أحسن التوجيهات هو الأول؛ إذ إننا نتصيد فعلًا من الكلام، حيث العطف على مفعولات سبقت يؤدي إلى خلل في المعنى، فالأولى أن يقدر: وأهلكنا قوم نوح.

وقد كان مجيء (قوم) منصوبة هكذا مؤديًا إلى كثرة التأويلات التي يكون منها الحذف، والحذف له أثر فاعل في أداء المعنى حيث شُهِر أمر قوم نوح حتى صار لا يحتاج إلى تذكير بهلاكهم.

ومن الأمثلة التي تعدد المعنى فيها باعتبار الحذف وعدمه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢] ذكر الزمخشري في إعراب الظرف (إذ) وجهًا واحدًا هو كونه بدلًا من يوم الفرقان[٨٦]. وزاد الفخر الرازي وجهًا آخر – غير هذا – أنه متعلق بمضمر معناه: واذكروا إذ أنتم كذا وكذا [٨٧]، وجاء السمين فذكر في الظرف أربعة أوجه من الحذف:

١. أنه منصوب بـ "اذكروا" مقدرًا.

٢. أنه بدل من "يوم الفرقان".

٣. أنه منصوب بـ "قدير".

٤. أنه منصوب بـ "الفرقان"[٨٨].

أما الوجه الثالث فقد استبعده السمين حين قال: «وهذا ليس بواضح؛ إذ لايتقيد اتصافه بالقدرة بظرف من الظروف»، وهذا التعليل الذي ذكره السمين جيِّد؛ لأن المعنى يصير: (والله على كل شيء قدير حين كنتم بالعدوة الدنيا) وليس الأمر كذلك، فالله قدير في كل حال. فيبقى الأمر مترددًا بين ثلاثة الأوجه الأخرى، والمعنى يحتملها جميعًا فحين نجعل الظرف منصوبًا بيوم الفرقان يكون المعنى: يوم الفرقان حين كنتم بالعدوة الدنيا، و حين نجعل الظرف منصوبًا بالفرقان يكون المعنى، فَرَّق بين الحق والباطل حين كنتم بالعدوة الدنيا، وحين ينصب بـ "اذكروا" محذوفًا يكون ذلك تذكيرا بنعم الله عليهم وأرى أن هذا المعنى أوفق للسياق- والله أعلم – لأمرين:

١. أنَّ السياق يبين أن الله يُعَدِّدُ نعمه على عباده المؤمنين، وهم في حالة حرجة كان فيها المسلمون قليلًا مستضعفين، وكانوا في هذا الموضع أمام عدو قوي معه عدته وعدده، ومع ذلك نصر الله جنده المؤمنين، ولو لم يكن القصد تذكير الناس بنعمه عليهم لما تحدث عن وصف المَنْزِل بأسلوب مطنب وليس قصدًا من مقاصد القرآن أن يصف المنازل.

٢. أنّ الآية قد تقدمها في السورة نفسها لفظة (اذكروا) في قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال ٢٦]

فرُجِّح الحذف من هذين الوجهين، ولعل سر الحذف في الآية أن يلفت النظر إلى الموقف دون المواجهة بأخذ العبرة، وهو تعليم المؤمنين، وتأديب لهم بأدب عالٍ هو من عند الله، ولعل ذكر هذه النعم جاء بعد الحديث عن تقسيم الغنائم التي نهوا عن أخذها في أول السورة، حين اختلفوا عليها، فنزعها الله منهم، وجعلها لله والرسول حتى هدأت النفوس، واستسلمت لربها وخالقها، الذي كان له الفضل عليها، ثم بعد أن تذكروا نعم الله عليهم أُمِروا بتقسيم الغنائم كما يريد الله -عز وجل- وليس كما يريدون هم، ثم ذكر نعمه عليهم بعد ذلك؛ لتذعن النفوس أشد الإذعان، وتأتمر بأمر الله تعالى؛ فكان الحديث هكذا ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾. وليكون المحذوف فعلًا للأمر مسندًا لواو الجماعة (واذكروا).

وأرى أن هذا التقدير أبرُّ بالمعنى وأحق به من غيره، وإن كانت المعاني الأخرى ممكنة واردة. وهكذا رأينا أن الحذف قد يكون أحد الأوجه الممكنة في تعدد المعنى للآية الكريمة.

ثانيًا: احتمال حذف الفاعل أو عدم حذفه:

ومن الآيات التي تردد المعنى فيها بين حذف الفاعل وعدمه قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام ٩٤] وفاعل الفعل (تقطع) يجوز فيه أمران: أولهما: أن يكون هو الظرف (بينكم) لكنه استعمل منصوبًا حملا له على أغلب حالاته. والثاني: أن يكون الفاعل محذوفًا وحذفه يحتمل أمورًا:

١. أن يكون المقدر مصدر "تقطع"، أو (الأمر).

٢. الاسم الموصول (ما).

٣. أن (بينكم) صفة قامت مقام الموصوف أي: أمرٌ بينكم.

فعلى القول بأن الفاعل مذكور يصبح المعنى: لقد تقطع بينكم، فالذي تقطع البين، أما كونه محمولًا على الحذف فهو الأفضل، ولكن أي المعاني السابقة يقدَّر: ذكر الزمخشري: لقد وقع التقطع بينكم كما تقول: جمع بين الشيئين تريد: أوقع الجمع بينهما على إسناده الفعل إلى مصدره بهذا التأويل[٨٩]، ولقد كان الزمخشري دقيقًا حين قال: وقع التقطع بينكم؛ لأنه لو جاء بالفعل ومصدره لناقض المعنى؛ إذ يكون الكلام: لقد تقطع التقطع فيفيد الوصل بينهم وهو غير مراد؛ لأن المقصود حصول التقطع، وقد كان الفاعل اسمًا مبهمًا مما يناسب التقطع «فيقدر لقد تقطع الحبل أو نحوه قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة ١٦٦]. وقد صار هذا التركيب كالمثل بهذا الإيجاز، وقد شاع في كلام العرب ذكر التقطع مستعارًا للبعد وبطلان الاتصال تبعًا لاستعارة الحبل للاتصال»[٩٠]. والحديث عن وشائج تُقَطَّعُ فناسب المقام ألاَّ تذكر، وسياق الآية يساعد على ذلك؛ إن كل شيء تخلى عن هؤلاء الناس من أموال وأولاد وشركاء، فحذف الفاعل لذلك، وقد أسهم الحذف في بيان المعنى، وكان أحد الأوجه الممكنة في الآية بل كان أرجح الأوجه الممكنة فيها.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف ٣٥] وفي فاعل الفعل (بدا) أقوال منها:

١. أنه ضمير يعود على السجن أي: ظهر لهم حبسه، أو سجنه لقوله تعالى قبل ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾، وقوله في الآية نفسها: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾.

٢. أنه ضمير لمصدر الفعل، والتقدير: بدا لهم بِدَاء.

٣. أنه مضمر يدل على السياق أي: بدا لهم رأي.

٤. أنه الجملة من (ليسجننه)

وهذا رأي الكوفيين الذين يجيزون وقوع الجملة فاعلا أو نائب فاعل، وسياق الآية يبين صدق يوسف وبراءته، وإدانة امرأة العزيز بالمراودة، ثم هي تحتال لكي يكون قريبًا منها لعله يلين يومًا، وقد بينت عزمها الأكيد على حبسه حين قالت: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ أكدت السجن بالنون الثقيلة لقدرتها عليه، ثم أرادت تأكيد صَغاره فتذكرت أن ذلك لا تملكه، فخففت في التأكيد واستخدمت النون الخفيفة؛ لعدم قدرتها على ذلك، ثم بعد أن ظهرت براءته للعزيز تغيّر رأيه، فقرر أن يسجنه، ولعل هذا السياق يرجح الرأي الأول في جعل الفاعل مضمرًا، وليس محذوفًا والدليل عليه ذكر لفظة (السجن) قبل الآية، وفي أثناء الآية، وهذا أولى من بقية التقديرات؛ حيث إن الأمر لا يحتمل التأجيل. ولو قلنا: بدا لهم بِداء، أو بدا لهم رأي لاحتمل ذلك أن هذا الرأي سيأخذ مشاورات ومداولات، والعزيز يريد التخلص من يوسف بسجنه ليقطع ألسنة المتحدثين، والرأي الأخير الذي هو رأي الكوفيين لا يصلح؛ لأنه معارض بما هو أقوى منه حجة وهو الرأي الأول.

ثالثًا: حذف المبتدأ أو عدم حذفه:

ومن الآيات التي كان الحذف فيها من الأوجه الممكنة في أداء المعنى قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة ١] ويجوز في (براءة) أمران:

أولهما: أن تكون مبتدأ، و ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ﴾ خبره، وجاز الابتداء بالنكرة؛ لأنها خُصِّصَتْ بالوصف.

والثاني: أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: هذه براءة من الله ورسوله.

وهكذا يمكن أن يكون الحذف وجهًا من وجهي المعنى في الآية؛ إذ إنه يسهم

في أداء الغرض، فيكون قوله: (براءة) خبرًا لمبتدأ محذوف وقد «افتتحت السورة كما تُفْتَتَحُ العهود، وصكوك العقود بأدلّ كلمة على الغرض الذي يراد منها كما في قولهم: هذا ماعهد به فلان، وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان، وقول الموثقين: باع، أو وكّل، أو تزوج، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائل والمواثيق ونحوها» [٩١].

ولعله قد تآزر مع الحذف حذف آخر هو حذف البسملة من السورة، وسبب ذلك ما نقله الزمخشري في تفسيره أن سفيان بن عيينة سئل عن ذلك فقال: اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء ٩٤] ففي حذف البسملة احتراز من الوقوع في التناقض لما في البسملة من الأمان والرحمة، وما في قوله: (براءة) من شدة القطع والنبذ وإعلان المحاربة، ولا يفهم حذف البسملة هنا إلا حين ننظر إلى القرآن نظرة كلية، أو ما يمكن تسميته بالسياق العام للقرآن كله؛ إذ إننا نتحدث عن السياق الخاص هنا سياق الآية، وأحيانًا نتعرض لسياق السورة بيد أن النظر في السياق العام للقرآن يجعل هذا الرأي صائبًا، وقد قال حذيفة: إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركتْ أحدًا إلا نالت منه[٩٢] ولم يعرف سورة في القرآن أشد منها قسوة وعنفًا مع الكافرين فهي التي نبذتِ العهود، وحرضتْ على القتال، ومنعتِ المشركين من دخول البلد الحرام، وفضحتِ المنافقين، وهتكتْ أسرارهم، وقيل إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لما كتب في صلح الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم» لم يقبلوها، وردوها مما ردها الله عليهم[٩٣] وأيًّا ما كان الأمر فإن مدار ترك البسملة يرجع إلى الاتباع، ولعل من علل تركها إذا جاز لنا أن نجتهد فيه عدم التناقض؛ لأن البسملة أمان، والسورة نزلت بالعذاب، وبدأت بالبراءة من المشركين، وقد ذكر

كثير من العلماء أنها تكملة لسورة الأنفال، إذ هما سورة واحدة تكملان السبع الطوال، ولكني لا أرجح ذلك إذ إن سورًا في القرآن كثيرة ذكر العلماء أن الثانية منها تكملة للأولى، وذكرت بينهما البسملة، ومن ذلك سورتا الضحى والشرح، فإن الشرح إكمال لموضوع سورة الضحى، وهو تعديد نعم الله على رسوله –صلى الله عليه وسلم– ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ*أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

ومن الأمثلة سورتا الفيل وقريش: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، وممن عدّ السورتين واحدة أبيُّ بن كعب، ولا فصل بينهما في مصحفه [٩٤]. «وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب، وقرأ في الأولى والتين» [٩٥].

نعود إلى حديثنا في حذف المبتدأ كوجه من الأوجه المحتملة في الآية؛ حيث إن القول بالحذف يجعل المعنى: هذه ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ واعتبار عدم الحذف يجعل المعنى: براءة من الله ورسوله كائنة إلى الذين عاهدتم، أو حاصلة أو نحو ذلك فكان الحذف وجها ممكنا في الآية يسهم في أداء المعنى.

ومن أمثلة احتمال الحذف وعدمه وأثر ذلك في تعدد المعنى قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح ٢٩] فقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ فيه وجوه:

أحدها: خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو محمد الذي سبق ذكره بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [الفتح ٢٨] ورسول الله عطف بيان.

ثانيها: أن محمدًا مبتدأ خبره ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾، وهذا تأكيد لما تقدم؛ لأنه لما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾ ولا تتوقف رسالته إلا على شهادته، فقد شهد له بها من غير نكير.

وثالثها: وهو مستنبط، وهو أن يقال: محمد مبتدأ و﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ عطف بيان سيق

للمدح لا للتمييز (والذين معه) عطف على محمد، وقوله: أشداء خبره كأنه قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٩٦] فيشترك محمد رسول الله وأصحابه في الحكم المذكور بعد ذلك؛ وهو الشدة على الكفار، والرحمة فيما بينهم، وهكذا رأينا أن أحد الأوجه الثلاثة التي عرضها الرازي في معنى الآية يقوم على أساس تقدير حذف في الكلام؛ وهو المبتدأ، ومن ثم يسهم الحذف في إيجاد معنى للآية مغاير للوجهين اللذيْن لم يقدر فيهما الحذف، إذ يكون معنى الآية مع القول بالحذف: هو الذي أرسل رسوله بالهدى وهو محمد رسول الله، وهو معنى جيد يفوق المعاني الأخرى، وبخاصة حين نضع سبب نزول الآيات أمام أعيننا، فليس غرض الكلام بيان إثبات الرسالة له -صلى الله عليه وسلم- ولكن المقصود تعريفه؛ لأنه قد سبقت له صفات: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ وقبلها: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ فتحرك السامع أن يعرف من هذا الرسول؟ فقيل: هو محمد، وفي ذلك تعديد لمناقبه، يقول ابن عاشور: «وفي هذا نداء على إبطال جحود المشركين رسالته» حين امتنعوا من أن يكتب في صحيفة الصلح: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، وقالوا: «لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت»[٩٧].

ومن الأمثلة التي كان فيها الحذف أحد الأوجه الممكنة في الآية قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾ [الأحقاف ٣٥] فقوله: "بلاغ" فيه وجهان:

أولهما: أنه خبر مبتدأ محذوف وفي تقديره أمران:

١. تلك الساعة بلاغ بدليل سبق الكلمة بقوله: ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾.

٢. هذا بلاغ ويشار بهذا إلى القرآن والشرع.

أما الوجه الثاني: فتكون بلاغ مبتدأ وخبره ﴿لَّهُمْ﴾ السابقة عليه بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾، وعند ذلك يقف القارئ على: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ ثم يبدأ: ﴿لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ﴾ إذًا يجوز أن يكون في الكلام حذف أو لا يكون. والقاعدة العامة أنه: إذا دار الكلام بين الحذف وتركه فتركه أولى، وهذه القاعدة ليست على إطلاقها إذ المراد منها مناسبة المعنى؛ فلو كان المعنى بالحذف أقوى رجح الحذف على عدمه، وهذا ما يمكن أن نقوله هنا، إذ الحذف يقوي المعنى هنا ويكون راجحًا لأمرين:

١. لأن عدم الحذف فيه تكلف؛ حيث فصل بين المبتدأ أو الخبر بجملة تشبيهية طويلة.

٢. ولأن ﴿لَّهُمْ﴾ ظاهر التعليق بالفعل ﴿تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ حتى وصف السمين هذا الوجه بأنه (ضعيف جدًا) [٩٨].

ونقل القرطبي عن ابن الأنباري قوله: (وهذا خطأ) [٩٩] ولعل مما يؤيد القول بالحذف أمرين:

١. أن هذا المحذوف قد ظهر في موضع آخر، وما ذكر في القرآن معتبر، وهو في قوله تعالى ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم ٥٢].

٢. قراءة أبي مجلز التي نقلها السمين في الدر[١٠٠] وهي: (بَلِّغْ) بصيغة الأمر؛ حيث إنها تفيد أن المقصود من هذه اللفظة قضية التبليغ، وليس البلوغ؛ إذ إن المعنى على عدم الحذف يكون: (لهم بلاغ) أي: أَجَلٌ يبلغونه، وليس الأمر كذلك، وإن كان محتملًا لكنه ليس راجحًا، والأفضل والأبر بالمعنى: (هذا بلاغ) حيث السياق في السورة كلها من أولها، وهي تتحدث عن إعراض الذين كفروا، ثم إبطال آلهتهم بالتحدي، وتسفيه من يدعو من دون الله شركاء، ثم الرد عليهم في قولهم عن القرآن:

(سحر مبين)، وقولهم: (لو كان خيرًا ما سبقونا إليه)، وموقف المكذب بيوم القيامة العاق لوالديه، ثم الحديث عن عاد وما كان من تكذيبهم، وقد كانوا من أشد الناس قوة، ثم الاتجاه إلى أهل مكة، وبيان تمكينهم كما كان من قبلهم ممكنين، ثم الإهلاك للظالمين من أهل القرى، ثم إيمان الجن، ثم عظمة الله وقدرته، وعرض الكافرين على النار، وبيان مصير المكذبين، ثم الأمر بالصبر عليهم، وعدم طلب العذاب لهم، وبيان أنهم سوف يحتقرون حياتهم في الدنيا، ثم كان التوجه لهم بقول: بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون؟ فبعد هذه التطوافة في تكذيبهم، وتخويفهم بما كان قبلهم، وبما ينتظرهم يوم القيامة يقول لهم: هذا بلاغ لكم فارجعوا إلى ربكم.

ولعل حذف هذا المبتدأ هنا يجعل هذه الكلمة أشبه بإعلان يلفت النظر إفراده، وذكره دون مبتدأ يتعلق به، وكأن القرآن لا يريد أن يقرع سمع المكذبين سوى هذه الكلمة؛ لكي تملأ الحس، وتستولي على العقل دون غيرها من الكلمات. وهكذا كان الحذف أحد وجهين ممكنين في أداء المعنى بل كان الوجه الراجح في الآية الكريمة.

رابعًا: حذف الخبر أو عدم حذفه:

قد يكون الحذف أحد الأوجه الممكنة في الخبر، فيقدر الكلام مرة بالحذف، وأخرى من غير حذف، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت ٤١] يمكن حمل الآية على حذف الخبر، أو على عدم حذفه، فإن قيل بالحذف، فالتقدير يكون بما تدل عليه جملة الحال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ من تعظيم أمره، وإعلاء مكانته فيقدر: معذَّبون، أو مهلكون، أو خسروا الدنيا والآخرة، أو سفهوا أنفسهم، أو نحو ذلك، وإن قيل بأنه مذكور

فهو إما قوله: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وهذا ضعيف لطول الفصل، ولوجود مرجع لاسم الإشارة (أولئك) وهو ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وإما أن يكون ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بدلًا من ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ وبذلك يكون الخبر ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ وبه قال الزمخشري، ولم يذكر غيره[١٠١] وهو أوجَه من سابقه. بيد أن القول بحذف الخبر منه أوجَه وأحسن؛ لأن البدل أعيد معه العامل، وهذا غير مشهور كما ذكر ابن عاشور[١٠٢]، ولعل حذف الخبر يفيد تهويلًا عظيمًا لمن يكفرون بهذا القرآن حيث سيلقون شيئًا هائلًا بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾، ومن يكفر بالكتاب العزيز لابد أن يكون له عقاب شديد، وقد رجح الحذف الفخر الرازي أيضًا، بل قال عن وجه الحذف: والأول أصوب[١٠٣]. وحذف خبر (إن) إذا دل عليه دليل جائز عند سيبويه، وهو مذكور في الكتاب تحت عنوان: "هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة[١٠٤]، ولعلنا رأينا الحذف كان أحد الأوجه الممكنة في الآية، وقد أعان السياق والإعراب على تقدير الحذف وجعله وجهًا راجحًا.

ومن الآيات التي كان الحذف فيها أيضًا وجهًا يحمل المعنى قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل ١٠٦] يجوز في ﴿مَن كَفَرَ﴾ عدة أوجه:

١. أن تكون (مَن) مبتدأ ويكون بجملته بدلا من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ فيكون المعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره.

٢. أن تكون (مَن) بدلا من الخبر (الكاذبون) ويكون المعنى: أولئك هم الكاذبون وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه.

٣. أن يكون (مَن) مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: فعليهم غضب، ويدل

على الخبر المذكور ما بعد (من) الثانية.

٤. ذكر الفخر الرازي وجهًا رابعًا ملخصه أن ينتصب (مَن) على الذم، فيكون تقدير الكلام: وأولئك هم الكاذبون أعني من كفر بالله من بعد إيمانه يقول: «وهو أحسن الوجوه عندي، وأبعدها عن التعسف» [١٠٥].

ولعلنا قد رأينا الحذف أحد الأوجه الممكنة في أداء المعنى، بل هو الرأي الراجح حيث الوجهان الأولان لا يقومان بأداء المعنى على الرغم من احتمالهما مثلما يقوم الأخيران، فيمكن اعتبار الخبر محذوفًا، أو جعل الاسم (مَن) منصوب المحل على الذم [١٠٦].

خامسًا: حذف المضاف بين اعتبار الحذف وعدمه:

قد يكون الحذف وجهًا معتبرًا في حذف المضاف، فيتردد الكلام بين القول بحذف المضاف أو عدمه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ ﴾ [النساء: ٤٣] أجاز المفسرون في ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ وجهين:

١) حذف مضاف أي: مواضع الصلاة، وهي المساجد ويؤيد ذلك قوله تعالى ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾.

٢) أنه لا حذف فيه؛ ويكون المراد عدم قرب الصلاة نفسها، والأول مذهب الشافعي والثاني مذهب الأكثرين [١٠٧] فالمعنى على القول الأول: لا تقربوا المساجد وأنتم سكارى، ولا تقربوها وأنتم جنب إلا عابري سبيل، وبناء على هذا المعنى يجوز للجنب العبور في المسجد، والمعنى على القول الثاني: لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى، ولا تقربوها وأنتم جنب إلا عابري سبيل فيكون المراد من عبور السبيل هنا: السفر (فيكون هذا الاستثناء دليلا على أنه يجوز للجنب الإقدام على الصلاة عند العجز عن الماء) [١٠٨]، وقد آثر القرآن التعبير بالفعل (تقربوا)

منفيًّا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأنعام ١٥١] وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [لإسراء ٣٢] تنفيرًا من هذه الحالة، وهي قرب الصلاة مقيدة بالسكر، وكان من الممكن أن يقول: (لا تصلوا وأنتم سكارى) لكن هذه العبارة أدل على المعنى؛ لأنها حالة تنافى الصلاة، ونَهْى القرآن عن قرب أفضل ركن من أركان الإسلام يفيد التنفير من السكر عامة؛ لأنه يمنع من الصلاة، وكان في ذلك إيذان بتغيير حكم الخمر إن كانوا مؤمنين بدليل بدء الآية بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وقد رجح أصحاب الشافعي الرأي الأول القائل بأن في الآية حذفًا، ونقل الرازي استدلالهم، وذكروا أربعة أدلة على كلامهم:

١. أنه تعالى قال: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ والقرب والبعد لا يصحان على الصلاة نفسها على سبيل الحقيقة، وإنما يصحان على المساجد.

٢. أنّا لو حملناه على ما قلنا لكان الاستثناء صحيحًا، أما لو حملناه على ما قلتم لم يكن صحيحًا؛ لأن من لم يكن عابر سبيل، وقد عجز عن استعمال الماء بسبب المرض الشديد، فإنه لا يجوز له الصلاة بالتيمم، وإن كان كذلك كان حمل الآية على ذلك أولى.

٣. أنّا إذا حملنا عابر السبيل على الجنب المسافر فهذا إن كان واجدًا للماء لم يجز له القرب من الصلاة البتة، وحينئذ يحتاج إلى إضمار هذا الاستثناء في الآية. وإن لم يكن واجدًا للماء لم يجز له الصلاة إلا مع التيمم فيفتقر إلى إضمار هذا الشرط في الآية. وأما على ما قلناه فإننا لا نفتقر إلى إضمار شيء في الآية فكان قولنا أولى.

٤. أن الله تعالى قد ذكر حكم السفر، وعُدْم الماء، وجواز التيمم بعد هذا فلا يجوز حمل هذا على حكم مذكور في آية بعد هذه الآية، والذي يؤكد

أن القراء كلهم استحبوا الوقف عند قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ثم يستأنف: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَى﴾؛ لأنه حكم آخر [١٠٩].

هذه أدلة القائلين بالحذف، غير أن معنى الآية مستقيم بغير الحذف، وكنت قد ذكرت غير مرة مقولة ابن هشام أنه (إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه فعدمه أولى) وهو يقصد بذلك أن الحذف عدول، والذكر هو الأصل، والدليل على أن معنى الآية مستقيم على الحذف ما يلي:

١. قوله تعالى ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ وليس في المسجد -مكانًا- قولٌ يمنع منه السكر.

٢. أن سبب نزول الآية يأبى أن يكون المراد تقدير مضاف، وذلك ما رواه على بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعامًا فدعانا، وسقانا خمرًا، وحضرت الصلاة، فقدموني فقرأت فقلت: «قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون»، فأنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَاتَقُولُونَ﴾ رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح. وسياق الحديث يفيد أن الصلاة لم تكن في المسجد؛ لأن الذي صلى بهم علي ابن أبي طالب، وليس النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإذا انضاف إلى ما سبق أن الحذف عدول، والأولى عدم اللجوء إليه إلا عند الحاجة حيث لا يستقيم المعنى إلا به، أو لا يقوم الإعراب إلا بالتقدير ثبت أن الأولى عدم القول بالحذف في هذه الآية.

وقد رأينا كيف أسهم الحذف في معنى الآية، وقد تردد المعنى بين القول بالحذف وعدمه، وقد كان للحذف دور فاعل في بيان حكم شرعي.

ومن الأمثلة قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ

دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم ٢٨] يقول الزمخشري: «بدلوا نعمة الله أي: شكر نعمة الله كفرًا؛ لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرًا، فكأنهم غيَّروا الشكر إلى كفر، وبدلوه تبديلًا ونحوه ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة ٨٢] أي: شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه. ووجه آخر وهو: أنهم بدلوا نفس النعمة كفرًا على أنهم لما كفروا سُلِبُوها، فبقوا مسلوبي النعمة، موصوفين بالكفر، حاصلا لهم الكفر بدل النعمة»[١١٠].

فعلى الوجه الأول يكون في الكلام حذف تقديره: أنهم بدلوا شكر نعمة الله كفرًا، وعلى الوجه الثاني فلا حذف. والآيات السابقة على هذه الآية حديث للمؤمنين والكافرين، ومثال لهؤلاء وهؤلاء، ثم الله يثبت المؤمنين بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، وأما الظالمون فيضلهم الله ويفعل ما يشاء، ثم يستأنف سؤالًا تعجيبيًّا، ويأتي بعده بفعل الرؤية، فنزَّل المخاطب منزلة من لم ير ولم يسمع عن هؤلاء، والخطاب لكل من يصح منه النظر إلى حال هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرًا، ونعمة الله هنا كلمة عامة تشمل كل النعم التي وهبها الله لأهل مكة من الأمن في السفر، واحترام الناس، ومجيء الثمرات من كل مكان، وأهم هذه النعم وأولاها وأعظمها رسالة محمد –صلى الله عليه وسلم–وهو دعوة إبراهيم عليه السلام. فكان الأصل أن يؤمنوا بها، فلما كذبوا جعلوا مكان الشكر الكفر، وسبب نزول الآية تكذيب قريش الرسول –صلى الله عليه وسلم–يجعلنا نرجح الرأي الأول القائل: إن في الآية حذفًا أي: شكر نعمة الله كفرًا وإن كان كلا المعنيين يحتمل: كل وجه باعتبار معين[١١١].

سادسًا: المفعول بين القول بالحذف وعدمه:

من أمثلة حذف المفعول على رأي، والقول بعدم الحذف على رأي آخر، قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾

[البقرة ٢٠٠] ذكر السمين في مفعول (آتنا) الثاني ثلاثة أقوال:

١. أنه محذوف اختصارًا أو اقتصارا؛ لأنه من باب أعطى – أي: آتنا مانريد، أو مطلوبنا.

٢. أن (في) بمعنى (من) أي: آتنا من الدنيا و"من" هنا تبعيضية.

٣. أن (في) زائدة. وتقدير الكلام: آتنا الدنيا، ثم كان تعليقه بعد ذلك (وليسا بشيء) [١١٢].

فعلى القولين الأخيرين لا حذف في الكلام؛ لأن كون (في) بمعنى (من) يجعل شبه الجملة سادًّا مسد المفعول المحذوف، فلا حاجة إليه، وكون (في) زائدة يجعل المعنى في قولهم: ربنا آتنا الدنيا، ولكن الأحسن والأفضل والأبر بالمعنى أن يكون المحذوف المفعول الثاني لوجود ما يدل عليه في دعاء طائفة أخرى ترجو رحمة الله ورضوانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فلما كانت الطائفة الأولى لا ترجو الآخرة، ولا تعمل لها قالوا: ربنا آتنا في الدنيا أي: ما نريد، أو آتنا مطلوبنا ولم نقدِّر: (آتنا في الدنيا حسنة)؛ لأنهم لا يريدون الحسنة، ولكن يريدون المال والعيال والمتع التي يتمتع بها أهل الدنيا.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات ١] ذكر الزمخشري في مفعول (تقدموا) وجهين: «أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدم. والثاني: ألا يقصد قصد مفعول. ولا حذف ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [غافر ٦٨] ويجوز أن يكون (قَدَّمَ) من قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّم كوجّه وبيّن، ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته؛ وهي الجماعة المتقدمة

منه، وتعضده قراءة من قرأ: (لا تَقَدَّمُوا) بحذف إحدى تاءي (تتقدموا) إلا أن الأول أملأ بالحسن، وأشد ملاءمة لبلاغة القرآن، والعلماء له أقبل» [١١٣]

ويستخلص من كلام الزمخشري أن الفعل (تقدموا) يجوز فيه أمران:

١) أن يكون لازمًا أي: لا يصل إلى المفعول ويكون (تَقَدَّموا) مثل وجّه وبيّن.

٢) أن يكون متعديًا وفي هذه الحال يكون المفعول محذوفًا اقتصارًا، وهو عدم القصد إلى المفعول، بل تتوفر العناية إلى الفعل مقترنًا بفاعله، مثل: هو يعطى ويمنع أي: يكون منه الإعطاء والمنع دون النظر إلى المعطَى والممنوع، وإما أن يكون محذوفًا اختصارًا، ومعنى الاختصار أنه معتبَر حُذِف لقصد العموم؛ ليشمل كل ما يتناوله التقديم من معنى يقع في النفس.

وقد استبعد الزمخشري الرأي الأول القائل بلزوم الفعل، وبقي الرأي الثاني القائل بتعديته ثم لم يَحْسِمْ الأمر، فترك الفعلَ مترددًا بين الاقتصار والاختصار[١١٤].

وقد رجح أبو السعود القول بالاقتصار؛ لأنه «أوفى بحق المقام؛ لإفادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعول بالطريق البرهاني»[١١٥] وقد بدأت السورة بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهو نداء محبب يستميل القلوب لتفعل ما يأتي بعده، أو تنتهي عما ستنهى عنه.

ومن الأمثلة التي يحتمل فيها الكلام الحذف وعدمه قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٧١] يقول الفخر الرازي: للعلماء من أهل التأويل في هذه الآية طريقان: أحدهما: تصحيح المعنى بالإضمار في الآية. والثاني: إجراء الآية على ظاهرها من غير إضمار، أما الذين أضمروا فذكروا وجوهًا:

الأول: وهو قول الأخفش والزجاج وابن قتيبة فإنه قال: ومثل من يدعو

الذين كفروا إلى الحق كمثل الذي ينعق، فصار الناعق الذي هو الراعي بمنزلة الداعي إلى الحق وهو الرسول –صلى الله عليه وسلم– وسائر الدعاة إلى الحق، وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها. ووجه التشبيه أن البهيمة تسمع الصوت ولا تفهم المراد، وهؤلاء الكفار كانوا يسمعون صوت الرسول –صلى الله عليه وسلم– وألفاظه، وما كانوا ينتفعون بها وبمعانيها فلا جرم حصل وجه الشبه. فالمحذوف هنا هو الداعي.

الثاني: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم من الأوثان كمثل الناعق في دعائه ما لا يسمع كالغنم، وما يجري مجراه من الكلام، والبهائم لا تفهم. فشبه الأصنام –في أنها لا تفهم– بهذه البهائم. فالمحذوف هو المدعو وفي القول السابق المحذوف هو الداعي.

وفيه سؤال وهو أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ لا يساعد عليه؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئًا.

الثالث: قال ابن زيد: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم، كمثل الناعق في دعائه عند الجبل، فإنه لا يسمع إلا صدى صوته، فإذا قال: يا زيد يسمع من الصدى: يا زيد فكذلك هؤلاء الكفار إذا دَعَوْا هذه الأوثان لا يسمعون إلا ما تلفظوا به من الدعاء والنداء.

الطريق الثاني في الآية وهو إجراؤها على ظاهرها من غير إضمار وفيه وجهان:

الأول: أن يقول: مثل الذين كفروا في قلة عقلهم في عبادتهم لهذه الأوثان، كمثل الراعي إذا تكلم مع البهائم، فكما أنه يُقضى على ذلك الراعي بقلة العقل فكذا ههنا.

الثاني: مثل الذين كفروا في اتباعهم آباءهم، وتقليدهم

لهم، كمثل الراعي إذا تكلم مع البهائم، فكما أن الكلام مع البهائم عبث عديم الفائدة، فكذا التقليد عبث عديم الفائدة [١١٦].

فقد اختلف المعنى حسب اختلاف الاعتبار؛ فحين نقول بالحذف نقدِّر ما يصحح المعنى، حتى لا يُشَبَّه الكفار بالناعق، وحين نجري الآية على ظاهرها من غير اعتبار للحذف يصبح المعنى على ما ذكرنا [١١٧].

الخاتمة

بعد رحلة ماتعة مع النص القرآني، وتأمل في تركيبه من خلال مفهومين يمكن أن يتآزرا فينتجا معاني جديدة هما: الحذف وتعدد المعنى كان هذا البحث الذي حمل عنوان: الحذف وتعدد المعنى في النص القرآني، ومن خلال تأمل التركيب القرآني وإبراز ما يفيده الحذف لغويًّا من معانٍ كان تعدد المعنى مبرزًا عددًا من النتائج ذكرت بعضها، وتركت أخرى ليستنتجها من يمخر في عباب هذا البحث ومن النتائج التي توصلت الدراسة إليها:

١. يعد الحذف أحد الدوالّ اللغوية الراقية في دراسة علم الدلالة.

٢. أن الحذف في البلاغة القرآنية يفيد -من ضمن ما يفيد- تعدد المعنى.

٣. أن تعدد المعنى يعني أن يحتمل التركيب أكثر من معنى في القراءة الواحدة والسياق الواحد، قد يرجح أحدها على الباقي، وقد يتساوى الجميع في احتمال القصد والإرادة، ولكن الذي لا يكون هو أن يتعين أحدها وينعدم الباقي.

٤. أن من أسباب تعدد المعنى: الوقف والابتداء، واختلاف القراءة، واختلاف مرجع الضمير.

٥. أن من ضـوابط تعدد المعنى بالمفهوم الذي آثرناه: اتحاد القراءة، وثبات السياق اللفظي.

٦. أن تعـدد المعنى ينتج عن تعـدد تقدير المحذوف (الـذي قد يكون حرفا أو كلمة) في الجملة الواحدة.

٧. أن الـكلام قـد يحذف منـه جملة وقد تقـدر هذه الجملـة فيترتب على تقديرها تعددٌ للمعنى.

٨. أن تعدد المحذوف قد ينتج عنه أحكام شرعية.

٩. أن الحـذف قـد يكـون أحد الأوجـه الممكنـة في أداء المعنى، واسـتقامة الكلام، وتعدد المعنى حسب اختلاف النحاة والمفسرين في تأويل الآية.

وهناك نتائج أخرى تبرز في أماكنها من الدراسة.

أسأل الله أن ينفع بها وأن يتقبل هذا العمل.

المصادر والمراجع

١. اسـتثمار الأسلوب العدولي في تذوق النص القرآني، د/عيد شبايك، مطابع جامعة المنوفية، ٢٠٠٤ م.

٢. الإشـارة إلى الإيجـاز، عز الدين بن عبد السـلام، المكتبـة العلمية، المدينة المنورة، د.ت.

٣. الإنصـاف فيما تضمنه الكشـاف من الاعتزال، أحمد بن المنير الإسكندري بهامش الكشاف، مكتبة مصطفي البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٩٧٢م.

٤. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسـي، دار الكتاب الإسـلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م.

٥. بديـع القـرآن، ابن أبي الإصـبع، تحقيق: د. حفني شـرف، نهضـة مصـر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، د.ت.

٧. البيان في روائع القرآن، د / تمّام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢ م.

٨. البيان والتبيين. عمرو بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٥، ١٩٨٥ م.

٩. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ت: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦ م.

١٠. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د. ت.

١١. تراث معاني القرآن في العربية، د/ منير جمعة أحمد، رسالة دكتوراه مخطوطة، مكتبة كلية الآداب، جامعة المنوفية، ٢٠٠٥ م.

١٢. تعدد المعنى في النص القرآني، دراسة دلالية في تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، إيهاب النجمي، رسالة ماجستير، مكتبة كلية الآداب، جامعة المنوفية.

١٣. تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٤. التفسير البياني للقرآن الكريم، د / عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»، دار المعارف، ط٧، ١٩٩٠م.

١٥. الجامع الصحيح المختصر، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

١٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب العلمية، توزيع دار ابن خلدون، الإسكندرية، ط٥، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

١٧. الجملة العربية والمعنى، د/ فاضل السامرائي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.

١٨. الخصائص، ابن جنى، ت: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د. ت.

١٩. خصائص التراكيب، د/ محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٢٠. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م.

٢١. دلالة السياق، ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، مطبوعات جامعة أم القري، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٢٢. ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٣. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م.

٢٤. شعر البحتري في أبي سعيد الثغري، دراسة بلاغية، إبراهيم عبد الفتاح، رسالة ماجستير، نسخة الباحث، ٢٠٠٢م.

٢٥. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٢٦. ظاهرة التأويل في إعراب القرآن، محمد عبد القادر هنادي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٨م.

٢٧. علم الدلالة، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م. التأويل اللغوي للقرآن الكريم ٣٣.

٢٨. الفاصلة القرآنية بين المبنى والمعنى، د / عيد شبايك، مركز معالجة الوثائق، شبين الكوم، ط١، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م.

٢٩. فتح القدير، الشوكاني، عالم الكتب، د. ت.

٣٠. الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، ت: محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٣. المحرر الوجيز، ابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٣٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

٣٥. المطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ.

٣٦. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مراجعة أ/ علي النجدي ناصف، طبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٣٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، د. ت.

٣٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ت: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

٣٩. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، دار الغد العربي، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٤٠. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م.

الهوامش:

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر ١١.

(٢) التأويل اللغوي للقرآن الكريم ٣٣.

(٣) البيان والتبيين ١/ ٧٥.

(٤) في الدلالة اللغوية ٢٣.

(٥) البيان في روائع القرآن ١٠٩/٢.

(٦) الحديث مروي في كنز العمال للمتقي الهندي مج ١ باب سابع في تلاوة القرآن وفضائله... رقم ٢٤٦٩، وذكره الزركشي في البرهان وزاد فيه لفظتين (القرآن ذلول ذو وجوه محتملة فاحملوه...) البرهان ٢/ ١٨٠.

(٧) البرهان ١٨٠/٢.

(٨) زاد المسير ٢ / ٦٨.

(٩) زاد المسير ٢ / ٦٨

(١٠) البحر المحيط ٣ / ٧٣، والدر المصون ٢ / ٢٢٨.

(١١) وكان الدكتور منير جمعة قد فَصَّلَ في أسباب تعدد المعنى فقسمها إلى:

١- أسباب نحوية وتشمل:

أ) الخلاف في عود الضمير وقد مثلنا له بآية ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء: ٥٥]

ب) تقدير الموقع الإعرابي كما في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة ٢] فإنه رفع من وجهين ونصب من وجهين...) فالخلاف في موقع كلمة «هدى» هو الذي أدى إلى تعدد المعنى.

٢- أسباب صوتية وتشمل: أ) الوقف ومثل له بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] عند من يقف على «يقولون». / ب) التنغيم وذلك كقول النيسابوري في باهر البرهان: (٦٣/١) في ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٣٣] ألف تنبيه وتقرير لا تقريع وتوبيخ.

٣- أسباب صرفية وتتركز في دلالة الصيغ كأن يدل اللفظ على الواحد والجمع كالسمع في قوله تعالى ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

٤- أسباب دلالية وتشمل: أ) تردد المعنى بين الخصوص والعموم مثل كلمة «الناس» في ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩] فمن المقصود بالناس؟ أهم الناس جميعًا أم العرب خاصة؟

ب) التعبيرات الاصطلاحية كما في قول الزمخشري في أساس البلاغة (١١٨/٢ – ١١٩) ليس هذا بعُشِّك فادرجي يقال لمن ينزل منزلا لا يصلح له.

ج) تعدد المعنى لاعتبارات سياقية: كاختلاف جهة تعلق الكلام كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [يونس ١٢] فهو اختلاف في تعلق (لجنبه) وما عطف عليه أهو بمسّ أو بدعانا. انظر: تراث معاني القرآن في العربية د/ منير جمعة: ٦٦١ وما بعدها.

(١٢) تعدد المعنى في مفاتيح الغيب للفخر الرازي، إيهاب النجمي ٤.

(١٣) رواه البخاري باب ما جاء في المتأولين رقم٦٥٤٠ – ومسلم باب من فضائل أهل بدر وقصة حاطب رقم (٢٤٩٤).

(١٤) كنت قد ذكرت هذا الكلام قبل الاطلاع على كتاب: دلالة السياق للدكتور ردة الله الطلحي، ومثلت بالمثال نفسه، وعندما نظرت في الكتاب وجدت هذا الكلام متطابقا تماما مع ما ذكرته في رسالتي للماجستير شعر البحتري أبي سعيد الثغري، دراسة بلاغية، ٢١١، وانظر: دلالة السياق ١٩٢.

(١٥) الدر المصون ١/ ٣٥٣.

(١٦) ظاهرة التأويل في إعراب القرآن ٢٣١.

(١٧) الكشاف ٣٧٦/١، وزاد المسير٢٣٦/١، والجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٢، ومفاتيح الغيب ٣ / ٤٦٤ وغيرها.

(١٨) البحر المحيط ٢ / ٢٤٣.

(١٩) الدر المصون ١ / ٥٨٩.

(٢٠) الدر المصون ٥٨٩/١.

(٢١) انظر سورة الإسراء (١٦). ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾. هل الأمر في الآية بالفسق؟ أو أنه أمر بالطاعة؟ وهناك حديث طويل حول هذه الآية في الكشاف للزمخشري، رجح فيه ما يوافق مذهبه الاعتزالي، وردَّ عليه ابن المنير في حاشية الانتصاف، فليراجع في مظانه.

(٢٢) زاد المسير ١ / ٢٨٢، والحديث رواه أحمد في المسند ٢ / ٤١٢.

(٢٣) الكشاف ١ / ٤٠٧.

(٢٤) الدر المصون ١ / ٦٩٥.

(٢٥) الكتاب ١ / ٣٤٦.

(٢٦) ذكر ذلك الزركشي في البرهان ١١٤/٣، وقد رجعت إلى معاني القرآن للفراء في تفسير هذه الآية فلم أجد التقدير الذي نسبه الزركشي للفراء.

(٢٧) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٦.

(٢٨) الدر المصون ٦ / ٤٢٦.

(٢٩) الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٦١.

(٣٠) هناك عبارة استخدمها أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى وهي: (ننظر إلى الأبرِّ بالمعنى) في كتاب التصوير البياني، وهو يفرق بين الاستعارة التبعية والمكنية؛ حيث إن كل استعارة تبعية يمكن اعتبارها مكنية؛ ففي قوله تعالى: (ولما سكت عن موسى الغضب) إن جعلنا الاستعارة في سكت

بمعنى ذهب فهي استعارة تبعية. وإن جعلنا الاستعارة في الغضب كانت الاستعارة مكنية. وتقدير المعنى على كل واحدة من الاثنتين يختلف، وهنا كانت كلمة أستاذنا: أن ننظر إلى الأبرِّ بالمعنى، فيكون الترجيح بينهما حسب ما يكون أكثر خدمة وبرًّا بالمعنى.

(٣١) انظر مثلا النساء (٢٤)، المائدة (٩٦)، الأنعام (٢٢)، يونس (٤)، الفرقان (٢٢)، يس (٥).

(٣٢) الكشاف ٣ / ٣٧٤، زاد المسير ٧ / ٢٤، مفاتيح الغيب ١٣ / ٣٢٤، الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ١٢٧ وغيرها.

(٣٣) وفي هذا الكلام نظر لأنه ليس هناك في اللفظ ما يفيد تكرار هذه الكلمة إذ الأفعال كلها ماضية تفيد أنه قال بعد غروب الشمس أو بعد تواري الخيل.

(٣٥) مفاتيح الغيب ١٣/ ٣٢٦.

(٣٥) وردت كلمة (زُيِّن) مبنية للمفعول في القرآن عشر مرات، وكلها ينطبق عليها الكلام المذكور (أن يكون المزين هو الله عند أهل السنة، أو يكون المزين هو الشيطان عند المعتزلة) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ٤٢٦.

(٣٦) البحر المحيط، ٢/ ١٢٩.

(٣٧) الكشاف ٢/ ٣٥٤.

(٣٨) البحر المحيط ٢/ ١٢٩.

(٣٩) هي قراءة مجاهد وحميد بن قيس وأبي حيوة. انظر: البحر المحيط، ١٢٩/٢، والدر المصون، ٥١٧/١.

(٤٠) البحر المحيط، ٢/ ١٣٠.

(٤١) وهناك أمثلة أخرى لحذف الفاعل تؤدي إلى تعدد المعنى منها: البقرة ٢٥٩ – الأنعام ٦٠، سبأ ١٥ وغيرها.

(٤٢) زاد المسير ١/ ١٨٧، وغيرها من الكتب.

(٤٣) الكشاف ١/ ٣٥٢، التحرير والتنوير ٢/ ٢٦٤.

(٤٤) الكشاف ١/ ٣٥٢.

(٤٥) فتح القدير ١/ ٢٠٥.

(٤٦) مفاتيح الغيب ٣/ ٢٢٦.

(٤٧) مفاتيح الغيب ٣/ ٢٢٦.

(٤٨) ذكر ذلك القرطبي ٢/ ١١.

(٤٩) الكشاف ٣/ ٤٤٨.

(٥٠) البحر المحيط ٧/ ٤٩٠.

(٥١) الدر المصون ٦/ ٦١.

(٥٢) التحرير والتنوير ٢٤/ ٢٥٥.

(٥٣) انظر الكشاف ٤/ ٢٦٣ مثلًا.

(٥٤) البحر المحيط ٨/ ٤٨٥.

(٥٥) تفسير أبي السعود ٩/ ١٦٩.وقد ذكر أبو السعود أنه لموافقة رءوس الآي، وللعلم به أيضًا.

(٥٦) المفردات: ٦٢٢.

(٥٧) الكشاف ٤/٢٦٣.

(٥٨) التفسير البياني ١/٣٣.

(٥٩) مفاتيح الغيب ١٦/ ٤٦٨.

(٦٠) ينظر الفاصلة القرآنية ١٧٠، وينظر استثمار الأسلوب العدولي في تذوق الأسلوب القرآني ٨٩-٩٠.

(٦١) وهناك أمثلة أخرى منها البقرة (٢٢٣، ٢٥٣)، آل عمران (١٧٤)، الكهف (٢).

(٦٢) الدر المصون ٢/ ١٨٩.

(٦٣) وهناك أمثلة أخرى منها النساء (٧٩)، هود (٦٩)، الأحقاف (٣٥) وغيرها.

(٦٤) الكشاف ٣/ ٣٠١، القرطبي ١٤/٢٠٨.

(٦٥) زاد المسير ٦/ ٢٥٧.

(٦٦) فتح القدير ٤/ ٣٣٩، زاد المسير ٦/ ٢٥٧.

(٦٧) ذكر ذلك الشوكاني في فتح القدير ٤/٣٣٩.

(٦٨) الشوكاني في فتح القدير ٤/٣٣٩.

(٦٩) الحديث سبق تخريجه ص٣.

(٧٠) المطول على التلخيص ١٤٢.

(٧١) خصائص التراكيب ٢٢١.

(٧٢) يقول ابن هشام: (إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرًا فكونه خبرًا أولى؟ قال الواسطي: الأولى كون المحذوف مبتدأ؛ لأن الخبر محط الفائدة، وقال العبدي: الأولى كونه الخبر؛ لأن التجوز في أواخر الجملة أسهل) ينظر مغنى اللبيب ٨٠٥.

(٧٣) البيت في: خزانة الأدب ٤/١٦٩، والخصائص ٢/٣٦٢، ومغني اللبيب ٨٢٦، واللمع ١/ ٣٠، وديوانه ١١٦، (دار الكتاب العربي).

(٧٤) ينظر في ذلك بديع القرآن لابن أبي الإصبع، ص ٥٥، وهناك أمثلة أخرى منها: المائدة ٩٧ – الأنفال ١٨ - مريم ٢ – النور ١- الحج ٣.

(٧٥) الدر المصون ٣٩٧/٤ وهناك أمثلة أخرى منها: الحج ٦٠ – النور ٦- سبأ ٣٣ – فصلت ٤٤.

(٧٦) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٩٧.

(٧٧) المحرر الوجيز ١٢٣/٢.

(٧٨) وهناك مثال آخر: النساء: ١٧٦.

(٧٩) الإشارة إلى الإيجاز صـ ١٤٩.

(٨٠) هناك أمثلة أخرى منها: البقرة: ٢٣٧، النساء: ١٣٥، الحج: ٣٢ وغيرها.

(٨١) دلالة السياق ٣٤١.

(٨٢) الحديث في صحيح البخاري برقم ٢٣٦٢ ج ٢ / ٨٨٣ باب: تركة اليتيم وأهل الميراث، وفي صحيح مسلم برقم ٣٠١٨ ج ٤ / ٢٣١٤ كتاب التفسير.

(٨٣) قد يتآزر مع الحذف أمور أخرى هي التي تؤدي إلى تعدد المعنى في الجملة مثل:

تعدد دلالات المفردة كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه: ٧٢] فإذا كانت الواو عطفًا عطفت ﴿مَا جَاءَنَا﴾، وإذا كانت الواو قسما فيكون المعنى قسما على أنهم لن يؤثروه على ما جاءهم من البينات.

تعدد احتمالات دلالة الصياغة: كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣] فـ «عاصم» يحتمل أن تكون اسم فاعل على حقيقتها، ويحتمل أن تكون اسم مفعول أي لا معصوم.

احتمال الكلام للإنشاء والخبر ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ [المائدة ٢٣] فجملة ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ تحتمل الخبرية والإنشائية فتكون دعاء لهما. [انظر الجملة العربية والمعنى، ٨٣ وما بعدها].

(٨٤) التحرير والتنوير ١/ ٥٠٥.

(٨٥) الكشاف ١٩/٤.

(٨٦) الكشاف ٢/ ١٥٩.

(٨٧) مفاتيح الغيب ١٤/ ٥٠٠.

(٨٨) الدر المصون ٣/ ٤٢١.

(٨٩) الكشاف ٣٦/٢.

(٩٠) التحرير والتنوير ٧/ ٣٨٥.

(٩١) التحرير والتنوير ١٠٢/١٠.

(٩٢) الكشاف ٢/ ١٧١.

(٩٣) زاد المسير ٣/ ٢٩٥.

(٩٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٧.

(٩٥) الكشاف ٤/ ٢٨٧.

(٩٦) مفاتيح الغيب ١٤ / ٣٥٢.

(٩٧) التحرير والتنوير٢٥/٢٠٣.

(٩٨) الدر المصون ٢/ ١٤٥.

(٩٩) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٤٦.

(١٠٠) الدر المصون ٦/ ١٤٥.

(١٠١) الكشاف ٣/٤٥٥.

(١٠٢) التحرير والتنوير ١٤/٢٠٠٦.

(١٠٣) مفاتيح الغيب ١٣/ ٦٤٥.

(١٠٤) كتاب سيبويه ٢/ ١٤١.

(١٠٥) مفاتيح الغيب ٩/ ٦٤١.

(١٠٦) وهناك أمثلة أخرى لحذف الخبر منها: الأعراف (١٧٠)، التوبة (٣، ٦٢)، الأنبياء (٧٩)، سبأ (١٠)، الطلاق (٤).

(١٠٧) مفاتيح الغيب ٩/٢٢٠ - ٢٢١.

(١٠٨) مفاتيح الغيب ٢٢١.

(١٠٩) نقل هذه الأدلة الفخر الرازي في مفاتيح الغيب ٩/ ٢٢١ -٢٢٢.

(١١٠) الكشاف ٢/ ٣٧٧.

(١١١) وهناك أمثلة أخرى منها آل عمران (٢٨)، الزخرف (٨٨)، العلق (١٧) وغيرها.

(١١٢) الدر المصون ١/ ٥٠٠.

(١١٣) الكشاف ٣/ ٥٥٢.

(١١٤) يقول الدكتور محمد أبو موسى (والزمخشري كثيرًا ما يردد حذف المفعول بين فرضين: الأول: إرادة العموم فيحذف؛ ليشمل كل ما يمكن أن يقع على الفعل، والثاني: ألا يراد له مفعول أصلا وهذا واضح في الآية السابقة ويقول مثله في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ٤٠٧).

(١١٥) تفسير أبي السعود ٨/ ١١٦.

(١١٦) مفاتيح الغيب ٤/٣٦.

(١١٧) وهناك مثال آخر انظر سورة الطور (٣٨).

قراءة لُغويَّة في ديوان الزمن الأخضر

د.محمد جمعة الدِّربيّ

توطئة:

الزمن الأخضر عنوان ديوان الأديب المؤرِّخ الجزائريّ الأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله (١٩٣٠- ٢٠١٣م)، ويتميَّز هذا الديوان باحتوائه على نماذج من الشعر الحرّ (شعر التفعيلة) بجانب الشِّعر العموديّ. وقد درس صاحبه العروض والقافية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ولقي كثيرًا من الشعراء المصريِّين، بل إنَّ معظم قصائد الزمن الأخضر مكتوبٌ إبّان إقامة سعد الله بالقاهرة[١]؛ ولا شك أن الفترة التي قضاها في مصر جعلته عن طريق دار العلوم- وكانت يومئذ صرحًا لغويًّا شامخًا موازيًا للأزهر الشريف- يلتقي بأكابر الأدباء والشعراء؛ فنظم قصائد ثورية في سبيل الدفاع عن القضية الجزائرية، ولا شك كذلك أن المنافسة العلمية بينه وبين زملائه في الزيتونة بتونس كان لها دور في تشجيعه على مواصلة قراءة الشعر[٢].

وكان سعد الله يعرف قيمة الأدب عامّة؛ فكتب (تجارب في الأدب والرحلة)، و(دراسات في الأدب الجزائريّ الحديث)، و(القاضي الأديب الشاذلي القسنطينيّ)، والمجموعة القصصية (سعفة خضراء)، وحقَّق رواية (حكاية العشاق في الحب والاشتياق)، وكان يعرف قيمة الشعر ودوره السياسيّ؛ فنشر قصيدة الشاعر اللبنانيّ محمد علي الحوماني، وكتب(محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائريّ الحديث)، وقام بتحقيق(أشعار جزائرية)، وله من الشعر

مجموعة (ثائر وحب)، ومجموعة (النصر للجزائر)، وديوان (الزمن الأخضر) الذي يحمل عنوان إحدى قصائده ويضمّ جُلّ شعر سعد الله أو جميعه لا سيما قصائده التي تحمل عناوينها إشارات ثورية نضالية مثل: الثائر الأسير، وثائر وحب، والثورة، والجرح والمصير، وشاعر حر، وشعب الله، وصرخة الجلاء، وعودة النسور، وغضبة الكاهنة، وفداء الجزائر، والفدائيّ، وكفاح إلى النهاية، وليلة الرَّصاص، ومواكب النسور، والنصر للشعب.

وبالإضافة إلى هذا الرصيد الشعريّ كان لسعد الله منشوراته عن الأدب الجزائريّ ضمن الحياة الثقافية في الجزائر في فترة الثورة التحريرية من خلال متابعته مختلف الأنشطة الثقافية. واستطاع أن يضع يده على روافد الشعر العربيّ الحديث؛ فقال مفتخرًا: «... كما قرأتُ لجبران خليل جبران كلَّ كتبه تقريبًا، ثم توالت اهتماماتي بالشعر المهجريّ وبشعر مدرسة أبوللو خصوصًا شعر أحمد زكي أبو شادي، وتابعتُ معركة القديم والجديد في مصر على صفحات الرسالة والثقافة وغيرهما»[٣].

فكيف عبَّر شعر سعد الله شكلًا ومضمونًا عن فكره ووطنيته ومشاعره؟ وكيف استلهم شعره السياق الثقافيّ والسياسيّ والاجتماعيّ في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسيّ؟ لا شكَّ أن الإجابة تحتاج إلى مساحة تزيد على هذه الإطلالة السريعة، ولكنني أركِّز هنا على ديوان (الزمن الأخضر) مع الاستئناس في بعض المواضع بديوان (النصر للجزائر) الذي يُعدّ أول ما نشره أبو القاسم سعد الله من أشعار وإن لم يكن أوَّل ما نظَمه، ومع الإشارة في الوقت نفسه إلى ما كتبه الأستاذ الجزائريّ عبد الكريم شبرو في رسالته للماجستير (التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله)؛ حيث سار في ركاب بعض أخطاء الديوان، وزاد هو أخطاء أخرى لا تصحّ نسبتها إلى شاعر كبير مثل أبي القاسم سعد الله[٤]، وسوف أركِّز هنا على القراءة اللغويَّة مستغنيًا بها عن كثير من القضايا العروضيَّة[٥]!

أولًا: التقليد والتجديد في الدِّيوان:

عُرِف سعد الله- بجانب شعره الكلاسيكيّ- رائدًا من رواد الشعر الحُرّ في الجزائر؛ حيث رأى أن الشعر الحُرّ «جزء من ثورة أو شكل من أشكال الثورة»[٦]، ويبدو أن الفترة التي قضاها في القاهرة وثَّقتْ صلته بشعراء مصر المتمرِّدين مثل: أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور ومحمود أمين العالم ورجاء النقاش وغيرهم.

ويبدو كذلك أن اتصال سعد الله بالأدب الغربيّ - بجانب أحوال المجتمع العربيّ المتناقضة- دفعه إلى التمرُّد على الطرق الشعرية التقليدية؛ ففي مقدمة ديوانه: « غير أن اتصالي بالإنتاج العربيّ القادم من المشرق- ولا سيما لبنان- واطلاعي على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية والنظريات النقدية حملني على تغيير اتجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر»[٧].

ومن الشعر الكلاسيكيّ في ديوان الزمن الأخضر قولُ سعد الله[٨]:

شعب الجزائر في انتفاضته (م) وجولته الغَضُوب
شعب تدافعَ للحياة (م) مدى الرَّوابي والدُّروب
هانت عليه حياته بين المذلَّة واللغوب
فاختار للثأر الخَضيب (م) أعاليَ الجبل القَطوب

ومن شعر سعد الله الكلاسيكيّ الذي اعتمد على السَّرد القصصيّ قوله[٩]:

الخميلة:

توشَّحتُ بالورد والياسمينِ ورُحتُ أناجي الصباح العطِر
وعن شفتيَّ ابتهال الحنين وفوق البراعم ضوءُ القمَر
ونمنمتُ لوني على وجنتيها فهبَّ الصباحُ يجدِّدهُ

الربيع:

خميلُ، بحقِّ الحنان الوريقِ وحقِّ الحشـــائش من حولكِ

وحقِّ الهوى والنَّدى والرَّحيقِ لأنتِ شبابي الخضيل الذكي

خميلة حبِّي ومنبـــع فنِّي بزهركِ أنت المُنى الغـالية

الخميلة:

سهرتُ ليالي الشِّتا الباردة أحنُّ إلى حضنكِ المخملي

الربيع:

فأرجحتُ فيكِ المُنى الشاردة وهَدهدتُ قيثاركِ العبقري

هما معًا:

بنا رفرف الكونُ بالعبـــقِ ووشَّى الرَّوابي لونُ القَـــزَح

وسالتْ مع الجدول الدَّفـق رؤانا وشعـر اللقـاء المـــرح

ومن شعر سعد الله الذي يبدو فيه السَّرد قولُه في قصيدة إلى المقصلة[١٠]:

٤- وبالأمس جدَّد للحبل فِعله

وأصدرَ لاكوست القس أمره

بأن يُشنَق الثائرون

ونفَّذ في البعض أمره

ليعتبر الآخرون

٥- وبعد غد نسوق القس قهرًا

إلى الجولتين مغلول اليديـن[١١]

ونلبســـــه كطاغيـــة إله

مســـوح العار سائلة الدماء

وقد فطن الأســتاذ عبد الكريم شــبرو إلى أســلوب الســرد، ولكنه أخطأ في ضبط الأبيات؛ حيث ضبط (القسّ) بكسر القاف[١٢]!

واسمعْ سعد الله وهو يستثمر ظاهرة التكرار في المقطع الخامس من قصيدة البعث:

من فم الأطلس نشدو: وحدة لا تُفصَم

من فم الأطلس نشدو: ثأرُنا[١٣] المنتقم

من فم الأطلس نشدو: يا فلسطين الدَّمُ

مِن هنا مِن قمة مشحونة بالثائريـــن

مِن هنا مِن مشرق البَعث المجيـــــــد

وأما مظاهر التخلُّص من تقاليد الشــعر فمثالها قول ســعد الله من مجزوء الكامل[١٤]:

والشَّعبُ يسبحُ في الدُّموع والبؤسُ يحتطب الجمـــوع

والمبـــدأ الأســـمى صريـع بيـــن المخـالب والنـــجيـع

والثائرون على الطغاة يناضلون والخائنون يقهقهون ويسخرون

ومن التمرُّد أو الخروج قول ســعد الله من بحر الرَّمل في أول قصيدة نشَرها على نظام التفعيلة[١٥]:

حطِّموا القيد وغنُّوا للحياة

وافتحوا نافذة الأفق الرَّحيبة

واعشقوا النور سماوات خصيبة

بيْد أني لم أجدهم في طريقي

يا رفيقي!

ومن الشعر الحرّ قول سعد الله من بحر المتقارب:

أيا صـاعدًا في الفضاء

يعانق وجه السـماء

ويحتضن الأفق مد البصـر

خذ الثأر للمجد في وجنتيك

جريحًا كقلب اليتـامى

وفجّر صخـورك نارًا

على الغاصبين

وأنقذ بحولك شعبًا

يريد الحياة

على صدرك الدافئ

طليقًا كعصفورك الطائر

رضيًّا كجدولك العابر

وقد أخفق الأستاذ عبد الكريم شبرو في ضبط هذه الأبيات؛ حيث ضبط (السماء) بالفتح، وضبط (وأنقذ) بضم القاف، وضبط (صدرك) بكسر الكاف، و(كعصفورك) بضم الواو والراء وكسر الكاف، وضبط (رضيًّا) بفتحة واحدة، وضبط (كجدولك) بكسر الكاف الثانية[١٦]!!

وما أجملَ قول الأديب سعد الله:

أيُّ درسٍ!

توَّج المستقبلَ الحُرَّ وعفَّى قبرَ أمسِ

وأزاح الغيـــمَ عن آفاق شعبي

أيُّ درسٍ!

زعزع المجدَ الفرنسي

وقـد فطن الأسـتاذ عبـد الكريم شـبرو إلى قـوة ألفاظ القصـيدة وجمال الجرس الموسـيقيّ في حرف السـين، ولكنه أسـاء في ضـبط بعض الأبيات؛ حيث ضـبط (عفىَ) بفتح الألف المقصورة؛ فصـارت عنده ياء! و(الفرنسيّ) بتشديد الياء[١٧]!

ومن الشعر المرسَل من القافية الذي يدلّ على تنوّع المعجم الشعريّ عند سعد الله ومزاوجته بين فصحى التراث وفصحى العصر قوله:

وساق الشعبُ طاغية رهيبا

إلى الموت أشقَّ من الممات

وأوقفه على خشب وألقى

بحبل الموت في عنق الإله

وأوسع وجهه بصقًا وولَّى

إلى ساح الحياة مع الصباح

فانظر قوله: «بحبل الموت»، وانظر جمع ساحة على ساح[١٨].

ثانيًا: حضور النصّ القرآنيّ في الدِّيوان:

في ديوان الزمن الأخضر إشارات تدلّ على حضور القرآن الكريم في ثقافة سعد الله ولغته؛ والمثال الواضح على هذا الحضور قول سعد الله في المقطع الرابع من قصيدة البعث:

وتلَوا في روعة مجنونة

وأعدُّوا إن يوم البعث جاء

إن أهلي عرب الأطلس ثاروا

عبر وهران التي تصنع مجدَا

وقسنطين التي تحفر لحدًا

وتعُبُّ النصر من نَبع الصباح

ففي الأبيات تذكير بقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وفي الأبيات تذكير ببعض بقاع الوطن المحتلّ.

واسمعْ سعد الله وهو يقول:

... والله الوحيد

فوصفُ الله بالوحيد دليل واضح على حضور النص القرآنيّ في شعر سعد الله؛ حيث قال الله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (المدثر: ١١)، وقد رأى بعض المفسرين أن (وحيدًا) حال من الفاعل[١٩]؛ ومن العجيب تسرُّع الأستاذ شبرو في الحكم على سعد الله والادِّعاء بأن كلمة (الوحيد) من العيوب اللفظية[٢٠]! ولا أدري كيف غفل الأستاذ شبرو عن الاستعمال القرآنيّ؟!

ثالثًا: اللهجات العربيَّة في الدِّيوان:

لجأ الأديب أبو القاسم سعد الله إلى استعمال بعض الألفاظ التي تدلّ على معرفته باللهجات العربيّة مثل قوله من بحر البسيط:

اقطف جنى الخلد وامرح في خمائله واصدح على الغصن معْ أشجى بلابله

ففي الشطر الثاني استعمل سعد الله (مع) بإسكان العين على لغة غَنْم وربيعة، وجاء على هذه اللهجة قراءة: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعْكُم﴾ (البقرة: ١٤) بإسكان العين[٢١]، وقال ابن مالك في ألفيته:

ومعَ معْ فيها قليل ونُقِل فتحٌ وكسرٌ لسكونٍ يتصلْ

وشرحه ابن عقيل فقال بحق: « وأما (مع) فاسم لمكان الاصطحاب أو وقته نحو: جلس زيد مع عمرو، وجاء زيد مع بكر ، المشهور فيها فتح العين، وهي معربة وفتحتها فتحة إعراب ومن العرب من يسكِّنها؛ ومنه قوله:

فريشي منكمُ وهواي معْكم وإن كانت زيارتُكم لماما

وزعم سيبويه أن تسكينها ضرورة؛ وليس كذلك؛ بل هو لغة ربيعة؛ هي عندهم مبنيَّة على السكون، وزعم بعضهم أن الساكنة العين حرف، وادَّعى النحاس الإجماع على ذلك، وهو فاسد؛ فإن سيبويه زعم أن ساكنة العين اسم»[٢٢]؛ ومن العجيب زعم السمين الحلبيّ بأن « (مع) لا يجوز تسكين عينها إلا في شعر»[٢٣]! ولم يعلِّق الأستاذ عبد الكريم شبرو على هذا الاستعمال اللهجيّ، بل زعم أن (واصدح على الغصن مع) في شعر سعد الله على وزن (مستفعلن فاعلان)!وضبط (اقطف) بضم الطاء مع همزة قطع، وكأنها من الرباعيّ(أقطفَ)[٢٤]!

ومن الاستعمالات اللهجيّة أيضًا قول سعد الله من بحر الوافر[٢٥]:

جزائرنا القديمة غاب ذُلٍّ وهِيَّ اليومَ مُنعتق الرِّقاب

رأت في الثائريـــن بناة عزٍّ على الدَّمِّ المقدَّس والغلاب

وتشـديد ياء الضـمير (هي)- وكذلك واو الضـمير (هو)- جائـز على لغة همدان ومَن والاهم، ولا تزال بقايا هذا التشـديد في العاميّات العربيّة المعاصرة، وإن كان التخفيف هو الاسـتعمال الأفصـح[٢٦]، وكذلك تشـديد ميم (الدَّم) لغة مسـتعملة في الشـعر القـديم[٢٧]، وإن لم يفطن الأسـتاذ عبد الكريم شـبرو إلى الاسـتعمالين؛ حيث ضبط الضمير (وهْيَ) بإسـكان الهاء وتخفيف الياء، وأهمل ضبط ميم (الدم)، وضبط (الغلاب) بفتح الغين وتشديد اللام[٢٨]! وقد استعمل سعد الله الدم بالتشديد في قصيدة الثائر الأسير:

كما فديت الجزائر بدمِّـك النضـّـــاحِ

واسـتعمله على اللغة الفصـيحة المشـهورة في قصـيدة غضـبة الكاهنة من مجزوء الكامل[٢٩]:

أقسمتُ بالدَّمِ والسَّعير

واستعمل أيضًا الضمير بتشديد الياء في قوله في القصيدة نفسها:

من هيَّ قاهرة الرجال

من هيَّ معجزة الخيال

من هيَّ سيدة الشمال

من هيَّ كاهنة الجبال

رابعًا: الضرورة الشِّعريَّة في الدِّيوان:

ضـرورة الشـعر مظهـر للاتسـاع اللغويّ، وهـي حـذف أو زيـادة أو تقديم أو تأخـير أو إبـدال حرف أو تغيير إعراب أو تأنيث مذكَّر أو قصـر ممدود أو مدّ مقصـور أو نحو ذلك ممّا يلجأ إليه الشـاعر بسـبب الـوزن أو القافية، وهذا هو

المفهوم من كلام أكابر العلماء مثل سيبويه (ت١٨٠هـ) في قوله: « اعلم أنه يجوز في الشِّعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف، يشبِّهونه بما ينصرف من الأسماء؛ لأنها أسماء كما أنها أسماء. وحذفِ ما لا يحذف، يشبِّهونه بما قد حُذف واستعمل محذوفًا»[٣٠]. ولم يخلُ ديوان الزمن الأخضر من الضرورة الشعريَّة؛ ويكفي التمثيل ببعض النماذج:

١- صرف الممنوع من الصرف في قول سعد الله من الرجز (الحر)[٣١]:

أثارت الرياح منذ عام

عواصفًا حمقاءَ

وكانت العواصف الهوجاء

محمومة الجباهِ والقلوب

محمرَّة الشفاهِ والنُّيوب

٢- وصل المقطوع وقطع الموصول في قول سعد الله من بحر الرَّمل[٣٢]:

يا ابن أمي أيها الدامي الجراح لا ترَع وابشر بإشراق الصباح

فالغد المنشود خفّاق الجناح

ففي البيت الثاني استعمل سعد الله الفعل (ابشِر) بالوصل[٣٣]، ولا تخفى المخالفة للمشهور الفصيح من كلام العرب؛ حيث يقال: بشَره بالخير وأبشره به فبشِر وأبشَر، وتقول: أبشِر بخير- بقطع الألف- وبشِرتُ بكذا أبشَرُ؛ أي: استبشرتُ[٣٤]؛ وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ (فصلت: ٣٠). وقد يلجأ سعد الله في شعره إلى العكس مثل قوله[٣٥]:

إن جرحي راعف بالإنتقام ثائر للثأر محموم الصدام

ويبقى الاحتمال الآخر واردًا وهو أن سعد الله أراد الفعل الثلاثيّ (بشِر)

والأمر منه (ابشَر) بفتح الشين؛ ومنه قول عبد قيس[٣٦] بن خُفاف البُرْجُميّ[٣٧]:

وإذا رأيتَ الباهشينَ إلى العُلَى غُـبْرًا أكـفُّـهـمُ بـقـاعِ مُمْـحـلِ
فأعِنْهمُ وابْشَرْ بما بشِروا به وإذا هـمُ نـزلُـوا بضَـنْـكٍ فانْزلَ

وإذا صـحَّ هذا الاحتمال فلا ضـرورة في بيت سـعد الله، ولكن فيه الخروج عن المشـهور مـن كلام الفصـحاء وقراءات القـرآن الكريم! ولعله يشـبه تقديم ظرف الزمان (أبدًا) على الفعل في قول سـعد الله في المقطع الثاني من قصـيدة البعث[٣٨]:

أبدًا نشكو، لمن نشكو؟ لآلهة الرِّياح

أبدًا نرجو، ومن نرجو؟ سماسرة الحياة

أبدًا نشكو، ونرجو كالصغار التائهين

ففـي الأبيات تكـرار الظرف (أبدًا) وتقديمـه على الفعـل[٣٩]، ولا يخفى أن التأخير هو الفصـيح المشـهور الذي نزل به القرآن الكريم، وإن شـاع التقديم في العربيَّـة المعاصـرة ووقع في بعض الأشـعار القديمة منها قول أبي الفتوح شـهاب الدين السهروردي (ت٥٨٧هـ) في قصيدته الحائيَّة التي يقول فيها[٤٠]:

أبدًا تحنُّ إليكمُ الأرواحُ ووصالُكم ريحانُها والراحُ

٣- إسكان المتحرِّك:

يظهر إسـكان المتحـرِّك في قول سـعد الله في المقطع الخامس من قصـيدة البعث:

سوف يمتدُّ الفِداء

لفلسطين التي تتلو الولاء

والتي لما تزل حمراء جرحًا وسلاح

للجروح الرَّاعفات

ولا يخفى أن كلمة (سلاح) حقُّها النصب عطفًا على (جراحًا)، ولكنَّ حرص الشاعر على تناسق الإيقاع ألجأه إلى الإسكان[٤١]، ويبدو أن سعد الله كان يميل إلى تسكين القوافي؛ فاسمعْ قوله[٤٢]:

ولقد صرنا كرامًا مثلما كنا كِرام

وتكيل لهمُ أيدينا موتًا زؤام

أي جُرم أن نكون الأسخياء

فتكيل لهمُ أيدينا موتًا زؤام؟!

والشتاء السادر المقرور قد عاد ضرام

والولاء الوافر المخدور قد عاد انتقام

واسمع قوله:

يا بلادي أدركي يوم النشور حطِّمي السَّدَّ وغنِّي بالنذور

واحضني الأفق أكفًّا وصدور فجرى الثأر رصاصًا وسعير

إن خلف الثأر نارًا ثم نور

وقوله[٤٣]:

وفضّتِ الغلافَ في اضطراب

أناملا معروقة سمراء

تفوح بالدهان والعرَق

وكان وجهها خطوط

وقلبها بخور

وشعرها خميـــلة جرداء

وأدنتِ البطاقة الزرقـــاء

من المنظار الأشعث الحزين

وحدقت بعمق واشتهـــاء

إلى العنوان التائه المسحور

وقوله[٤٤]:

في أرضنا الملأى بطاقات الحصيد

سنعيش أحرارًا وصِيد

في أرضنا البكر الولود

وهذه النماذج من الضـرورة الشِّـعريَّة تعني الاتسـاع في شـعر الأديب سعد الله، وإن لم نعـدم في ديوانه بعض الانحرافات العروضـيَّة[٤٥] والإملائيَّة[٤٦]؛ ولا مَدعاة إلى التفصـيل فيها! ويبدو أن الأديب سـعد الله كتب بعض قصائده لتكون نشيدًا يُغنَّى، اسمعْ قوله من بحر المجتث[٤٧]:

أخي فـدتك حيـاتي ومُنيتي وسـلاحي

كمـا فديتَ الجزائر بدمـك النضّـاح

أمامك الصحو فامرق فأنت سهـم دقيق

وعُد إليهم خـرابًا كما يشبّ الحريق

فالبيت الثاني لا يستقيم إلا بإسكان راء (الجزائر) [٤٨]!

خامسًا: التعبيرات غير المألوفة في الدِّيوان:

خرج الأديب سـعد الله في بعض الاستعمالات عن التعبيرات المألوفة؛ ويمكن

التمثيل بقوله:

وأسقِطوا السجون

وحاربوا الإرهاب

وأعدِموا الطغاة

في واضح النهار

والشائع في الاستعمال اللغويّ أن يقال: «في وضح النهار»؛ أي: في العلَن، والوَضَح: الضوء، والبياض، وبياض الصبح خاصة[٤٩]. ولكنَّ سعد الله آثر استعمال النعت (الواضح)، وقدَّم النعت على المنعوت وجعله من باب الإضافة؛ للاهتمام بالمقدَّم والتنبيه عليه؛ ونظيره في الكلام الفصيح قول الله تعالى (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) (غافر: ١٩)، والأصل: الأعين الخائنة.

سادسًا: التعبيرات الدَّارجة في الدِّيوان:

تبدو التعبيرات الاصطلاحية الدارجة قليلة أو نادرة في شعر أبي القاسم سعد الله مثل تعبير (نصفّي الحساب)، وتعبير (بالذّات)؛ ولكننا نلاحظ بعض التراكيب النحوية الدَّارجة أو الناتجة عن التأثر بالترجمات مثل تركيب (سوف لا) الذي استعمله سعد الله أكثر من مرة[٥٠]:

سوف لا أُلقي السلاح

سوف لا تبرح كفِّي بندقة

سوف لا يفرغ جيبي من رَصاص

سوف لا يهدأ حِقدي دُون ثأري

وقد فطن الأستاذ عبد الكريم شبرو إلى التعبير الاصطلاحيّ (نصفّي الحساب)، ولكنه لم يفطن إلى (بالذّات) في قول سعد الله[٥١]:

* أرضنا بالذات أرض الوادعين *

ولا إلى التركيب النحويّ الدارج[٥٢]! بل أخطأ في وزن بعض الأبيات[٥٣]!

وأقول: لا تدخل (سوف) إلا على المضارع المثبت مثل قول الله تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (الضحى:٥)؛ فإذا أريدت الدلالة على المستقبل المنفيّ فالأداة الواجب استخدامها حينئذ هي (لن)[٥٤]، ولكنَّ سعد الله تأثّر بالترجمة الحرفية للتعبير الإنجليزيّ (will not)، أو نظيره في الفرنسية، وجاء الاستعمال الفصيح في قوله[٥٥]:

سوف تدري راهباتُ وادِ عبقر

كيف عانقتُ شعاعَ المجد أحمر

ويلفت النظر هنا حذف ياء (وادي) مع الإضافة؛ وربما اضطرَّ إليه سعد الله قياسًا على قول الشاعر[٥٦]:

* وأربع فثغرها ثمانُ *

ولم يعلِّق على هذا الاستعمال الأستاذ عبد الكريم شبرو في دراسته عن سعد الله[٥٧]!

الخاتمة والتوصيات

ديوان الزمن الأخضر للمؤرِّخ الجزائريّ أبي القاسم سعد الله يجمع بين التقليد والتجديد؛ ففيه الشعر العموديّ وشعر التفعيلة، والسَّرد القصصيّ، والقصائد المرسلة من القافية، والمعجم الشِّعريّ المزاوج بين فصحى التراث وفصحى العصر؛ حيث لجأ سعد الله إلى بعض اللهجات العربيَّة والضرورات الشعريّة والتعبيرات غير المألوفة، ووقع أيضًا في بعض الانحرافات اللغويّة،

ولم يخلُ من الاستعمالات الاصطلاحيَّة الدَّارجة، والتراكيب النحويَّة الدارجة الناتجة عن التأثُّر بالترجمات.

ولعلَّ هذه الإطلالة تحفِّز على دراسة لغة النثر في كتابات سعد الله الذي تأثَّر في بعض كتاباته بالترجمة؛ ويمكن التمثيل بالتعبير الإنجليزيّ (play a role) أو نظيره الفرنسيّ الذي تأثَّر به سعد الله في قوله: «البيئة تلعب دورًا رئيسيًّا في اتخاذ المرء نمطًا أدبيًّا معيَّنًا... ... كما قرأتُ لجبران خليل جبران كلَّ كتبه تقريبًا»[٥٨]! واستعمال (كلّ) مع (تقريبًا) من آثار الترجمة أيضًا! والأفصح استعمال (جُلّ كتبه) أو (معظم كتبه)؛ لأن(كل) للعموم والشمول. بل وجدتُ سعد الله يذكِّر الفعل في موضع التأنيث مثل: « الإجابة على هذه الأسئلة يقتضي(!) منا عودة إلى الماضي»[٥٩]! ومن العجيب قول سعد الله: « ولم تمضِ(!) سوى بضع(!) أسابيع»[٦٠]! ولا شك أن كتابات سعد الله النثريَّة الكثيرة تحوي زادًا وفيرًا من الاستعمالات التي تصلح للدراسة والتحليل، وتُعين على فهم الكثير من لغته الشعريَّة في ديوان الزمن الأخضر وغيره، ويأتي على رأس هذه الكتابات موسوعته الشهيرة بتاريخ الجزائر الثقافيّ[٦١].

وأوصي الأستاذ عبد الكريم شبرو بتنقيح دراسته الأكاديمية (التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله)، وآمُل في إعادة طبع ديوان الزمن الأخضر ليتوافر بين الباحثين والقرّاء في حُلَّة جديدة تليق بهذا الشاعر المؤرِّخ العظيم[٦٢].

الهوامش:

(١) حصل أبو القاسم سعد الله من دار العلوم على شهادة الليسانس في الأدب العربيّ عام ١٩٥٩م، ثم أعدَّ رسالة الماجستير في شعر محمد العيد آل خليفة، لكنه لم يناقشها بسبب التحاقه بجامعة منيسوتا مبعوثًا من طرف الحكومة الجزائرية المؤقتة (جبهة التحرير الوطنيّ)، ثم طُبعت

الرسالة في كتاب بتوصية البشير الإبراهيميّ الذي مدحه سعد الله في بعض قصائده؛ راجع: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق- د. حسن فتح الباب- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر ط/١٩٨٧م.ص٦، والمجمعيّون في خمسة وسبعين عامًا – مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة – القاهرة- مصر ط١/ ٢٠٠٧م.ص٦٢٥، وراجع: الجانب الأدبيّ في كتابات أبي القاسم سعد الله- د.شميسة غربي- موقع شبكة الألوكة بتاريخ ٢٠١٧/٩/٩م؛ حيث ذكرتْ شميسة غربي أن سعد الله التحق في القاهرة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحصل منها على شهادة الليسانس والماجستير، ثم انتقل إلى أمريكا!

(٢) راجع ديوان النصر للجزائر- أبو القاسم سعد الله- مقدمة أحمد توفيق المدني- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر ط٣/١٩٨٦م.ص١٠.

(٣) أفكار جامحة- أبو القاسم سعد الله- دار الغرب الإسلاميّ- بيروت- لبنان ط٢/٢٠٠٥م.ص١٨٤ وفي النص إشارة إلى ذكاء سعد الله وانتقائه لمصادره.

(٤) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله- عبد الكريم شبرو- ماجستير- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الحاج لخضر- باتنة- الجزائر ط/٢٠٠٧م. ص١١٥، ١١٧، ١٢١: ١٢٥، ١٣٣؛ حيث نسَب شبرو إلى سعد الله زحافات وعللًا عروضيَّة لا تصحّ!

(٥) راجع ديوان الزمن الأخضر- قصيدة نشوة الروح ص٥٩، وقصيدة هزار الشعر ص٧٠: ٧١، وقصيدة مواكب النسور ص١٢٣، وقصيدة خميلة وربيع ص١٣٧، وقصيدة أنشودة المزارع والحقول ص١٤٥، وقصيدة الشمس ص١٥٣، وقصيدة الطين ص٢٠٩، وقصيدة إلى جبل الأطلس ص٢١٥، وقصيدة الثائر الأسير ص٢٢١: ٢٢٢، وقصيدة إلى المقصلة ص٢٢٩، وقصيدة أوراس ص٢٤٩، وقصيدة البعث ص٢٣٥، وقصيدة عواصف ص٢٥٣، وقصيدة الحزن ص٣٣٥، وقارن هذه المواضع ببحث: التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص١٧، ٢٤، ٢٦، ٦٨، ٧٤، ٨١،٩٠: ٩٢، ٩٥: ٩٦، ١٠٠، ١٠٣: ١٠٥، ١١٦، ١٢٦: ١٢٧، ١٣٥: ١٣٨.

(٦) أفكار جامحة- أبو القاسم سعد الله ص١٨٤.

(٧) مقدمة ديوان الزمن الأخضر- أبو القاسم سعد الله- المؤسسة لوطنية للكتاب- الجزائر ط/١٩٨٥م.ص١٧،

(٨) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة شعب الله ص٣١٣، وفي الأبيات ظاهرة التدوير التي تظهر في مواضع أخرى من الديوان مثل ص٢٠٩.

(٩) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة خميلة وربيع ص١٣٧، وفي البيت السابع إسكان كلمة (ليالي) للضرورة الشِّعريَّة؛ وحقُّها النصب.

(١٠) ديوان الزمن الأخضـر- قصيدة إلى المقصلة ص٢٢٩. وأخطأ الأستاذ عبد الكريم شبرو فضبط (فعله)، و(أمره) بضم الهاء! ووزن بحر المتقارب يأبى الضمّ.

(١١) في هـذا البيت انحراف عروضـيّ لم يفطن إليه الأسـتاذ عبد الكريم شـبرو بـل يُفهم من كلامه أن هذا المقطع والذي قبله من بحر الوافر! راجع: التجربة الشـعرية عند أبي القاسـم سـعد الله ص١٠٥، ١٣٧.

(١٢) والصـواب فتـح القـاف؛ يقـال: قَسّ وقِسِّـيس، راجـع: الصـحاح، تاج اللغـة وصـحاح العربية للجوهـري(ت بعد ٣٩٣هـ)- تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين– بيروت- لبنان ط٢/١٩٧٩م. (ق س س) جـ٣/٩٦٣.

(١٣) في ديوان النصر للجزائر ص٢٦ بلفظ: (ثارنا)!

(١٤) ديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة مواكب النسـور ص١٢٣؛ حيث زاد سعد الله في تفعيلات البيت الثالث، ولم يفطن عبد الكريم شبرو إلى هذا الخروج على النظام العروضيّ القديم، وكتب الأبيات في موضعين بطريقتين مختلفتين، وأخطأ في ضبط بعض الكلمات! راجع التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٢٤، ٧٤،

(١٥) ديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة طريقي ص١٤٤، وقد نظَم سـعد الله قصائد أخرى من الشعر الحر قبل(طريقي)، راجع أسباب تأخُّر نشرها في مقدمة ديوانه: النصر للجزائر ص٨.

(١٦) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٩٥: ٩٦، وراجع ديوان الزمن الأخضر – قصيدة إلى جبل الأطلس ص٢١٥.

(١٧) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص١٠١، ١١٢، ١٣٧: ١٣٨.

(١٨) تـاج العروس للزبيـديّ (س و ح) جـ٦/٤٩٠، وديوان الزمن الأخضـر – قصـيدة إلى المقصـلة ص٢٢٩. ووردت (ساح) في قصيدة الطين أيضًا.

(١٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبيّ(ت٧٥٦هـ)- تحقيق د.أحمد محمد الخراط- دار القلم- دمشق- سوريا ط١/ ٨٦-١٩٩٤م.(المدثر: ١١) جـ١٠/٥٤٢.

(٢٠) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص ١٢٥.

(٢١) البحـر المحيط لأبي حيان الأندلسـيّ(ت٧٤٥هـ)- طبعة جديدة بعناية صـدقي محمد جميل- دار الفكر- بيروت- لبنان ط/١٩٩٢م.(البقرة: ١٤) جـ١/١١٣، وتاج العروس للزبيديّ(ت١٢٠٥هـ)– تحقيـق مجموعـة مـن الأسـاتذة – سلسـلة الـتراث العربـي(١٦) – وزارة الإعلام(الإرشـاد والأنبـاء)- مطبعـة حكومة الكويت – الكويـت ط١/ ١٩٦٥-٢٠٠١م. (م ع ع) جـ٢٢/ ٢٠٩: ٢١٠، (غ ن م) جـ ٣٣/١٩٠.

(٢٢) شـرح ابـن عقيـل(ت٧٦٩ه) على ألفيـة ابن مالك، ومعه كتـاب منحة الجليل بتحقيق شـرح ابن عقيـل- تأليـف محمد محيي الدين عبد الحميد- دار الاتحاد العربيّ للطباعة- القاهرة- مصـر ط/١٩٨٧م. جـ٣/ ٧٠، ومن الغريب وقوع (معكم) بفتح العين مخالفة للعروض ولسـياق كلام ابن عقيل!

(٢٣) الدر المصون للسمين الحلبيّ(البقرة: ١٤) جـ١/ ١٤٦، ولم يعلِّق الدكتور الخراط محقِّقًا!

(٢٤) التجربة الشـعرية عند أبي القاسـم سـعد الله صـ١١٥، ١٣٥، وراجع ديوان الزمن الأخضـر – قصيدة جلال الخلد ص٧٩.

(٢٥) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة عمالقة ص ٢٠٧.

(٢٦) تـاج العروس للزَّبيديّ (ه و ا) جـ٤٠/ ٣٣٥، وفي الضـرائر وما يسـوغ للشـاعر دون الناثر- تأليف الإمام المصـلح الكبير السـيد محمود شـكري الألوسي (ت١٣٤٢ه)- شـرحه محمد بهجة الأثري البغـداديّ- دار الآفاق العربية- القاهرة- مصـر ط١/ ١٩٩٨م. صـ١٢٣: «والمحققون على أن كل ذلك من باب الضرائر الشعريّة حتى عند همدان»!

(٢٧) وورد الدم بتشديد الميم في شعر الشاعر الجزائريّ أحمد حمدي، راجع: تاج العروس للزَّبيديّ(د م ي) جـ٣٨/ ٦٥: ٦٧، وشعر الشباب في الجزائر ص٨٧.

(٢٨) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٣٣، ٣٨، ١٣٧.

(٢٩) ديوان الزمن الأخضـر- قصيدة الثائر الأسـير ص٢٢١: ٢٢٢، وقصيدة غضبة الكاهنة ص١٣٣، وراجع التجربة الشـعرية عند أبي القاسـم سـعد الله ص١٣٦؛ حيث ذكر شبرو أن قصيدة غضبة الكاهنة من بحر الكامل!

(٣٠) كتاب سيبويه- تحقيق وشرح عبد السلام هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر ط٣/ ١٩٨٨م. (باب ما يحتمل الشعر) جـ١/ ٢٦.

(٣١) ديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة أنشـودة المزارع والحقول ص١٤٥، وقصيدة عواصف ص٢٥٣، وراجع ديوان النصـر للجزائر ص٢٣. وقد جاء صـرف الممنوع أيضًـا في قول سـعد الله: «بدراهم وشـتائم «؛ ولم يفطن عبد الكريم شـبرو إلى ضـرورة الشـعر! راجع التجربة الشـعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٨١، ٩١، ١٣٧.

(٣٢) ديوان النصـر للجزائر ص٤٢، وديوان الزمن الأخضـر- قصـيدة الطين صـ٢٠٩، ورأيتُ بعض الباحثين ينقل هذه الأبيات عن البصـائر، العدد ٣٥١، بتاريخ ٦ أفريل ١٩٥٦م بلفظ: (اصـطبر) بدلًا من (لا ترَع)!!

(٣٣) راجع التجربة الشـعرية عند أبي القاسـم سـعد الله ص٩٢، ١٣٧؛ حيث اكتفى عبد الكريم شبرو

بضبط الشين بالكسر، وبأن الأبيات من بحر الرمل! ولا يستقيم الوزن العروضيّ بكسر الشين مع قطع الهمزة.

(٣٤) تاج العروس للزَّبيديّ (ب ش ر) جـ١٠/١٨٤: ١٨٥.

(٣٥) ديوان النصر للجزائر ص٣٧ وكُتبت كلمة (الانتقام) بالوصل، والأفضل كتابتها بالقطع مراعاة لصحة الوزن، وقارنْ هذا البيت بما ورد ص٤٠:

في احتفال بانبعاث صاعد إنه يوم السَّراح الواعد

(٣٦) كذا اسمه في المفضليات للمفضَّل(ت نحو ١٧٨ه)- تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون- دار المعارف- القاهرة- مصر ط٣/١٩٦٤م. (المفضليَّة ١١٦) ص٣٨٣، وشرح المفضليات للتبريزي(ت٥٠٢ه)- تحقيق علي محمد البجاوي- من فرائد التراث الأدبيّ- (٣)- دار نهضة مصر للطبع والنشر جـ٢/١٢٨٩، وجاء الاسم بالألف واللام (القيس) في الحواشي] التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح[لابن بري(ت ٥٨٢ه) - حققها وأكملها من رواية ابن منظور مجموعة من خبراء المجمع وأعضائه- مطبوعات مجمع اللغة العربية - القاهرة - مصر ط١/١٩٨٠-٢٠١٠م. (ب ش ر) جـ٢/٨٥، ولسان العرب لابن منظور(ت٧١١ه)- دار صادر- بيروت- لبنان ط١/٢٠٠٠م.(ب ش ر) جـ٢/٩٠.

(٣٧) كذا رواية البيتين عن الكسائي في معاني القرآن للفراء(ت٢٠٧ه)- عالم الكتب- بيروت- لبنان ط٣/١٩٨٣م.جـ١/٢١٢، وكذا الرواية في الصحاح للجوهري(ب ش ر) جـ٢/٥٩٠، ووقع البيتان برواية: « وايْسِر بما يسروا به « في المفضليات(المفضليَّة ١١٦) ص٣٨٥.

(٣٨) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة البعث ص٢٣٥. والبيتان الأول والثاني مكسوران لا يستقيمان مع مجزوء الرمل، ولم يعلِّق شبرو، واكتفى بأن الأبيات من بحر الرمل! راجع التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٨١، ١٠٠، ١٣٧.

(٣٩) وللتقديم نماذج أخرى في شعر سعد الله؛ راجع ديوان النصر للجزائر- قصيدة ثورة الأرض ص٦٧: ٧٠، وديوان الزمن الأخضر- قصيدة أنشودة المزارع والحقول ص١٤٥: ١٤٨ حيث قدَّم سعد الله كلمة (أبدًا) في قوله: « وأنا هنا أبدًا هنا... ...إنا هنا أبدًا هنا «.

(٤٠) معجم الأدباء لياقوت الحموي(ت٦٢٦ه)- تحقيق إحسان عباس- دار الغرب الإسلاميّ- بيروت- لبنان ط/١٩٩٣م. جـ٦/٢٨٠٧.

(٤١) ولم يفطن الأستاذ عبد الكريم شبرو إلى هذا الملمح في الموسيقى الشعرية عند سعد الله!

(٤٢) ديوان النصر للجزائر ص٣١، ٣٢، ٤١، ٥٧: ٥٨ وقد وقع البيت الرابع بنصب (أيدينا)، ووقعتْ (أكفا) بلا تنوين!

(٤٣) لاحظْ نصب (أنامل) في البيت الثاني، ولاحظْ وزن الأبيات الثلاثة الأخيرة!

(٤٤) ديوان النصر للجزائر ص٧٠.

(٤٥) مثل قول سعد الله في قصيدة هزار الشعر ص٧٠: ٧١: « من النُّبوغ الإلهي في سواقيها »؛ حيث خفَّف ياء النسب؛ ليستقيم له وزن بحر البسيط! وراجع نماذج أخرى في قصيدة أوراس ص٢٤٩، وقصيدة الحزن ص٣٣٥.

(٤٦) وما أكثرها في كتب سعد الله! ولها أسباب منها سرعة النشر في ظروف سياسية حرجة؛ راجع مثلًا ديوان النصر للجزائر ص٣٨: « يا فضاءًا... ... يا سماءًا»!!

(٤٧) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة الثائر الأسير ص٢٢١: ٢٢٢، وفي ديوان النصر للجزائر ص٧٦: ٧٨ وقع البيت الثالث بلفظ: (الصحوفا مرق)!

(٤٨) لم يفطن إليه عبد الكريم شبرو؛ فضبط الكلمة بفتح الراء! راجع التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٩٠، ١٣٧.

(٤٩) معجم اللغة العربية المعاصرة- د.أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل كنتُ واحدًا منهم- عالم الكتب- القاهرة- مصر ط١/٢٠٠٨م. (و ض ح) جـ٣/٢٤٥٥، وراجع: ديوان الزمن الأخضر – قصيدة إلى المقصلة ص٢٣٠، والتجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص١٣٧؛ حيث زعم شبرو أن قصيدة (إلى المقصلة) من بحر الوافر (الحر)!

(٥٠) ديوان الزمن الأخضر – قصيدة خطى السنين ص١٥٩، وقصيدة كفاح إلى النهاية ص٢٨٣، وديوان النصر للجزائر ص٢٩، وراجع: أثر المثاقفة والترجمة في تركيب الجملة العربية- د.عصام درار الكوسي- العدد ٥٩٣- مجلة البيان- رابطة الأدباء الكويتين- الكويت ط/٢٠١٩م. ص٣١، وإن كنتُ لا أوافق الكوسي في زعمه ص٣٢ أن الفعل (وصل) لازم في العربية لا يحتاج إلى مفعول به!

(٥١) وهذا التعبير ليس من باب الاضطرار؛ فقد وقع في كتابات سعد الله النثريَّة منها قوله: " والجزائر التي كانت جزءًا من هذه المنطقة، كانت أكثر تأثرًا بما كان يحدث؛ لأنها كانت- كما لاحظنا- مسرح معارك ومطمح غنائم؛ ولذلك كثر فيها هي بالذات الاضطراب والفوضى وسوء المعيشة»، راجع كتابه: تاريخ الجزائر الثقافي- دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر ط/٢٠٠٧م. جـ١/٥٠.

(٥٢) راجع حديث سعد الله عن الإنتاج البوربري (الدارج) في مقاله: التعامل مع اللغة العربيّة بالجزائر أثناء الاحتلال- جـ٨٣- مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط/١٩٩٨م.ص١٦٣.

(٥٣) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٧٢، ٧٤، ١١٨، ١٢٠، ١٣٨؛ وقد زعم شبرو أن قول

سعد الله: (وبنينا غَدَنا بالتضحياتِ) على وزن: فعلاتن فعلاتن فاعلان!

(٥٤) معجم الصواب اللغويّ- د.أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل كنتُ واحدًا منهم- عالم الكتب- القاهرة – مصر ط١/٢٠٠٨م. (٣٠٦٥- سوف لا) جـ١/٤٥٥، (٢٧٤- الفصل بين سوف والفعل المضارع بعدها) جـ٢/٨٩١، (٤٨٣- دخول سوف على الفعل المضارع المنفيّ بلا) جـ٢/٩٣٨.

(٥٥) ديوان الزمن الأخضر- قصيدة طريقي ص١٣٦، ١٤٤.

(٥٦) معجم الصواب اللغويّ(٤٦٤- حذف ياء المنقوص مع إضافته) جـ٢/٩٣٥.

(٥٧) التجربة الشعرية عند أبي القاسم سعد الله ص٢٥.

(٥٨) أفكار جامحة ص١٨١، ١٨٤.

(٥٩) ملاحظات حول التعريب في الجزائر- د.أبو القاسم سعد الله- العدد٨٥- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/١٩٩٩م.ص٣١٩، وراجع قوله في مقاله: رؤية نقديّة عن المجامع اللغويّة العربيّة- العدد ١١٣- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٨م.ص٣٣: « في نهاية الخمسينيّات استقلَّت(!) معظم الأقطار العربية»؛ فهل هذا خطأ مطبعيّ من المجلة الناشرة- وما أكثر أخطاءها- أو هو استعمال جزائريّ؟! وقد وقع في مقال سعد الله: الجهود اللغويّة للشيخ محمد الطاهر التليلي- د.أبو القاسم سعد الله- العدد ١٠٢- مجلة مجمع اللغة العربية- بالقاهرة ط/٢٠٠٤م. ص٦٣: « الأضداد للمتوزي»؛ فهل الخطأ في اسم (التوَّزي) من سعد الله أو من المجلة نفسها؟

(٦٠) مقدمة ديوانه النصر للجزائر ص١٢؛ والصواب " ولم يمضِ سوى بضعة أسابيع ".

(٦١) ومن مؤلفات سعد الله أيضًا: أبو القاسم بن سديرة حياته ومؤلَّفاته- العدد ١٠٠- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٣م، والتثاقف السياسيّ والفكريّ- العدد ٩٦- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٢م، وتراجم أدبيّة من مخطوط مجهول، تاريخ عبد الحميد بك- جـ٦٧- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/١٩٩٠م، والثقافة العربيّة في عصر العولمة- العدد ١٠٧- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٦م، وخطر الدخيل على الفصحى والعاميّة معًا- العدد ٩١- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠١م، وعبد القادر نور الدين (١٨٩٠م- ١٩٨١م) مدرِّسًا ومؤلِّفًا ومترجمًا- العدد ١١٦- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠٩م، وقضايا شائكة- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان ط/١٩٨٩م، واللغة العربيّة في الخطاب الرسميّ- العدد ٩٤- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/٢٠٠١م، والمستشرقون الفرنسيون وتعليم اللغة العربية للأوروبيين في الجزائر (١٨٣٠- ١٩١٤)- جـ٦٤- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ط/١٩٨٩م، ومنشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية لعبد الكريم

الفكون(ت١٠٧٣هـ)- تقديم وتحقيق وتعليق- دار الغرب الإسلاميّ- بيروت- لبنان ط١/١٩٨٧م.

(٦٢) وإنه ليحزنني غياب اسم هذا الشاعر من كتاب (من أعلام الثقافة العربية معجم تراجم) الذي أصدره مجمع اللغة المصريّ عام ٢٠١٦م! وكيف يغيب هذا الاسم الذي اختير صاحبه عضوًا بهذا المجمع عام ١٩٨٩م، وعضوًا بمجمع اللغة العربية بدمشق عام١٩٩٠م؟ والأعجب من ذلك أن المجمع المصريّ ترجم في هذا الكتاب لبعض المصريِّين الذين تأخَّرت وفاتهم عن أبي القاسم سعد الله مثل الدكتور كمال بشر، والفنانة الممثِّلة فاتن حمامة، والموسيقار المغنِّي محمد عبد الوهاب! بل ترجم المجمع لبعض الأحياء وقت طباعة الكتاب مثل عبد الشافي عبادة وعبد الكريم خليفة ومحمد عبد الرحمن الشرنوبي ومحمد عبد العظيم سعود ومحمد عبد الفضيل القوصي؛ فهل خدمَت الممثِّلة فاتن حمامة والموسيقار محمد عبد الوهاب الثقافة العربيّة أكثر من أبي القاسم سعد الله، أو أن المجمع تعصَّب في كتابه للأعلام المصريِّين؟! راجع: من أعلام الثقافة العربيّة معجم تراجم ص٤٥٤، ٤٧٤، ٥٧٤، ٦٧٧،٦٨٠، ٦٨٤، ٦٩١.

نُصوصٌ سَقَطَتْ مِن تَحْقِيقِ كِتَابِ الدُّرِّ الفَرِيدِ وَبَيتِ القَصِيدِ

د. عبد الرَّازق حويزي

إنَّ كتابَ الدُّرِّ الفريد وبيت القَصيد أثرٌ نَفيسٌ، لا يَعدلُه أثرٌ آخر في الاشتمال على أنفسِ النُّصوص الشِّعريَّةِ التَّي قَالها الشُّعراء العربُ القُدَامَى، فهو بحقٍّ موسوعةٌ شِعْرِيَّةٌ ضخمةٌ، لا تزالُ تفتقرُ إلى الدِّراسات العديدةِ على جميع المستويات.

وعلى الرَّغم ممَّا كُتب حَوْلَه، فلا تزالُ الكتاباتُ المأثورةُ الَّتي تناولَتْه تَعريفًا وَتَحْقيقًا واستدراكًا قَاصِرَةً عَن الإيفاءِ بحقِّه وَمَكَانَتِه بينَ مَصَادرِ التُّرَاثِ العَرَبِيّ[1].

أمَّا عنْ مؤلِّفه فهو محمّد بن أَيدَمُر (ت ٧١٠ هـ)، الشَّاعر الخَطَّاط، الَّذي قَام عَلى مَدارِ ما يزيدُ عن (٢٥) عَامًا بجمع نصوص هذا الكتَاب، وتَنْبيقهَا بخطِّه النَّفيس، وقد اتَّبَعَ مَنْهَجًا فَريدًا، حَيثُ قام بتَتَبُّع التُّرَاثِ الشِّعْرِيِّ حَتَّى عَصْرِه لاختيارِ أَجْوَد مَا فيه، ومِن ملامحِ هذا المَنْهَجِ[2]:

١- التركيزُ عَلَى أَشْعَارِ الجَاهِليينَ وَالأُمويين والعبَّاسِيين.

٢- اختيارُ أجودِ هذه القَصَائد.

٣- اختيارُ أجودِ بيتٍ في كلِّ قَصيدَةٍ، وَإِثْبَاتُه في المتن.

٤- ترتيبُ الأبيات الجيِّدَةِ مِن حيثُ النَّظر إِلَى أَوَائِلِهَا وَتَرْتِيبِهَا مِنَ الأَلِفِ إِلَى اليَاءِ.

٥- الحرصُ عَلَى نِسْبَةِ الأَبياتِ إِلَى أَصْحَابِهَا.

٦- الإِفْصَاحُ أَحْيَانًا عَن مُنَاسَبَةِ قَصيدة البَيْتِ الفَرِيدِ المُثْبَتِ في المَتْنِ.

٧- إثباتُ معظمِ أبياتِ القَصيدة أو كلِّها في الهامش.

٨- التَّعريفُ بالشُّعراء في مواضعَ قَليلةٍ جِدًّا.

٩- استدراكُ مَافاتَه من جَيِّدِ الشِّعرِ في الهوامشِ.

١٠- الإفصاحُ عن حَصيلَةِ الأَبياتِ المفرَدَةِ في نِهَايَةِ كُلِّ حَرْفٍ.

هَـذا هُوَ المَنْهَـجُ الذي تَرَاءى لي من مُلَازَمَتي مخطوط الكتاب طيلةَ خمسةَ عَشَـرَ عَامًا، أكرِّرُ النَّظرَ في مادَّتِه الشِّـعريَّة، لأَسْـتَعِينَ بِه في جَمْعِ الدَّوَاوينِ الَّتي فُقِدَت أصـولُها المخطوطةُ، منها: ديوانُ القاضـي الجُرجانيّ، وديوان ابن هُندو، وديوان ابن مُسْهر الموصِليّ، وغيرِهَا، أَو أستدرك َمنه على الدَّواوينِ المجموعةِ.

وقد قدَّمَ العَلَّامَةُ (فؤاد سزكين) خِدْمَةً جَليلَةً للباحثين بِأَنْ قَامَ بجمعِ أَجْزَاءِ مخطوطـة هذا الكتاب من بعض المكتبات، وقامَ بتصـويرها، وَنَشْـرِهَا في نُسَـخٍ مَحْدُودَةٍ، صَدَرَتْ نَشْرَتُها عَن معهد تاريخ العلوم العربيّة والإسلاميّة، فرانكفورت، عام ١٩٨٩ م، ثمَّ قَامَ الأسـتاذ (كامل سَـلْمان الجُبُوريّ) بتحقيقه ونشـره في دار الكتـبِ العلميَّـة، بيروت، عام ٢٠١٥ م في ثلاثةَ عَشَـرَ جُزءًا، منها اثنانِ للفَهَارس الَّتي لم يَتَّضِـح مَنْهَجُها لبعض الباحثين، بَدَا ذلك من سـؤالِ بعضِـهِمْ عن كيفيَّة الاسـتفادة منها، فقلتُ: أثبتَ المحقِّقُ أَرْقَامَ صَـفَحَاتِ نَشْـرَةِ (سـزكين) في مَتن التَّحْقيق، ثمَّ أَقَامَ فَهَارِسَـه عَلَى هَذه الأرقام، وليس على أرقامِ صَفَحَاتِ تَحْقِيقِه

هو. أي نَشَرَ فَهَارِسَ (سزكين) كَمَا هِي.

وَمِـن خِلَالِ كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِـي للكِتَابِ وَمُلَازَمَتِي إِيَّاهُ اتَّضَـحَ أَنَّ النَّصَّ المُحَقَّقَ غَابَتْ مِنهُ نُصُوصٌ نَجِدُهَا فِي النُّسخة المخطوطة المُعْتَمَدَة فِي التَّحقِيق، منها:

(١)

أَخَـذَهُ شَـمْسُ الدِّينِ الكُوفِيّ الوَاعِـظ – رَحِمَهُ اللهُ – فَقالَ مُخَاطِبًا لِشَـمْسِ الدِّينِ مُحمَّد بن الجُوَينيّ صَاحِبِ الدِّيوان: [مِنَ الكَامِل]

لِي فِي مَدِيحِكَ أَلْفُ بَيْتٍ قُلْتُهُ فَـانْـعِـمْ عَـلَـيَّ بِـفَـرْدِ بَـيْـتٍ وَاحِـدِ[٣]

قِيلَ: فَأَمَرَ لَهُ بِابْتِيَاعِ دَارٍ، قِيمَتُهَا خَمْسُ مئة دِينَار، وَسُلِّمَتْ إِليه مِلْكِيَّة.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥٩. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٩/١٥٢.

(٢)

وَمِنْ بَابِ (لَئِن) قَوْلُ الرَّضِيِّ يُسَلِّي الصَّابِئَ عَنْ مَرَضِه: [مِنَ الطَّوِيل]

لَئِن رَامَ قَبْضًا مِنْ بَنَانِكَ حَادِثٌ لَقَد عَاضَنا مِنْكَ انْبِسَاطُ جَنَانِ
وَإِنْ أَقعَدَتْكَ النَّائِبَاتُ فَطَالَمَا سَرَى مُوقَرًا مِن مَجدِكَ المَلَوَانِ[٤]
وَإِنْ هَدَمَتْ مِنْكَ الخُطوبُ بِمَرِّهَا فَثَمَّ لِسَانٌ لِلمَنَاقِبِ بَانِ
وَمَازَلَّ مِنْكَ الرَّأْيُ وَالحَزْمُ وَالحِجَى فَتَأْسَى إِذَا مَازَلَّتِ القَدَمَانِ[٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٠. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٩/٣٠.

(٣)

وَقَوْلُ أَبِي الفَتْحِ البُسْتِيّ: [مِنَ الطَّوِيل]

لَئِنْ صَدَّعَ الدَّهرُ المُشَتَّتُ شَمْلَنَا وَلِلدَّهرِ حُكْمٌ لِلجَمِيعِ صَدُوعُ
فَلِلنَّجْمِ مِنْ بَعْدِ الهُبُوطِ اسْتِقَامَةٌ وَلِلشَّمْسِ مِنْ بَعْدِ الغُرُوبِ طُلُوعُ[٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٠. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٩/٣٠.

(٤)

وَمِنْ بَابِ (مَا): [مِنَ السَّرِيع]

مَا أَحَدٌ طَالَتْ لَهُ لِحْيَةٌ ... فَزَادَتِ اللِّحْيَةُ فِي هَيْئَتِهِ

إِلَّا وَمَا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ ... أَكْثَرُ مِمَّا زَادَ فِي لِحْيَتِهِ[٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩٩/٩.

(٥)

وَقَوْلُ أَبِي عِمْرَانَ، مُوسَى بنِ الحُسَينِ بن مُوسَى بنِ عِمْرَانَ الإِشْبِيلِيّ: [مِنَ السَّرِيع]

مَا أَحْرَزَ البَيتَ لِدِينِ الفَتَى.... البيت، وَقَبْلَه:

مَنْ يَصْحَبِ النَّاسَ يُوَطِّنْ عَلَى ... سَمَاعِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَسْمَعَهْ

فَلَا يَلُمْهُمْ وَلْيَلُمْ نَفْسَهُ ... أَنْ عَرَفُوهُ أَوْ دَرَوْا مَوْضِعَهْ

كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ عَلَى حَالَةٍ ... يُرِيدُ أَنْ تَجْرِيَ فِيهَا مَعَهْ

فَإِنْ تُخَالِفْهُمْ تَكُنْ جَافِيًا ... وَإِنْ تُحَالِفْهُمْ تَكُنْ إِمَّعَهْ[٨]

مَا أَحْرَزَ البَيْتَ لِدِينِ الفَتَى ... ... البَيتُ

وَبَعْدَهُ[٩]:

وَأَقْبَحَ الجَمْعَ إِذَا لَمْ يَكُنْ ... يُفِيدُ ذِكْرَى فِيهِ أَوْ مَنْفَعَهْ[١٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩٩/٩.

(٦)

فَقَالَ أَحْمَدُ بنُ أَبِي فَنَنٍ لِعَبْدِ اللهِ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ سَيِّدِ الشُّعَرَاءِ كُلِّهِم؟ قُلْتُ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ فِي قَوْلِهِ: [مِنَ المُتَقَارِب]

تَـبِـيتُ المُـلُـوكُ عَـلَـى عَتْبِـهَـا وَشَـيْـبَـانُ إنْ غَـضِـبَـتْ تُـعْـتَـبُ
وَكَـالـرَّاحِ بـالمَـاءِ أَخْـلَاقُـهُـمْ وَأَخْـلَاقُـهُـم مِـنـهُـمَـا أَعْـذَبُ
وَكَـالمِسْـكِ تُـرْبُ مَـقَـامَـاتِـهِـم وَرَيَّـا قُـبُـورِهِـمُ أَطْـيَـبُ[11]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٨/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٢٦/٩، وقد كُرِّر برواية أخرى في جزء آخر من مطبوع الدُّرِّ الفريد ٢٧٧/٥.

(٧)

قَالَ كَاتِبُهُ- عَفَا اللهُ عَنْهُ- وَقَالَ دِعْبِل: [مِنَ البَسِيط]

اللهُ يَـعْـلَـمُ وَالأَيَّـامُ دَائِـرَةٌ وَالمَـرْءُمَـابَـيْنَ إِيحَاشٍ وَإِيـنَـاسِ
أَنِّي أُحِـبُّـكَ حُـبًّا لَـوْ تَضَـمَّـنَهُ سَلْمَى سَمِيُّكِ ذَاكَ الشَّاهِقُ الرَّاسِي
حُبًّا تَلَبَّسَ بِالأَحْشَاءِ فَامْتَزَجَا تَلَبُّسَ المَاءِ بِالصَّهْبَاءِ فِي الكَاسِ[12]

أَخَذَهُ البُحْتُرِيُّ، فَقَالَ: [مِنَ البَسِيط]

إِنِي وَجَدْتُكَ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ المُصَافَاةُ بَيْنَ المَاءِ وَالرَّاحِ[13]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٨/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٢٦/٩.

(٨)

وَمِنْ بَابِ (مَاتَ): [مِنَ الكَامِل]

مَـاتَ المُـدَاوِي وَالمُـدَاوِي وَالَّـذِي جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ اشْتَرَى[14]!

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥١/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٣٦/٩

(٩)

ابنُ الرُّومِيّ: [مِنَ الكَامِل]

أَتَـرُومُ أَنْ يَلِدَ الزَّمَانُ مُمَدَّحًا؟ هَيْهَاتَ أُمُّ المَكْرُمَاتِ عَقِيمُ![15]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥١/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٣٦/٩.

(١٠)

أَبُو المَكَارِم البَارِعُ[١٦]: [مِنَ البَسِيط]

وَخَلَّفُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ أَبْصَرُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الكَرَى مَاتُوا![١٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥١. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/١٣٦.

(١١)

[مِنَ السَّرِيع]

مُصِيبَةٌ لَا غَفَرَ اللهُ لِي إِنْ أَنَا أَذْرَيْتُ لَهَا دَمْعَهْ[١٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥١. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/١٣٦.

(١٢)

وَمِنْ بَابِ(مَا لِي) قَوْلُ الرَّشِيدِ بن المَهْدِيّ الخَلِيفة: [مِنَ الكَامِل]

مَلَكَ الثَلاثُ الآنِسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانِ

مَا لِي تُطَاوِعُنِي البَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعُهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصْيَانِي

مَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ سُلْطَانَ الهَوَى وَبِهِ عَزَزْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي[١٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٨٢. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/٢٠٧.

(١٣)

وَمِنْ بَابِ(مَا نَالَ): [مِنَ الكَامِل]

مَاطِلْ بِأَيَّامِ الحَيَاةِ فَإِنَّهَا تَفْنَى وَيَفْنَى هَيِّنٌ وَشَدِيد

مَا نَالَ غَايَاتِ المَطَالِبِ طَالِبٌ يَوْمًا وَلَا بَلَغَ المُرَادَ مُرِيدُ

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٨٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ٩/٢١٦.

(١٤)

أَبياتُ بَهَاءِ الدِّينِ زُهَير المِصْرِي يقولُ منها: [مِنَ البَسِيطِ]

١- رَسائلُ الشَّوق عنْدي لَو بَعَثتُ بها ... إلَيكُمُ لَم تَسَعْهَا الطُّرُقُ وَالرُّسُلُ
٢- فَيَا رَسُولي إلَى مَنْ لَا أَبُوحُ به ... إنَّ المُهمَّات فيهَا يُعْرَفُ الرَّجُلُ
٣- بَلِّغ سَلَامي وَبَالِغْ في الدُّعاء لَهُ ... وَقَبِّلِ الأَرْضَ عَنّي عنْدَما تَصِلُ
٤- يَزْدَادُ شعْريَ حُسْنًاعنْدَ ذكْرِكُمُ ... إنَّ المَليحَةَ فيها يَحسُنُ الغَزَلُ
٥- إنَّ المَليحَةَ تَكْفيهَا مَلَاحَتُهَا ... لاسيَّما وَعَلَيْهَا الحَليُ وَالحُلَلُ
٦- قَضيَّتي في الهَوَى وَالله مُشْكلَةٌ ... مَا القَولُ مَا الرَّأْيُ مَا التَّدْبيرُ مَا العَمَلُ؟
٧- دَع التَّوَانيَ في أَمْرٍ تَهُمُّ بِه ... فَإنَّ صَرْفَ اللَّيَالي فَائتٌ عَجِلُ
٨- سَابق زَمَانَكَ وَاحْذَرْ منْ تَقَلُّبِه ... فَكَم تَقَلَّبَت الأيَّامُ وَالدُّوَلُ؟!
٩- لَا تَرقُب النَّجْمَ في أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ ... فَالله يَحْكُمُ لَا جَدْيٌ وَلَا زُحَلُ
١٠- مَعَ السَّعادَة مَا لِلنَّجْمِ منْ أَثَرٍ ... فَلَا يَغُرُّكَ مِرّيخٌ وَلا زُحَلُ[٢٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَريد ٥/١١٥. يُضَافُ النَّصُّ إلَى مَطْبوعِه ص ٩/٢٩٠.

(١٥)

عِدَّةُ أَبيات حَرْف الميم أَلْفٌ وَمئتان وَثمَانيةٌ وَثَلَاثُونَ بَيْتًا[٢١].

٥/١٥٨. يُضَافُ النَّصُّ إلَى مَطْبوعِه ص ٩/٤٠٩.

(١٦)

قيلَ وَعَدَ المَأْمُونُ بَعْضَ حَظَايَاهُ أَنْ يَزُورَهَا لَيْلَةً، وَيَبيتُ عنْدَهَا، فَاسْتَعَدَّتْ للزِّيَارَة، وَشُغِلَ عَنْهَا، فَكَتَبَتْ إلَيْه منَ الغَد: [مِنَ الوَافِرِ]

نَتَفْنَا للزِّيَارَة وَانْتَظَرْنَا ... البَيْتُ[٢٢]

وَقَدْ ضَمَّنَهُ أَبُو عَبْد الله بن الحَجَّاج شعْرَهُ لَمّا قَصَدَ المَلكَ السَّعيدَ شَرَفَ الدَّوْلَة ليُنْشدَهُ، فَلَمْ يَصلْ إلَيْه، فَانْصَرَفَ وَعَادَ منَ الغَد، فَأَنْشَدَ:

لَكَ العُمرُ المُؤبَّدُ وَالدَّوَامُ ... وَمُلْكُكَ لَا يَريمُ وَلَا يُرَامُ
نَظَمْتُ قَصيدَتي وَسَهَرْتُ وَحْدي ... لَهَا وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ نيَامُ
فَلَمَّا لَمْ يُسَاعدْني وُصُولي ... وَلَمْ يَأْذَنْ لي المَلكُ الهُمَامُ
رَجَعْتُ فَقُلتَ مَا قَالَتْهُ قَبْلَي ... فَتَاةٌ لَمْ يَكُنْ فيهَا احْتشَامُ:
نَتَفْنَا للزِّيَارَة وَانْتَظَرْنَا ... وَلَمْ يَكُ غَيْرُ ذَلكَ وَالسَّلَامُ!

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ١٦٢/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٢٢/٩.

(١٧)

وَمِنْ بَاب(وَأَحبَّة): [مِنَ الكَامِل]

وَأَحبَّة مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّني أُبْلَى بِبَيْنِهِمُ فَبِنْتُ وَبَانُوا

نَأَتِ المَسَافَةُ فَالتَّذَكُّرُ حَظُّهُم مِنِّي وَحَظِّيَ مِنْهُمُ النِّسْيَانُ[٢٣]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ١٩٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٥٠٦/٩.

(١٨)

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُ الآخَر: [مِنْمَجْزُوءِ الكَامِل]

يَا مَنْ خَلَتْ مِنْهُ الدِّيَا رِ وَمَا ضَمِيري مِنْهُ خَالِ

لَا تَتَّهِمْنِي بِالسُّلُو وِ فَمَا فُؤَادِي عَنْكَ سَالِ

هَيْهَاتَ بَعْدَكَ سَلْوَةً لَا عِشْتُ إِنْ خَطَرَتْ بِبَالِي

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ١٩٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٥٠٦/٩. والبيت الأخير مكرر في مطبوعه ٩٣/١١.

(١٩)

قَالَ كَاتِبُهُ مُحَمَّد بن أيدَمر - عَفَا اللّٰه عنهما- : لمْ يَزَل الفَقِيهُ جَمالُ الدِّين بن يَحْيى القُوَيْقِيّ- رَحِمَه اللّٰه - لي مُوَاصِلاً وصَالَ الخَلِيل لِلخَلِيل مُدَّةَ أَيَّام مقَامي بِبَلْدَة النِّيل، أَجْتَمِعُ به كُلَّ يَوْم مَرَّةً، وَأَلْتَقِطُ مِنْ جَوَاهِر أَلْفَاظِه دُرَّةً دُرَّةً، فَتَأَخَّرَ عَنِ الرَّسْم المُعْتَاد مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُوجِبٍ للبِعَاد، وَدَعَوْتُهُ فَمَا اسْتَجَابَ، وَلَا أَعَادَ الجَوَابَ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَقُولُ: [مِنَ الكَامِل].

يَا مَنْ تَسَرْبَلَ بِالمَعَالي وَارْتَدَى ... وَحَوَى الفَضَائلَ فَاغْتَدَى مُتَفَرِّدَا
يَا سَيِّدَ الفُقَهَاءِ يَا مَنْ فَضْلُهُ ... عَمَّ الوَرَى وَكَفَى بِذَلكَ مَحْتدَا
عَامَلْتَنَا بِالوَصْلِ ثُمَّ هَجَرْتَنَا ... مَاذَا الجَفَاءُ وَمَا عَدَا ممَّا بَدَا؟
يَا مَنْ قَرِيحَتُهُ كَبَرْقٍ خَاطف ... وَذَكَاءُ فِطْنَته شَرَارٌ أَوْقَدَا
وَعُلُوُّ هِمَّته سَمَتْ طَمَّاحَةً ... تَعْلُو الثُّرَيَّا وَالسُّهَى وَالفَرْقَدَا
أَخْلاَقُهُ مُرْتَاضَةٌ وَعُلُومُهُ فَيَّاضَةٌ ... وَبِه يُرَى فَصْلُ الخطَاب وَيُقْتَدَى
كَيْفَ انْطَوَى عَنْكَ الصَّوَابُ وَكَيْفَ لَمْ ... يَعُدِ الجَوَابُ مُحَبَّرًا وَمُسَدَّدَا؟
وَلَقَدْ غَدَوْتُ مُفَكِّرًا مُتَحَيِّرًا ... مُتَعَجِّبًا ممَّا رَأَيْتُ مُسَهَّدَا
وَأَقُولُ: إنْ لَمْ نَجْتَمِعْ فِي يَوْمِنَا ... هَذَا وَفَاتَ لِقَاؤُنَا فَعَسَى غَدَا
وَاصِلْ أَخَاكَ إذَا أَرَادَ تَوَاصُلاً ... وَاتْرُكْهُ إنْ رَامَ القِلَى مُتَعَمِّدَا
وَاحْفَظْ لإِخْوَانِ الصَّفَاءِ عُهُودَهُمْ ... وَاخْتَرْ لِصُحْبَتِكَ الكَرِيمَ السَّيِّدَا
فَالصِّدْقُ أَنْجَحُ مَطْلَبًا أَوْ مَقْصدًا ... وَأَحَقُّ بِالبَانِي العُلاَ وَالسُّؤْدَدَا
أَنَا مَنْ عُرِفْتُ مُصَاحِبًا وَمُصَاحَبًا ... وَسِوَاكَ مَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ إِلَى الهُدَي
وَمُحَمَّدٌ يَدْعُوكَ فَاسْمَعْ وَاسْتَجِبْ ... حَاشَاكَ أَنَّكَ لاَ تُجِيبُ مُحَمَّدَا
لِيَ عَزْمَةٌ مَحْتُومَةٌ وَصَرِيمَةٌ مَلْمُومَةٌ ... إنْ ضَامَ ضَيْمٌ وَاعْتَدَى
وَالخَيْرُ أَبْقَى لِلكَرِيم ذَخِيرَةً ... وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَتَى وَتَعَوَّدَا
وَالحَمْدُ أَجْمَلُ مَا تَحَلَّاهُ الفَتَى ... دَهْرًا وَأَوْلَى مَا اقْتَنَى وَتَزَوَّدَا
تَفْنَى لُبَانَاتُ الرِّجَالِ وَتَنْقَضِي ... وَالشُّكْرُ بَاقٍ لاَ يَزَالُ مُؤَبَّدَا
وَالمَرْءُ يَمْضِي وَالثَّنَاءُ عَقِيبَهُ ... عُمْرًا تَرَاهُ مَدَى الزَّمَانِ مُجَدَّدَا
مَنْ جَرَّبَ الأَيَّامَ حَاذَرَ فَوْتَهَا ... لِيَنَالَ مِنْهَا حَظَّهُ أَوْ تَنْفَدَا
وَإِذَا النُّفُوسُ تَسَاعَدَتْ طَابَ الهَوَى ... وَحَلاَ الغَرَامُ وَهَانَ مَا قَالَ العَدَى
أُثْنِي عَلَيْكَ بِنَظْمِ شِعْرٍ سَائِرٍ ... كَصَنِيعِكَ الحَسَنِ الجَمِيلِ مُجَوَّدَا
شِعْرٌ يَفُوقُ الرَّوْضَ بَاكَرَهُ الحَيَا ... وَيَرُوقُ أَسْمَاعَ الرُّوَاةِ مُرَدَّدَا
كَلآلِئِ الحَسْنَاءِ زَادَ جَمَالَهَا ... نُورًا وَضَاعَفَ حُسْنَهَا فَتَزَيَّدَا
وَأَبُثُّ فِي الآفَاقِ مَدْحَكَ جَاهِدًا ... طَوْرًا أُرَتِّلُهُ وَطَوْرًا مُنْشِدَا
إنْ عِشْتُ قُمْتُ بِبَعْضِ حَقٍّ وَاجِبٍ ... أَوْ إنْ أَمُتْ كَانَ الأَنَامُ لَكَ الفِدَا
عِشْ وَابْقَ وَاحْلُمْ وَانْتَقِمْ وَافْخَرْ وَجُدْ ... بُثَّ النَّدَى وَاسْلَمْ عَلَى طُولِ المَدَى
وَابْلُغْ مِنَ العَلْيَاءِ أَقْصَى رُتْبَةٍ ... وَمِنَ السَّعَادَةِ مَا تَشَاءُ مُخَلَّدَا[٢٤]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٢٨/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٨٦/١٠ .

(٢٠)

الوَزِيرُ ابنُ زَيدُونَ المَغْرِبيّ، يَقُولُ مِنْهَا فِي المَدْح: [مِنَ الكَامِلِ]

١- وَبَدَتْ عَلَى أَهْلِ الهُدَى سِيمَاهُمُ ... وَكَأَنَّ أَوْجُهَهُمْ ثُغُورٌ تَبْسَمُ

٢- وَكَأَنَّما حَدَقُ العِدَى مَعْكُوسَةٌ ... مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ فَهْيَ فِيهِمْ أَسْهُمُ

٣- لَا تَقْبَلَنَّ سِوَى الأَحِبَّةِ نَاصِحًا ... إِنَّ النَّصَائِحَ مِنْ سِوَاهُمْ تُتْهَمُ

٤- وَلَرُبَّمَا كَذَبَتْكَ أَنْوَاءُ الحَيَا ... وَالبَرْقُ يُومِضُ وَالسَّحَابُ يُغَيَّمُ

٥- وَالمَرْءُ يُفْتِيهِ دَلِيلُ ضَمِيرِهِ ... أَنَّ الفُؤَادَ عَنِ اللِّسَانِ مُتَرْجِمُ

٦- وَالمُلْكُ يَأْنَفُ أَنْ يَحُلَّ سَرِيرَهُ ... ... البَيتُ

وبَعْدَهُ:

٧- وَالوُدُّ يَظْهَرُ فِي العُيُونِ خَفِيُّهُ ... إِنَّ الوِدَادَ سَرِيرَةٌ لَا تُكْتَمُ[٢٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٤٨/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٤٢/١٠.

(٢١)

يُقَالُ: إِنَّ بَعْضَ المُلُوكِ بَكَّرَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الصَّيْدِ، فَلَقِيَهُ فِي طَرِيقِهِ أَعْوَرُ، فَاسْتَبْشَعَ بِلِقَائِه، وَأَمَرَ بِأَخْذِه وَضَرْبِه وَحَبْسِه، فَضُرِبَ وَحُبِسَ، ثُمَّ عَادَ المَلِكُ مِنَ الصَّيْدِ فَاسْتَحْضَرَهُ، وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَلَّا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ، وَعَرَّفَهُ إِنَّهُ إِنَّمَا ضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ لِلتَّشَاؤُمِ بِلِقَائِه، فَقَالَ: الأَعْوَرُ: إِنْ أَذِنَ المَلِكُ وَأَعْطَانِي الأَمَانَ تَكَلَّمْتُ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَالَ: أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ المَلِكِ وَأَدَامَ عِزَّهُ، لَقِيتُهُ فَضُرِبْتُ وَحُبِسْتُ، وَلَقِيَنِي فَتَصَيَّدَ وَتَنَزَّهَ وَعَادَ سَالِمًا غَانِمًا، فَأَيُّنَا كَانَ أَشْأَمُ عَلَى صَاحِبِهِ ؟ أَنَا أَمِ المَلِك؟فَضَحِكَ مِنْهُ، وَقَالَ: لَقَدْ صَدَقَ وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْه.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٦٤/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٩٢/١٠.

(٢٢)

سُوَارُ بنُ المضرِّب العَبْدِيّ: [مِنَ البَسِيط]

إنِّي لَأَسْتُرُ مَا ذُو العَقْلِ سَاتِرهُ ... مِنْ حَاجَةٍ، وَأَمِيتُ السِّرَّ كِتْمَانَا[٢٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٧٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٢١٩/١٠، والصَّوَاب العَبْدِيّ كما ورد هنا وليس السَّعْدِيّ كما ورد في الكتاب نفسه ٥٣٢/٤.

(٢٣)

وَمِنْ بَاب (حبّبَ) قَوْلُ ابن الرُّومِيّ، وَقَدْ خُوطِبَ فِي بَيْعِ مَنْزِلِه: [مِنَ الطَّوِيل]

وَلِيْ وَطَنٌ آلَيْتُ أَلَّا أَبِيعَهُ ... وَأَلَّا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكَا

عَهِدْتُ بِه شَرْخَ الشَّبَابِ وَنَعْمَةً ... كَنَعْمَةِ قَوْمٍ أَصْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا

فَقَدْ أَلِفَتْهُ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ ... لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غُودِرْتُ هَالِكَا

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمُ ... مَآرِبُ قَضَّاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَا

إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُم ذَكَّرْتُهُمُ ... عُهُودَ الصِّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَا[٢٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٧٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٢١٩/١٠. البيت الرابع هو البيت المفرد.

(٢٤)

وَمِنْ بَاب (وَعَاذِلَة) قَوْلُ أَبِي العَبَّاسِ عَبد الله بن المُعْتَزِّ بالله: [مِنَ الطَّوِيل]

وَعَاذِلَةٍ فِي الجُود قُلْتُ لَهَا: اعْذُرِي ... هَلِ المَالُ إِلَّا مَا كَسَبْتُ بِهِ حَمْدَا؟

تَلُومُ امْرَأً لَا تَأْكُلُ الأَرْضُ مَالَه ... سَلِيمَ النَّدَى مِنْ مَنِّه مَاجِدًا فَرْدَا

وَمَاذَا يُرِدْنَ العَاذِلَاتُ مِن امْرِئٍ ... قَلِيلِ هُدُوِّ اللَّيْلِ يُجْدِي وَلَا يُجْدَى

جَنِيبِ عُلَى جَوَّابِ أَرْضٍ مُسَلَّمٍ ... مِنَ الذَّمِّ يُعْدِي الدَّهْرَ يَوْمًا إِذَا اسْتَعْدَى

عَلِيمٍ بِكَرَّاتِ الزَّمَانِ كَأَنَّهُ ... يَرَى بِضَمِيرٍ مَا أَعَادَ وَمَا أَبْدَى[٢٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٨٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٢٦٢/١٠.

(٢٥)

وَقَوْلُ جُبَيهة بنت أوس الضَّبّيَّة تَتَشَوَّقُ إِلَى أَوْطَانِهَا [مِنَ الطَّوِيلِ]

١- وَعَاذِلَةٍ تَغْدُو عَلَيَّ تَلُومُنِي عَلَى الشَّوقِ لَمْ تَمْحُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي
٢- فَمَا لِيَ إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَحْبَبْتُ طَرْفَاءَ القُصَيبةِ مِنْ ذَنْبِ
٣- وَلَوْ أَنَّ رِيحًا بَلَّغَتْ وَحْيَ مُرْسِلٍ حَفِيٍّ لَنَاجَيْتُ الجَنُوبَ عَلَى النَّقْبِ
٤- وَقُلْتُ لَهَا: أَدِّي إِلَيهم رِسَالَتِي وَلَا تَخْلِطِيهَا طَالَ سَعْدُكِ بِالتُّرْبِ
٥- فَإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالًا سَأَلْتُهَا: هَلِ ازدادَ صُدّاحُ النُّمَيرَةِ مِنْ قُرْبِ؟[٢٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٢٨٦. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٢٦٢.

(٢٦)

وَمِن بَابِ وَمَا يَرِحَ[٣٠]:

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٢. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٧٧.

(٢٧)

وَمِنْ بَابَ(وَمَا) قَوْلُ الصَّاحِبِ بنِ عَبَّاد: [من الوافر]

وَمَا تَرَكَ العِيَادَةَ مِنْ أَخِيهِ أَخٌ إِلَّا تَمَنَّى أَنْ يَمُوتَا[٣١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢

(٢٨)

وَقَوْلُ ابنِ الدُّمَيْنَة: [مِنَ الطَّوِيلِ]

وَمَا تَسْتَوِي سَلْمَى وَلَامَنْ يَعِيبُهَا إِلَينا كَمَا أَنَّه لَا يَسْتَوِي المِلْحُ وَالعَذْبُ[٣٢]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢.

(٢٩)

وَقَوْلُ المُتَنَبِّي: [مِنَ الطَّوِيلِ]

وَما تَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِي بِأَمْرِهَا وَلَا تُحْسِنُ الأَيّامُ تَكْتُبُ مَا أُمْلِي[٣٣]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢.

(٣٠)

وَقَوْلُ جَارِيَةٍ فِي تَفْضِيلِ الثَّيِّبِ عَلَى البِكْرِ: [مِنَ البَسِيطِ]

وَمَا تُصَادِفُ يَوْمًا لُؤْلُؤًا حَسَنًا بَيْنَ اللآلِئِ إِلَّا كَانَ مَثْقُوبَا[٣٤]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢

(٣١)

وَقَوْلُ أَبِي فِرَاسٍ: [مِنَ الوَافِرِ]

وَمَا تُغْنِيكَ مِن هِمَمٍ طِوالٍ إِذَا قُرِنَتْ بِأَعْمَارٍ قِصَارِ[٣٥]؟

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢

(٣٢)

وَقَوْلُ المُتَنَبِّيّ: [مِنَ البَسِيطِ]

وَمَا تَقَرُّ سُيُوفٌ فِي مَمَالِكِهَا حَتّى تَقَلقَلُ دَهرًا قَبلُ فِي القُلَلِ[٣٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٢٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٠/٣٨٢

(٣٣)

وَقَوْلُ الرَّضِيِّ المَوْسَوِيِّ: [مِنَ البَسِيطِ]

وما تَلَوَّمَ جسمي عَن لقائكُمُ إلّا وَقَلبي إلَيكُم شَيِّقٌ عَجِلُ
وَكَيفَ يَقعُدُ مُشتاقٌ يُحَرِّكُهُ إلَيكُمُ الحافزانِ الشَّوقُ وَالأَمَلُ؟[٣٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٢٤/٥. يُضَافُ النَّصُّ إلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٨٢/١٠.

(٣٤)

وَقَوْلُ البُحْتُرِيّ: [من الوافر]

وَما تَنفَكُّ أَحْداثُ اللَّيالي تَميلُ عَلى النَّباهَةِ للخُمُولِ
فَلَو أَنَّ الحَوادثَ طَاوَعَتني وَأَعْطَتْني صُرُوفُ الدَّهرِ سُولي
وَقَتْ نَفسَ الجَوَادِ مِنَ المَنَايا وَمَحذوراتِها نَفْسُ البَخِيلِ[٣٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٢٤/٥. يُضَافُ النَّصُّ إلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٨٢/١٠

(٣٥)

وَمِنْ بَابِ (وَمِنْ أَيْنَ) قَوْلُ آخَر: [مِنَ الطَّوِيل]

وَمِنْ أَيْنَ لي صَبْرٌ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ أَرَى حَسَنَاتي فِي مَوَازِينِ أَعْدَائِي؟[٣٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٣٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٢٢/١٠ – ٤٢٣

(٣٦)

وَمِنْ بَابِ (وَمَنْ تَرَكَ) قَوْلُ آخَر: [مِنَ الوَافِر]

وَمَنْ تَرَكَ العَوَاقِبَ مُهْمَلَاتٍ فَأَيْسَرُ سَعْيِهِ سَعْيُ العَنَاءِ[٤٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٣٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٢٢/١٠ – ٤٢٣.

(٣٧)

وَقَوْلُ أَبِي عَلِيّ مَسْكَوِيه الخَازِن : [مِنَ البَسِيط]

وَمَنْ تَعَوَّدَ عَضَّ السَّيفِ هَامَتُهُ هَانَتْ عَلَى إلْيَتَيْهِ عَضَّةُ القَتَبِ[٤١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٣٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٢٢/١٠ – ٤٢٣

(٣٨)

قَـالَ كَاتِبُهُ- عَفَا اللهُ عَنه - كنتُ أَسـايرُ الصَّـدرَ جـلالَ الدِّين عبد الله بن حَمْزَةَ، صَـدر الأعمال الحلّيَّة- رَحِمَه اللهُ- إذْ لقِيَنَا رَجُلٌ شَـاعِرٌ، فَقَالَ للصَّـدْرِ جَلالِ الدِّين: قَدْ جِئْتُكَ مُسْـتَرْفِدًا، وَجَعَلْتُكَ اليَوْمَ صَـيْدِي، فَقَالَ الصَّـدْرُ جَلالُ الدِّين مُتَمَثِّلًا بقَوْلِ المُتَنَبِّيّ: [مِنَ الطَّويل]

وَمَنْ جَعَلَ الضِّرْغَامَ صَيْدًا لِبَازِهِ تَصَيَّدَهُ الضِّرغامُ فِيمَا تَصَيَّدَا[٤٢]

فَكَانَ ذَلِكَ أَحْسَنَ اسْتِشْهَادٍ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ.

مَخْطُـوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٣٦/٥. يُضَـافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٢٢/١٠ – ٤٢٣.

(٣٩)

وَمِنْ بَابِ(وَمِمَّا) قَوْلُأَبِي تَمَّام: [مِنَ الوَافِر]

وَمِمَّـا ضَـرَّمَ الـبُرَحـاءَ أَنِّي شَكَوتُ فَما شَكَوتُ إِلى رَحيم[٤٣]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٣٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٢٢/١٠ – ٤٢٣

(٤٠)

وَقَوْلُ آخَر: [مِنَ الطَّويل]

وَمِمَّا يَعِيشُ النَّاسُ قِدْمًا بِأُنْسِه رَجَـاءَ الـتَّلَاقِي فِي زَمَـانِ الـتَّفَرُّقِ

وَإِطْرَاقُ طَرْفِ العَينِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ القَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرِقِ[٤٤]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٣٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٢٢/١٠ – ٤٢٣، وردت أعجاز النصوص (٣٥ – ٤٠) في التحقيق دون صدورها !.

(٤١)

وَمِنْ بَابِ(وَلَا) قَوْلُ القَائِلِ، وَيُرْوَى لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: [مِنَ الهَزَجِ]

وَلا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَم مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيمًا حِينَ واخَاهُ
يُقَاسُ المَرءُ بِالمَرءِ إذا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَلِلشَّيءِ عَلى الشَّيءِ مَقَايِيسٌ وَأَشْبَاهُ[٤٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٤٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٥٣/١٠. سقط البيتان الأخيران، وكتب الأولان في بيت واحد!

(٤٢)

[مِنَ البَسِيطِ]

مَا أَحْسَنَ الشَّخْصَ تَقْدِيرًا وَتَسْوِيَةً لَمَا يُرَادُ وَلَكِنْ فِي الثَّرَى يَلِجُ
يُزَيِّنُ الأَمْرَ لِلأَحْيَاءِ مَبْدَؤُهُ مُلاءَةً ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهُ السَّبَجُ[٤٦]
إن يُوضَعِ الشَّيءُ يَوْمًا غَيْرَ مَوْضِعِهِ .....

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥٣٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٤٤٧/١١. بقية النص مطموسة!

(٤٣)

[مِنَ البَسِيطِ]

فَالعُودُ لَوْ لَمْ تَطِبْ مِنْهُ رَوَائِحُهُ لم يَفرُقِ النَّاسُ بَيْنَ العُودِ وَالحَطَبِ
كَذَلِكَ الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ شَاكَلَهُ صُفْرُ النُّحَاسِ وَكَانَ الفَضْلُ لِلذَّهَبِ[٤٧]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٢٠/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٦٦/١١.

(٤٤)

[مِنَ البَسِيطِ]

يَا سَوْأَةً يُكْثِرُ الشَّيْطَانُ إِنْ ذُكِرَتْ مِنْهَا التَّعَجُّبَ جَاءَتْ مِنْ سُلَيْمَانَا[٤٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٢٠/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٦٦/١١.

(٤٥)

بَاقِي الأَبيات بِبَاب: **مَا قُلْتُ إِلَّا مَا وَجَدْتُ حَقِيقَة**... البيت[٤٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٠٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٢٧/١١.

(٤٦)

[مِنَ السَّرِيع]

وَاسْتَفْت فَهْمِي لَكَ عَمَّا بَدَا يُفْت وَسَلْ تَجْرِبَتِي تُخْبِرِ

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٠٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١٢٧/١١.

(٤٧)

[مِنَ الخَفِيف]

يَا زَمَانَ الصِّبَا عَلَيْكَ السَّلَامُ وَعَلَيَّ السُّلُوُّ عَنْكَ حَرَامُ

أيُّ عيشٍ قَطَعْتُهُ فِيكَ لَوْ دَا مَ وَهَلْ يُرْتَجَى لِظِلٍّ دَوَامُ؟[٥٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٨٠/١١.

(٤٨)

وقول آخر: [مِنَ البَسِيط]

يَا سَاقِيَ القَوْمِ إِنْ دَارَتْ إِليَّ فَلا تمزُجْ فَإِنّي بِدَمْعِي مَازِجٌ كَاسِي

وَيا فَتَى الحَيِّ إِنْ غَنَّيتَ مِنْ طَرَبٍ فَغَنِّ وَاحَرَبًا مِن قَلْبِكَ القَاسِي

الصَّخرُ أَلْيَنُ لي من قَلْبِكَ القَاسي يَا مَنْ طَوَاني وَحيّا كُلَّ جُلاّسِي

مَا لي وَلِلنَّاسِ كَمْ يَلْحُونَني سَفَهًا دِيني لِنَفْسِي وَدِينُ النَّاسِ لِلنَّاسِ؟

إِنْ كَانَ عَهْدُكمُ كَالوردِ مُنْصَرِفًا فَإِنَّ عَهْدِي لَكمْ أَطْرَى مِنَ الآسِ[٥١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٨١/١١.

(٤٩)

وَمِنْ بَاب(هَل الدَّهْرُ) قَوْلُ القَاضِي أَبي الحَسَن: [مِنَ الطَّوِيل]

هَل الدَّهْرُ يَنْدَى ظلُّه وَيَطيبُ ... وَيُقلعُ عَمَّا سَاءَنَاوَيُنيبُ؟
أَفِي كُلِّ يَوْم لِلمَكَارِم رَوْعَةٌ ... لَهَا فِي قُلُوب المَكرُمات وَجيبُ؟
تَقَسَّمت العَلْيَاءُ جِسْمَك كُلَّهُ ... فَمنْ أَيْنَ فيه للسَّقَام نَصيبُ؟
فَلَا تَجْزَعَنْ تِلْكَ السَّمَاءُ تَغَيَّمَتْ ... فَعَمَّا قَليل تَبْتَدي فَتَصُوبُ
وَقَدْ تَنْجلِي الشَّمْسُ بَعْدَ اسْتتَارِهَا ... وَينقُصُ ضَوءُ البَدْر ثُمَّ يَثُوبُ
تَهَلَّلَ وَجْهُ المَجْد وَابْتَسَمَ النَّدَى ... وَأَصْبَحَ غُصْنُ الفَضْل وَهْوَ رَطيبُ
فَلَا زَالَت الدُّنْيَا بملْكك طَلْقَةً ... وَلَا زَالَ فيهَا مِنْ ظلَالك طيبُ
فَإِنَّ دُعَائِيْ مُسْتَجَابٌ لأَنَّهُ ... سُلَالةُ قَلْبي وَالقُلُوبُ ضُرُوبُ[٥٢]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٦٩/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٤٣/١١.

(٥٠)

قَالَ يَحْيَى بنُ خَالد البَرْمَكيّ الوَزير: أَعْط من الدُّنيا وَهي مُقْبلَةٌ، فَإِنَّ إِعْطَاءَكَ لَا يَنْقُصُ منْهَا شَيْئًا، وَأَعْط منَ الدُّنْيَا وَهيَ مُدْبرَةٌ، فَإِنَّ مَنْعَكَ إِيَّاهَا لَا يُبْقي منْهَا شَيْئًا، قيلَ: وَسَمعَ ذَلكَ الحَسَنُ بنُ سَهْل فَاسْتَحْسَنَهُ، وَقَالَ: للّه دَرُّهُ! مَا أَطْبعَه في الكَرَم، وَأَعْلَمَهُ بِالدُّنيا، وَسَمعَ بِذَلِكَ الخُثْعَميّ الشَّاعرُ، فَقَالَ: [مِنَ البَسيط]

لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهْي مُقْبلَةٌ ... فَلَيْسَ يَنْقُصُهَا التَّبْذيرُ وَالسَّرَفُ
وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا ... وَالحَمْدُ منْهَا إِذَا مَا أَدْبَرَتْ خَلَفُ[٥٣]

ويروى: فليس تبقى وباقي شكرها خلف.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٠٤/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ١٢٥/١١.

(٥١)

وقال آخر: [مِنَ الطَّوِيلِ]

إِذَا جَادَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا ... عَلَى النَّاسِ طُرًّا إِنَّهَا تَتَغَيَّرُ

فَلَا الجُودُ يُفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ ... وَلَا البَخْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ تُدْبِرُ[٥٤]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٠٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ١١/١٢٥.

(٥٢)

وَقَالَ آخَر: [مِنَ الطَّوِيلِ]

فَأَنْفِقْ إِذَا أَيْسَرْتَ غَيْرَ مُقَتِّرٍ ... وَأَنْفِقْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ حِينَ تُعْسِرُ

فَلَا الجُودُ يُفني المَالَ وَالجَدُّ مُقْبِلٌ ... وَلَا البُخْلُ يُبْقِي المالَ وَالجَدُّ مُدْبِرُ[٥٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٠٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ١١/١٢٥.

(٥٣)

أَبياتُ الرَّضِيّ المَوْسَوِيّ: [مِنْ مَجْزُوءِ الكَامِلِ]

١- صَبرًا عَلَى نُوَبِ الزَمَا ... نِ وَإِنْ أَبَى القَلْبُ القَرِيحُ

٢- فَلَرُبَّ مُبْتَسِمٍ وَقَد ... أَخَذَتْ مَآخِذَهَا الجُرُوحُ

٣- يَسْعَى الفَتَى مُتَمَادِيًا ... وَيَدُ المَنُونِ لَهُ تُلِيحُ

٤- كَمْ آمِلٍ يَغْدُو عَلَى الـ ... أَمَلِ البَعِيدِ فَلَا يَرُوحُ؟

٥- بَينَا يُشَادُ لَهُ البِنَا ... حَتَّى يُخَطَّ لَهُ الضَّرِيحُ

٦- لَا تَيْأَسَنْ مِن أَنْ تَعُو ... دَ عَوَائِدٌ وَتَهُبَّ رِيحُ

٧- قَدْ يَسْقُطُ العَودُ الجَلِيـ ... ـدُ وَيَنهَضُ النِّضْوُ الطَّلِيحُ

٨- وَتَفَرَّجُ الغَمّاءيَخـ ... ـرُجُ عِنْدَهَا العَطِنُ الفَسِيحُ

٩- وَلِكُلِّ شَيءٍ آخِرٌ ... إِمَّا جَمِيلٌ أَوْ قَبِيحُ[٥٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٤٣٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ١١/١٩٨.

(٥٤)

قَوْلُ عَبْد اللّٰه الجَعْفَريّ:لا خَيْرَ في الوُد ... البيتُ، وبعده: [منَ البَسيط]

إذا تَغَيَّبَ لَم تَبرَحْ تُسيءُ بِه ... ظَنًّا وَتَسْأَلُ عَمَّا قَالَ أَوْ فَعَلا

يُرَى الصَّديقُ بِأَدْغَالٍ مُكَاشَرَةً ... وَلَا يَقُولُ بِهَا يَوْمًا إِذَا غَفَلا

فَلا عَداوَتُهُ تَبْدُو فَتَعْرِفُها ... منهُ وَلا تؤسِّده يومًا لَهُ اعتَدلا[٥٧]

اعتدلا: من العدل.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَريد ٤٣٧/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٢٠٣/١١.

(٥٥)

لَمَّا ثَارَت الفِتْنَةُ بِالشَّام في أَيَّام الرَّشيد بن المَهْديّ أَنْفَذَهُ الرَّشيدُ لجعْفَر ابن يَحيى بن خَالدٍ إِلَيْهَا نَائبًا عَنْهُ في إِطْفَاء تِلْكَ الفِتْنَة فَلَمَّا أَصْلَحَهَا وَانْصَرَفَ عَنْهَا قَالَ مُسْلم بن الوَليد قَصيدَةً يَمْدَحُهُ فيها، يَقُولُ منْهَا: [منَ البَسيط]

١-استَفسَدَ الدَّهرُ أَقْوَامًا فَأَصلَحَهُمْ ... مُحَمَّلٌ بِكتَاب اللّٰه مُحتَمِلُ

٢- به تَعارَفَت الأَحْيَاءُ وَائتَلَفَتْ ... إِذْ أَلَّفَتْهُم إِلى مَعروفه السُّبُلُ

٣- كَأَنَّهُ قَمَرٌ أَو ضَيغَمٌ هَصرٌ ... أَو حَيَّةٌ ذَكَرٌ أَوْ عَارِضٌ هَطِلُ

٤- لَا يَضحَكُ الدَّهرُ إِلّا حينَ تَسأَلُهُ ... .البيتُ

وبعده:

٥- سَدَّ الخَليفَةُ أَطرافَ الثُغور به ... وَقَد تَهَتَّكَ وَاسْتَرخَى لَها الطِّوَلُ

٦- كُلُّ البَريَّة مُلقٍ نَحوَهُ أَمَلًا ... للرُّغب وَالرُّهب مَوصولًا به الأَمَلُ

٧- دَاوَى فلسطينَ من أدوائها بَطَلٌ ... في صُورَة المَوت إِلّا أَنَّهُ رَجُلُ

٨- سَلَّ المَنونُ عَلَيهم من مَنَاصله ... مِثْلَ العَقيق تَرامى دونَهُ الشُّعَلُ

٩- أَمَّنتَ بِالشَّام أَرواحًا وَأَفئدَةً ... قَدْ حَلَّ مُستَوطنًا أوكارها الوَجَلُ[٥٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَريد ٤٥٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِه ص ٢٤١/١١.

(٥٦)

يَقُولُ فِي مَدْحِ الفَتْحِ بنِ خَاقَانَ: [مِنَ البَسِيطِ]

هَا إنَّ سَعيَ ذَوِي الآمَالِ قَدْ نَجَحَا وَإنَّ بَابَ النَّدَى بِالفَتحِ قَدْفُتِحَا

أَغَرُّ يَحسُنُ مِنهُ الفِعْلُ مُبتَدِئًا نُعمى وَيَحسُنُ فِيهِ القَولُ مُمتَدَحَا[٥٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٥٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٥١/١١.

(٥٧)

أَبياتُ عَبدِ العَزِيزِ بنِ زُرَارَةَ الكِلابِيّ: [مِنَ البَسِيطِ]

مَرَّتْ عَلَيَّ فَمِلْ أَطْرَحْ لَهَا سَلَبِي وَلَا اشْتَكَيْتُ لَهَا وَهْنًا وَلَا ضَلَعَا

وَلَا رَمَيْتُ عَلَى خَصْمٍ بِنَافِرَةٍ إلَّا رَمَيْتُ بِخَصْمٍ فُرَّ لِي جَذَعَا

كُلًّا لَبِسْتُ فَلَا النَّعْمَاءُ تُبْطِرُنِي وَلَا تَخَشَّعْتُ مِنْ وَلَائِهَا جَزَعَا[٦٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٥٧/٥،يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ٢٥٣/١١ .

(٥٨)

[مِنَ البَسِيطِ]

فَإِنَّهَا الرِّيحُ لَا تَسْطِيعُ تَحْبِسُهَا إذْ أَنْتَ لَسْتَ سُلَيْمَانَ بنَ دَاوِدِ[٦١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٠/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٦١/١١.

(٥٩)

وَقَوْلُ آخَر: [مِنَ الخَفِيفِ]

يَا بَعِيدَ المَزَارِ وَهْوَ قَرِيبُ لَكَ فِي القَلْبِ شَاهِدٌ لَا يَغِيبُ

لَسْتُ أَنْسَاكَ مَا حَيِيتُ وَإِنْ كُنْـ ـتُ مَلُولًا وَكَيْفَ يُنْسَى الحَبِيبُ

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٢/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٦٧/١١.

(٦٠)

وَأَنْشَدَ إبراهيمُ الحَرْبِيّ: [مِنَ الخَفِيفِ]

يَـا حَـيَـائِـي مِمَّـنْ أُحِـبّ، إِذَا مَـا قَـالَ بَـعـدَ الـفِـرَاق: إِنِّي حَـيِـيتُ
لَوْ صَدقتُ الهَوَى حَبِيبًا، عَلى الصّـ ـحّة لَـمَّا نَـأَى، لَـكُـنْتُ أَمُـوتُ[٦٢]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٦٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٧٢/١١.

(٦١)

ومن باب (يا دهر) قولُ الملكِ العَزيز: [مِنَ الكَامِلِ]

يَا دَهْرُ عَادَيْتَ الكِرَامَ مُعَانِدًا أَبَـدًا وَسَـالَمْتَ اللِّئَامَ مُسَاعِدَا
وَغَدَوْتَ كَالمِيزَانِ تَرْفَعُ نَاقِصًا فِينَا وَتُخْفِضُ لَا مُحَالَةَ زَائِدَا[٦٣]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٢٦٣/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٧٢/١١.

(٦٢)

وَقَوْلُ عَبدِ الرَّحمنِ بن دَارةَ الفَزَارِيّ في الإِغْرَاء: [مِنَ الطَّوِيلِ]

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ مُغَلْغَلَةً عَنِّي القَبَائِلَ مِنْ عُكلِ
لَئِن أَنْتُمُ لَمْ تَثْأَرُوا بِأَخِيكُمُ فَكُونُوا نِسَاءً لِلخلوقِ وَلِلكَحلِ
وَبِيعُوا الرُّدَيْنِيَّاتِ بِالحُلْيِ وَاقْعُدُوا عَنِ الحَرْبِ وَابْتَاعُوا المَغَازِلَ بِالنَّبلِ[٦٤]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٥/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٧٦/١١.

(٦٣)

وَقَوْلُ حَارِثَةَبن بَدْرٍ: [مِنَ الكَامِلِ]

يَا طَالِبَ الحَاجَاتِ يَرْجُو نُجْحَهَا لَيْسَ النَّجَاحُ مَعَ الأَخَفِّ الأَعْجَلِ[٦٥]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٧/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٨٤.

(٦٤)

[مِنَ البَسِيطِ]

لَوْ كَانَ لَومُكَ نُصحًا كُنتُ أَقبَلُهُ لَكِنَّ لَومَكَ مَحمولٌ عَلى الحَسَدِ[٦٦]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٦٨/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٢٨٧/١١

(٦٥)

- قَالَ المَنْصُورُ لَمَّا قَتَلَ أَبَا مُسْلِمٍ الخرَاسَانيَّ : لَقَدْ شَارَكْتُ عبدَ الملك في قَوْلٍ كُثَيِّرٍ فيه، وَأَنْشَدَ: [مِنَ الكَامِلِ]

يَصُدُّ وَيُغضِي وَهُو لَيثُ خَفِيَّةٍ... البيت[٦٧]

وَقَالَ له عبدُ الصَّمد يومًا: يَا أميرَ المؤمنينَ: لَقَدْ هَجَمْتَ بِالعُقُوبَةِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِالعَفْوِ! فَقَالَ: لأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ لَم تَبْلَ رِمَمُهُمْ، وَآلَ أبي طالبٍ لَمْ تُعْمَدْ سُيُوفُهُمْ، وَنَحْنُ بَيْنَ أَقْوَامٍ قَدْ رَأَوْنَا بِالأَمْسِ سُوقَةً، وَاليومَ خُلَفَاءَ، فَلَيْسَ تَتَمَهَّدُ الهَيْبَةُ في صُدُورِهِم إِلَّا بِاطِّرَاحِ العَفْوِ وَاسْتِعْمَالِ العُقُوبَةِ.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٤٩٩/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٦٣/١١.

(٦٦)

- وَمِنْ بَابِ (يَعْلَمُ) قَوْلُ آخَر: [مِنَ الخَفِيفِ]

يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ قَلْبِي ضَعِيفٌ ... وَحَبِيبِي مَعْ ضعْف قَلْبِي نَحِيفُ

لَوْ صَحَا القَلْبُ كُنْتُ مِنْ أَسْعَدِ النا ... سِ وَلَكِنَّهُ المَشُوقُ أَلُوفُ

يَا خَلِيلِي قَدْ مَضَى كَدَرُ العَيـ ... ـشِ وَقَدْ سَاعَدَ الزَّمَانُ العَطُوفُ

إِنَّ طَرْفِي مُمَازِحٌ لِلسَانِي ... وَضَمِيرِي عَنِ الفُسُوقِ عَفِيفُ[٦٨]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥٠٦/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ٣٧٩/١١، البيت الثَّاني مكرَّر في ٢٧٢/١١.

(٦٧)

[مِنَ الطَّوِيلِ]

وَقَالُوا: يَعُودُ المَاءُ فِي النَّهْرِ بَعْدَمَا ... عَفَتْ مِنْهُ آثَارُوَجَفَّتْ جَوَانِبُ
فَقُلْتُ لَهُم: أَيْنَ الزَّمَانُ وَصَبْرُهُ ... لِعُمْرٍ أَرَاهُ مُقْبِلًا وَهُو ذَاهِبُ
يَغُرُّ الفَتَى مَا طَالَ مِنْ حَبْلِ عُمْرِهِ ... وَيُغْرِيهِ بِالآمَالِ حِرْصٌ مُغَالِبُ

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٥٠٧، يضاف النَّصُّ إلى مطبوعه ص ١١/٣٨١، البيتُ المُفْرَدُ هُو الأَخِيرُ.

(٦٨)

[مِنَ البَسِيطِ]

مَا لِي مِنَ المَالِ إِلَّا مَا تَقَدَّمَنِي ... فَذَاكَ لِي وَلِغَيْرِي مَا أُخَلِّفُهُ[٦٩]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٩٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/١٠٥.

(٦٩)

عِدَّةُ أَبيَات حَرْف الهَاءثَلَاثُ مئةٍ وَسَبْعَةٌ وَتِسْعُونَ بَيْتًا، عَدَا مَا عَلَى الحَاشِيَة، وَذَلِكَ فِي كُرَّاسَيْنِ إِلَّا ثَلَاثَةَ سُطُورٍ، وَالحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍوَآلِهِ وَسَلَّم.

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٥/٣٩٤. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبوعِهِ ص ١١/٩٩.

(٧٠)

وَمِنْ بَابِ(هَجَرْتُكَ) قَوْلُ يُوسُفَ بن صُبيحٍ الكَاتِب: [مِنَ الطَّوِيلِ]

هَجَرْتُكَ لَمَّا لَمْ أَجِدْ فيكَ مُسْكَةً وَصَادَفْتُ مِنْكَ الوُدَّ غَيْرَ قَرِيبِ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ مِثْلَكَ يَنْثَنِي عَلَى جَنْبِ خَوَّانِ الصَّدِيقِ مُرِيبِ
فِرَاقُ أَخٍ يُعْطِي المَوَدَّةَ حَقَّهَا أَضَرُّ وَأَنْكَى مِنْ فِرَاقِ حَبِيبِ[٧٠]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٥٩/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ١٩/١١

(٧١)

وَقَولُ أَبي عَبْدِ اللهِ بنِ الحَجَّاج: [مِنَ الطَّوِيلِ]

هَجَرْتُكَ لَا أَنَّ البِعَادَ أَفَادَنِي سُلُوًّا وَلَا أَنِّي بِعَهْدِكَ غَادِرُ
وَلَكِنْ هُوَ الهَجْرُ الَّذِي كُلُّ كَائِنٍ لِمُدَّتِهِ فِيهِ وَإِنْ طَالَ آخِرُ[٧١]

مَخْطُوطُ الدُّرّ الفَرِيد ٣٥٩/٥. يُضَافُ النَّصُّ إِلَى مَطْبُوعِهِ ص ١٩/١١.

الهوامش

(١) ذكرتُ بعضَ هذه الدِّراسات في مجلَّة آفاق الثَّقافة والتُّراث ع ٧٩، ٢٠١٢ م ص ٩٤ - ٩٥، ضمن بحثي: نصوص شعريَّة جديدة مستخرجة من الدُّرِّ الفريد.

(٢) ينظر مقدّمة كتاب الدُّر الفريد وبيت القصيد، تحقيق: مصطفى حُسين عناية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٣ م، وينظر مقدِّمة محمد حُسين الأعرجي لكتاب الدُّر الفريد وبيت القصيدة بتحقيق كامل سلمان الجُبوري، وينظر المقال الموسوم باكتشاف مخطوط نادر لمؤلف متعدِّد المواهب، محمد غريب، مجلَّة البيان الكويتية، ع ٥٢٥، ٢٠١٤ م، ص ٥٥ — ٦٠.

(٣) البيتُ الَّذي تَأَثَّرَ به شَمْسُ الدِّين مَذْكُورٌ في التَّحْقيق، وَهو للأَبْلَه البَغْدَاديّ، وهو:

مَا زَالَ يَعْمُرُ بَيْتَ شِعْرٍ وَاحِدٍ فِيهِ طَوَالُ الدَّهْرِ بَيْتُ الشَّاعِرِ

(٤) المَلَوان، بالتَّحْريك، مُثَنَّى المَلَا: اللَّيْلُ والنَّهارُ. تاج العروس للزبيدي (ط. الكويت) ٥٥٤/٣٩.

(٥) الأبيات للشَّريف الرَّضيّ في ديوانه ٥٤١/٢، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت. وروايةُ البيت الأخير فيه هي: «فنأسى».

(٦) ديوان أبي الفتح البُسْتيّ ٢٠١، تحقيق: شاكر العاشور، دار صادر، بيروت، ٢٠١٤ م. رواية البيت الأول هي: «المشتت جمعنا فللدَّهر حكم للجموع»، ورواية البيت الثاني فيه هي: «وللنجم من بعد الرجوع».

(٧) زهر الأكم في الأمثال والحكم للحسن اليوسي ٢٤٥/١، تحقيق: محمد حجي، دار الثقافة، المغرب ١٩٨١م.

(٨) في الأصل: «حافيا». تصحيف.

(٩) تكملة البيت كما في المتن:

مَا أَحرزَ البَيتَ لِدِينِ الفَتَى مُنْفَرِدًا فِيهِ وَمَا أَوسَعَهْ

(١٠) لم ترد الأبيات في محاوَلَتَي جمع شعره وتحقيقه.

(١١) ديوان المسيّب بن علس ٩٥، جمعه وحققه: أنور أبو سويلم، منشورات جامعة مؤتة، عمَّان، ١٩٩٤ م. البيت الأول فيه برواية: «وَكَالشُّهدِ بالراحِ أَخلاقُهُم× وأحلامهم».

(١٢) ديوان دعبل بن عليّ الخزاعيّ ١٦٩، صنعة:عبد الكريم الأشتر، دمشق، ١٩٨٣ م . رواية البيت الثَّاني فيه هي: «دُكَّ الشَّاهق»، ورواية البيت الثَّالث هي: «تمازج الماء». سلمى: أحد جبلي طيء. هامش الدِّيوان. الأبيات مكرَّرة في ٢/ ٤٠ أيضًا في مطبوع الدُّر الفريد، البيتان ٢، ٣ مكرَّران في ٥١٥/٤، ولكنها لم ترد هنا حيث قصد المؤلف تَكرارها.

(١٣) ديوان البحتريّ ٤٤٢، تحقيق وشرح:حسن الصَّيرفي، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.وصدر البيت فيه برواية: «وَجَدتُ نَفسَكَ مِن نَفسي بِمَنزِلَةٍ».

(١٤) البيت مكرَّر في الدُّرِّ الفريد أربع مرَّات، لم يرد منها فيه إلا ثلاث مرَّات فقد ورد في مطبوعه ٤٢٨/٤، ١٩٨/٩، ٤٢/١١

(١٥) أخل به ديوانابن الرُّومي (ط. حسين نصار).

بهذا البيت وبالبيت المذكور قبله في الدُّر الفريد، وهو:

مات الأكارم وانمحتْ آثارُهم فاقطع رجاءَك فالزمان لئيم

(١٦) هو أبو المكارم الحسن بن أبي بكر بن أبي القاسم النَّيسَابوري، تلميذ أحمد بن محمد الميدانيّ، ورد البارع بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ، وكان معتزليًّا، وقرَّر قواعد المعتزلة، فوقع بين القوم منازعةٌ، تُوُفِّيَ سنة ٥٤٥ هـ.ترجمته في الوافي بالوَفيات للصفدي ٧/١٢، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وغيره، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠م

(١٧) يضاف البيت في الدُّرّ الفَريد بعد بيت أبي المكارم:

مَاتَ الكِرَامُ وَمَرُّوا وَانْقَضُوا وَمَضوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِم تِلْكَ الكَرَامَاتُ

والبيتان في النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٩٨/٥ (ط. دار الكتب المصرية).

(١٨) يُضَافُ البيت بَعد بَيت الخَوَارزْميّ الذي قَالَه في ميت، وهو:

مَاتَ أَبُو السَّهْلِ فَوَاحَسْرَتَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مَاتَ مِنَ الجُمْعَهْ

والبيتان في ديوان أبي بكر الخوارزمي ٣٦٢، تحقيق: حامد صدقي، طهران، ١٩٩٧م.البيت مكرَّر

في مطبوع الدُّر الفريد ٩/ ٢٨٠، ولكنه سقط حيث وضعه المؤلف.

(١٩) الأبيات للعبَّاس بن الأحنف في ديوانه٢٧٩، تحقيق: عاتكة الخَزرجيّ، دار الكتب المِصريَّة، ١٩٥٤م، ورواية البيت الثَّالث فيه هي: «وبه عززن». سقطت الأبيات ولم يسقط اسم صاحبها المثبت هنا، وهو الرَّشيد، فأُضيف إليه نص آخر.

(٢٠) الأبيات في ديوان البهاء زهير ٢١٦- ٢١٨، تحقيق: محمَّد الجبلاوي، وآخر، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م. رواية البيت الأول فيه هي: «الطرق والسبل»، ورواية الثَّالث فيه هي: «في الخِطاب». ورواية الرَّابع فيه هي: «حينَ أَذكُرُكُم»، ورواية الخامس فيه هي: «إن المليحة تغنيها»، ورواية السَّابع فيه هي: «سابِقٌ عَجِلُ»، ورواية الثَّامن فيه هي: «زمانك واحذر»، ورواية التَّاسع فيه هي: «فالله يفعل لا جدي ولا حمل»، وتكملة البيت العاشر كما في المتن:

مَعَ السَّعادَةِ ما لِلنَّجمِ مِن أَثَرِ فَلا يَغُرُّكَ مِرّيخٌ وَلا حمل

أبيات البهاء زهير مكررة في أكثر من موضع في الدُّرِّ الفريد. ينظر مطبوعه ٥/ ٢٠٧، ٦/ ٣٢٨، ولكنَّها لم ترد هنا.

(٢١) سقط من التَّحقيق ما تحته خطٌّ.

(٢٢) تكملة البيت على ما ورد في المتن، والبصائر والذَّخائر لأبي حيَّان التَّوحيدي ٢/ ٢٨، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، ط١، ١٩٨٨م:«ولم يك غير ذلك والسَّلام». روايته في البصائر والذَّخائر: «حلقنا».

(٢٣) البيتان لإبراهيم الرِّفاعي في معجم الأدباء لياقوت الحموي ١/ ٦٥، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م. وفيه أنَّ الرِّفاعي هذا اسمه إبراهيم بن سعيد بن الطيب، أبو إسحاق، من واسط، عاش ضريرًا، ورحل إلى بغداد، وصحب أبا سعيد السِّيرافي، وسمع منه بعض كتبه، وبعض الكتب اللُّغوية، ثم عاد إلى واسط، توفي عام ٤١١ هـ. البيت الثَّاني وحده في مطبوع الدّرِّ الفريد ٩/ ٤١٣.

(٢٤) القصيدة في ديوان ابن أيدمر ٢٩٥ – ٢٩٧، جمع وتوثيق ودراسة: مصطفى حسين عناية، مجلَّة كلِّيَّة اللُّغة العربية، المنصورة، ع ٢٣، ٢٠٠٤ م.

(٢٥) البيتان الأخيران فقط موجودان في الكتاب، ومكان الباقي فيه نقاط. الأبيات ليست في ديوان ابن زيدون، وتمام البيت الأخير على ما ورد في المخطوط والمطبوع:

والمَلْكُ يَأْنَفُ أَنْ يَحُلَّ سَرِيرَهُ إلا الذين أُنُوفُهُمُ لَا تُرْغَمُ

البيت الثالث مكرر في الدر الفريد، فهو في مطبوعه ١١/ ١٧٦.

(٢٦) سقط البيت الثَّاني، ويضاف لأبيات سوار بن المضرّب العبديّ، والبيت له في الدُّرّ الفَرِيد ٤/ ٥٣٢،

والزَّهرة لابن داود الأصـفهاني١/ ٤١٤، تحقيق: إبراهيم السَّامرائي، وآخر، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٥ م.وشرح ديوان الحماسةلأبي علي المرزوقي ٩٥٢، تحقيق: غريد الشّيخ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م،وشـرح ديوان الحماسـة للتّبريزي ١٣٧/٢ ط. دار القلم، بيروت، والتّذكرة السّـعدية في الأشعار العربيّة للعبيديّ١٢٠، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، وبلا نسـبة في الحماسـة البصريَّةلصـدر الدِّين البصـري، ٧٣/٢ تحقيق: مختار الدّين أحمـد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤، والوَسـاطة بين المتنبي وخصـومه للقاضـي الجرجاني٣٥٢، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا. وفي بعض هذه المصادر: «سأستر».

(٢٧)ديوان ابن الرُّومي ١٨٢٥/٥، ورواية البيت الأول فيه هي: «أدع».

(٢٨) أخلّ بها ديوان ابن المعتزّ (ط. السّامرائي).

(٢٩) الأبيـات لوجيهة بنت أوس الضّـبّية في الزهرة ٤٣٠/١، وشـرح ديوان الحماسـة للمرزوقيّ ٩٨٦، وشـرح ديوان الحماسة للتّبريزي ١٦٣/٢، والحماسة البصـريّة ١٤٨/٢، ورواية البيت الثّالث فيه هـي: «فلو أن»، ورواية الرّابع فيه هي: «فقلت لها». ورواية البيت الثّاني في الزّهرة هي: «وأبغضـت طرفاء».

(٣٠) سقط ما تحته خط.

(٣١) أخلَّ به ديوان الصَّـاحب بن عباد، جمع وتحقيق:محمَّد حسـن آل ياسين، مكتبة النَّهضة، بغداد، ١٩٦٥ م.

(٣٢) ديوانه ٩٦ برواية: «إلَينا كَما لاَ».

(٣٣)شـرح ديوان المتنبي(معجز أحمد) ٩٥/٣ المنسوب لأبي العلاء المعري، تحقيق:عبد المجيد دياب، دار المعارف، ١٩٩٢م. برواية: «وما تحسن». البيت مكرَّر في الدُّر الفريد في مطبوعه في موضع آخر ٢٢٢/٥، وليس مذكورًا هنا.

(٣٤) البيت بلا نسـبة في محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّـعراء والبلغاءللرَّاغب الأصفهانيّ٣٩٨/٣، تحقيق: رياض مراد، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م. وهو مكرَّر في مخطوط الدُّر الفريد، ولم يرد في هذا الموضع من المطبوع، وينظر مطبوعه ١٦١/١١.

(٣٥) ديوانه ١/ ٢٢٦، وفيه: «وما يغنيك».

(٣٦) ديوانه ٧١/٣. وفي هامشه: «أي ما تستقر مملكة سيف الدولة، ولا تستقر سيوف في مملكته حتى يقلقل أعداءه، وتتحرك سيوفه دهرًا في رؤوس الأعداء».

(٣٧) ديوانه ٢٢٨/٢.

(٣٨) ديوانه ١٧٣٩/٣.

(٣٩) البيت لعبد المحسن الصوري في ديوانه ١٢١/٢.

(٤٠) البيت بلا نسبة في البيان والتبيين للجاحظ١/ ٢٤٤، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ٢٠٠٣م، ومحاضرات الأدباء ٣٦/١، ونهاية الأرب ٤٦/٦ (ط. دار الكتب المصرية). وروايته فيهما: « فأيسر سَعيهأبدًا تبار».

(٤١) القَتَبُ: الرَّحْلُ. تاج العروس ٥١٦/٣. البيت مكرر في سياق أبيات أخرى معه في الدر الفريد، ينظر مطبوعه ١٦٠/١١.

(٤٢)ديوانه ٣٨٠/٣، وفيه: «ومن يجعل الضرغام بازًا للصيد بازه».

(٤٣)ديوانه ١٦٠/٣، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ١٩٨٣م.

(٤٤)البيت الثاني فقط في شرح ديوان المتنبي(معجز أحمد)٣٠٧/٣.

(٤٥) الأبيات لأبي العتاهية في ديوانه ٦٦٥- ٦٦٦، وتنسب لغيرهما، ينظر هامش الديوان، ورواية الأخير فيه هي: «وَلِلشَّكلِ عَلى الشَّكلِ».

(٤٦) السَّبَجُ: خَرَزٌ أَسودُ. تاج العروس ٢٧/٦.

(٤٧) يوضع البيتان بعد البيت:

لا تُعجِبَنّك أَثْوَابٌ عَلَى رَجُل دَعْ عَنْكَ أَثْوَابَه وَانْظُر إِلَى الأَدَبِ

البيتان للشافعي كُرِّرَا ثلاث مرات، منهما ثنتان فقط في المطبوع ٣٩٤/٣، ١٣٠/١٠. غير هذا الموضع.

(٤٨) يوضع البيت قبل البيت:

لا تَعْجَبَنّ لخيرزَلَّ عَنْ يَدِه فَالكَوكَبُ النَّحْسُ يَسْقِي الأَرْضَ أَحْيَانا

(٤٩) وَرَدَ في كتاب ابن أَيدمر المحقق البيت التَّالي:

لَا تعجَبُوا لِتَجَلُّدِيْ وَتَبَسُّمِي في بَاطِنِي بخلاف مَا في ظَاهِرِيْ

وَعَلَّق عَليه في الحاشية بقوله: «باقي الأبيات بباب: ما قلت إلا ما وجدت حقيقة... البيت». قلت: الأبيات لابن الحلاوي الموصلي في الدُّرّ الفَريد ١٧٤/٩، وكان من اللازم الإتيان بها، أو على الأقل كتابة تعليق ابن أيدمر المتمثِّل في قوله: «باقي الأبيات بباب: ما قلت إلا ما وجدت حقيقة... البيت». والإشارة إلى الصَّفحة .

(٥٠) البيتان لابن شمس الخلافة في مختاراته من ديوانه الموسومة بدرِّ النَّظم ونظم الدُّر ٢١٧ – ٢١٨، تحقيق: عبد الرازق حويزي، النَّادي الأدبي، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠١٧ م.

(٥١) الأبيات بلا نسبة في المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسَّري الرَّفاء ٢٦٤/٤، تحقيق:ماجد

الذَّهبي وآخر، دمشق، ١٩٨٦م. البيتان الأولان بلا نسبة في نهاية الأرب ١٣٠/٤، والبيت الأول بلا نسبة في المدهش لابن الجوزي ٤٣٥، تحقيق: مروان قبَّاني، دار الكتب العلميَّة، ١٩٨٥م، ورواية البيت الثَّاني في نهاية الأرب هي: «قلبه القاسي». البيت الرابع وحده مكرَّر في الدُّر الفريد ٢٠٣/٩ برواية: «مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَستَغووَنَني سَفهًا».

(٥٢) الأبيات في ديوانه ٧٣، صنعة وتقديم: عبد الرَّازق حويزي، مطبعة الشروق، ٢٠٠٣م. البيت الأول فيه برواية: «بك الدهر... ويتوب»، والبيت الرَّابع مكرر في الدُّر الفريد ١٥٢/٨، والبيت قبل الأخير مكرَّر في الدُّرِّ الفريد ١٧٩/٨.

(٥٣) البيت الأول وحده في الدُّرِّ الفريد دون الثَّاني. النص في المستطرف في كلِّ فنٍّ مستظرف للأبشيهي ٤٩٩/١، ، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م .ورواية البيت الثَّاني فيه هي:

فإن تَولَّت فأحرى أن تجودَ بها فليس تبقى ولكن شُكرها خلف

(٥٤) النص مكرَّر ثلاث مرَّات في الدُّر الفريد ٤٠٣/٢، ١٤٧/٨ باختلاف يسير في الرواية، ولكنه لم يرد هنا.

(٥٥) البيتان لعبيد الله بن طاهر في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٣٢/٩، تحقيق: إحسان عباس، وآخرَين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، وهما لبعض المحدثين في عيون الأخبار لابن قتيبة ١٨٠/٣، دار الكتب المصريَّة، ١٩٣٠م. ورواية البيت الأول فيه هي: «فانفق إذا أنفقت إن كنت موسرًا»، ورواية البيت الأول في الأغاني هي: «انفق إذا أيسرت»، ورواية البيت الثَّاني فيه هي: «والمال مقبل».

(٥٦) الأبيات في ديوانه ٢٦٢/١. رواية البيت الأول فيه هي: «القلب الجريح»، ورواية البيت الثامن هي: «ويفرِّج».

(٥٧) تمام بيت عبد الله الجعفري هو:

لا خيرَ في الوُدِّ ممَّن لا تَزَالُ له مُسْتَشْعِرًا أَبَدًا من خِيفَةٍوَجَلا

الأبيات في ديوان عبد الله بن معاوية ٦٨جمعه: عبد الحميد الرَّاضي، مؤسَّسة الرِّسالة، ١٩٨٢م في أربعة أبيات ليس من بينها البيت الأول، وهو البيت المفرد، ولكنه لعبد الرَّحمن بن حسَّان ومعه آخر في عيون الأخبار ٧٧/٣ هما:

لا خَيْرَ في الوُدّ ممَّن لَا تَزَال لَهُ مُسْتَشْعِرًا أَبَدًا من خِيفَةٍوَجَلا

إِذَا تَغَيَّب لم تبرحْ تسيءُ به ظنًا وتسأل عمَّا قَالَ أَوْ فَعَلا

ورواية البيت الثَّاني في ديوان عبد الله بن معاوية:«لم تبرح تظن به»، ورواية البيت الثَّاني فيه هي:

يُري الصَّديقَ لَهُ منهُ مُكاشَرَةً كَيما يَصولَ بِهِ يَومًا إِذا غَفَلا

ورواية البيت الثَّالث فيه هي:

فَـلا عَـداوَتُـهُ تَـبـدو فَتَـعـرِفُـهـا مِـنـهُ وَلا وُدُّهُ يَـومًـا لَـهُ اعتَـدَلا

(٥٨) الأبيـات في ديوان مسـلم بن الوليد ٢٥٠ – ٢٥٢، تحقيق: سـامي الدَّهـان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م،وتمام بيت مسلم بن الوليد كما ورد في المتن، وديوانه:

لا يَضحَكُ الـدَّهـرَ إلّا حـينَ تَسـأَلُهُ وَلَـيـسَ يَعبُسُ إلّا حـينَ لا يُسَـلُ

وروايـة عجـز البيت الأول في ديوان مسـلم بن الوليد هـو: «مُحَمَّلٌ نَكَبات الدَّهـرِ مُحتَمِلُ»، ورواية البيـت الخامس فيه هي: «وَاسـتَرخى بـه»، ورواية البيت السـادس فيه هي: «بِالرُّغـبِ وَالرُّهبِ»، ورواية البيت التاسع فيه هي: «مُستَوطِنًا أَوطانُها».

(٥٩) البيتان في ديوان البحتري ١/٤٤٠.

(٦٠) سـقطت هذه الأبيات من نصِّ عبد العزيز بن زرارة، والبيت الأول منها له في التَّذكرة الحمدونيَّة لابن حمدون ٤/٣١٤، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت ١٩٩٦ م.

(٦١) يوضع هذا البيت بعد بيت الصَّاحب بن عبَّاد:

يَا ابْنَ الحَضِيرِيّ لَا تَذْهَبْ عَلَى خَجَلٍ لِحَـادِثٍ كَـانَ شِبْـهَ الـنَّـايِ وَالـعُـودِ

لم يرد النَّص في هذا الموضع، وهو مكرَّر في الكتاب في موضع آخر ٧/١١٠.

(٦٢) مصارع العشَّاق لجعفر السَّرَّاج ٢/٢٦١ دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م، ومعجم الأدباء ١/٤٧، ورواية البيت الأول فيهما: «قلت: بعد الفراق»، ورواية البيت الثَّاني هي: «لكُنتُ تموتُ».

(٦٣) للسَّـري الرَّفَّاء في ديوانه ٢/١٣٦ تحقيق: حبيب حُسـين الحسـني، دار الرَّشـيد، بغداد،١٩٨١م. نُسِـبت مقطوعة الميكاليّ التَّالية للملك العزيز، وروايـة البيت الثَّاني فيه هي: «فغدوت... يرفع ... ويخفض»، ورواية البيت الأوَّل فيه:

يـا دَهْـرُ صَـافيتَ الـلَّـئـامَ مُـسـاعِـدا لَـهُـمُ وجـانَـبْـتَ الـكِـرامَ مُـعـانِـدا

(٦٤) في البيـت الأول خـرم. الأبيات في الأغـاني ٢١/١٦٦، والتَّذكرة الحمدونيَّة ٥/٢٠٠، وهي لسـالم بن دارة في الحماسـة البصريَّة ١/٧٤، والوافي بالوفيات ١٨/١٦٧، وهي لعبد الرَّحمن بن دارة في الوَساطة ٣٥٦، والبيت الثَّاني فيه برواية: «على الذل»، ورواية البيت الأول فيه هي:

فـإن أنـتـم لم تـقـتـلـوا بـأخـيـكُـم فَـكُـونـوا بَـغَـايـا لـلـخَـلـوق ولـلـكحل

(٦٥) البيـت له في ديوانه ضـمن شـعراء أمويِّين ٢/٣٥٨. جمـع وتحقيق: نُوري حمودي القيسـي، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٥م.النَّص مكرَّر في الدُّر الفريد ٤/٣١٢، ٧/٣٧٢، ولكنَّه لم يرد في هذا الموضع الذَّي قصد المؤلف تَكراره فيه.

(٦٦) البيت لأبي نواس في ديوانه ١١١/٣ ،تحقيق: إيفالدفاغنر، وزميله، الهيئة العامَّة لقصور الثَّقافة، مصر،٢٠٠٠م

(٦٧) البيت بتمامه على ما ورد في الأصل ٣٦٣/١١:

يَصُدُّ وَيُغضِي وَهُو لَيثُ خَفِيَّةٍ إِذَا أَمكَنَتهُ فُرصَةٌ لَا يُقيلُها

(٦٨) الأبيات لوَضَّاح اليَمن في ديوانه ٥٨ جمع: محمَّد خير البقاعي، دار صادر، ط ١، ١٩٩٦ م هكذا:

يَا خَلِيلِيّ قَدْ صَفَا كَدَرُ العَيـ ـشِ وَقَدْ أَسْعَدَ الزَّمَانُ الخَرِيفُ

إِنَّ طَرْفِي مُمَازِحٌ وَلِسَانِي وَضَمِيرِي عَنِ الفُسُوقِ عَفِيفُ

لَو سَلَا القَلْبُ كُنْتُ مِن أَسْعَدِ النا سِ ولَكِنَّه المَشُومُ أَلُوفُ

طَرِقتنا بِعَسْقَلان أُلُوف مَرحبًا بِالخَيالِ حِينَ يُطِيفُ

يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ قَلْبِي ضَعِيف وَفُؤَادِي مَعْ ضِعْفِ قَلبِي نَحِيفُ

(٦٩) هذا البيت مكرَّر في ٢٠٩/٩، ولكنه لم يرد حيث أراد المؤلف تَكراره هنا. يوضع بعد بيت أبي علي البصير:

لا أَجْعَلُ المالَ لي رَبًّا فَيَصْرِفني لَا بَل أَكُونُ لَهُ رَبًّا فَأَصْرِفُهُ

(٧٠) الأبيات له في معجم الشُّعراءللمَرْزُباني٥٠٤ – ٥٠٥، تحقيق: عبد السَّتَّار فراَّج، هيئة قصور الثَّقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م،والبيتان الأخيران في له ربيع الأبرار وفصوص الأخبار:للزَّمخشري ٢٦١/١، تحقيق ودراسة: عبد المجيد دياب، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٩٢م .يوسف هذا هو أبو أحمد بن يوسف، وزير المأمون، كتب لعبد الله بن عليّ عمّ المنصور، وهو من أهل بيت شعر وأدب في الكوفة. ينظر معجم الشُّعراء ٥٠٤. البيت الأخير وحده مكرَّر في الدُّرِّ الفريد ٤٩٠/٧.

(٧١) البيتان له في التَّذكرة الحمدونيَّة ١١٠/٦ - ١١١.

من انتسب إلى وظيفته أو مهنته من علماء الأندلس

د.محمود أحمد هدية

إنَّ الإحاطة بدراسة أحوال العلماء والتطرق للجوانب الخفية من حياتهم تكشف لنا أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية لما نالوه من علو المكانة والمنزلة الاجتماعية داخل تلك المجتمعات التي نشؤوا بها أو قَدِموا إليها، وتقدم لنا المصادر التاريخية وخاصة كتب التراجم والأدب والتاريخ والمناقب سردًا لعدد من العلماء ممن انتسبوا لمِهَن وحِرَف مارسوها على الرغم من انشغالهم بمجالهم العلمي، مايوضح الجانب المعيشي للعلماء في الأنْدُلُس لبيان أهمية العمل لديهم وطبيعة الأعمال التي تناسب مكانتهم، وهذا لايعني تدني الوضع المعيشي لعلماء الأنْدُلُس في الوقت الذي جنى عدد منهم ثروات طائلة نتيجة ممارستهم التجارة بكافة أنواعها، ومن بينها تجارة الكتب بيعًا وشراءً، ومنهم من احترف الصناعة، وبعض الحِرَف الدقيقة، ومن خلال هذه الأعمال والوظائف نستطيع إبراز المستوى المعيشي لهؤلاء العلماء الذي شهد فترات تأرجح ولم يكن مستقرًّا عند حدٍ معيّن، نظراً لطبيعة الأعمال، وأثر الأوضاع الاقتصادية عليهم. إلا أنَّ ذلك لم يحل دون مشاركتهم لبعض أوجه النشاط المِهْني والحِرَفي، وذلك نابع من طبيعة المجتمع الأنْدُلُسي فاتّصفوا بالدقة والجد والصبر في أداء أعمالهم فكانوا

«صـينيون في إتقان الصـنائع العملية وأحكام المِهَن التصورية فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاسـاة النصب في تحسين الصنائع»[١]، وكانوا أيضًـا «متى دخلوا في شـغل عملـوه في أقرب مدة، وأفرغـوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم ويصير الذكر لهم»[٢].

وظهـر الانتسـاب للمِهَن والحِـرَف في المجتمع الأَنْدَلُسـي في القـرن الثالث الهجري/التاسـع الميلادي، ولكنه كان أوسع انتشـارًا في القرن الرابع الهجري/العاشـر الميلادي، إذ نجد في ثنايا تلك الكتب بعض الألقاب والكُنى الدالة على التسمي بالحِرَف والمِهَن آنذاك والتي تقدم معلومات غاية في الأهمية من خلالها نسـتنبط أبـرز الأعمال التي مارسـها العلماء، وقـد نبع ذلك التقليـد من دراية العلماء الأَنْدَلُسيين بقيمة العمل والانتصاب له لما أعلاه الإسلام من شأن الحِرَف والصـناعات والقائمين عليها بشـكل عام، بعد أنَّ كانت تلاقي نوعًا من الاحتقار والازدراء والمهانة في ثقافات العالم القديم، وكذلك العرب قبل مجيء الإسلام[٣] فإن أراد أحدهم أنَّ يسب شخص يقول له: «يا ابن الصَانع»[٤].

غير أنَّ تلك المفاهيم–عن الصِّـناعة- تأرجحت بين التحقير تارة والتقدير تارة أخرى، خلال فترات متعددة من التاريخ الأَنْدَلُسـي، فنجد الأمير مُحَمَّد بن عبـد الرحمن (٢٢٨-٢٧٣هـ) في حديثه إلى وزيره هشـام بن عبد العزيز يذكر: «كنا لا نخلف آباءكم فيكم، ولا نخلفكم في أبنائكم، فعند من نضع إحساننا ونرب معروفنا؟ عند أبناء القَزّازين والجزارين والحجامين وأشـباههم من الغاضـين للهيئة المخلين بالأبهة»[٥]، فنجد كثيرًا من ألقاب العلماء منتسـبة للحِرَف والمِهَن ولم يجد البعض حرجًا في ممارسـة وتأدية بعض المِهَن والحِرَف رغبة في تحسين أوضاعهم المادية والمعيشية، خاصة وأنَّ المجتمع الأَنْدَلُسي بلغ من الحذق والدراية بالحِرَف والصنائع مافاق أهل العدوة المغربية، وجعلهم يورثونها لأبنائهم وذويهم وحرصـوا علـى الحفاظ علـى أسـرارها وموروثاتهـا والإبقاء على صـنعة الآباء والأجداد وإنّ كانت حقيرة ومزدرية في المجتمع، ومنهم من عمل بأجرة في الأماكن

العامة أو العمل لدى الصُنّاع الكبار والمعلِّمين، ومنهم أيضًا من عمل لحسابه في حانوته أو منازله، ومنهم من سعى لتعلم الحِرَفةُ أو الصنعة أو توارثها عن الآباء والأجداد وفي هذه الحالة فإنهم يتقنونها بشكل جيد يسمح لهم بمزاولتها[٦]، رغبة منهم في المحافظة علي مِهْنتهم وأسرارها بتوريثها لأولادهم، فساعدوهم ونقلوا خبراتهم المكتسبة عبر السنين، ثم توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد[٧]، وهو ما جاءت به أمثال العامة «صنعة والدك، ولو كان حشاش»[٨]، وفي ظل تلك الظروف عانى المبتدئين من ثقل الجهد المُوكول إليهم نتيجة لاستغلال مُعَلّميهم لهم بشكل قاس ومهين خاصة وإن كانوا أيتامًا لا وليّ لهم أو مُعيل، أمَّا في حالة تعلّم الأبناء من الآباء والأجداد فإنهم يتقنونها بشكل بارع حتى يتوارثوا الحِرفةُ فيما بينهم ولا تندثر، مثلما فعل أهل الذمة وبخاصة الصُنّاع اليهود[٩].

وجاءت الأمثال العامية في الأَنْدُلُس لتضيف وتقدم عددًا من الحِرَف والمِهْن الأَنْدُلُسية، بشقيها النظيفة التي يتعاطاها أصحابها دون أنَّ تتسخ ثيابهم أو أبدانهم أو يلوثوا أماكنهم التي يشتغلون بها، والوسخة والتي يتسخ فيها بدن أو ثوْب متعاطيها، أو تلوث المكان الذي يعمل به، فكانت تلك الحِرَف والمِهْن مرآة للوضع الاقتصادي عند الأَنْدُلُسيين أوساط المجتمع، ومن بين الأمثال التي حثّت على مزاولة العمل وإتقانه وتجويده في المثل«كُل أحد من صَنْعَتِه يَنْفِق»، والمثل«من كَثْرَة الصنّاعُ، قَلَّتْ القَطّاعُ»، فكان الحفاظ على أسرار الصنعة وأصولها أمرًا مهمًا بقولهم:«صَاحِبْ صَنْعَتَك عَدُّوك، وَلَو كَانَ أخُوك»[١٠].

حِرَف ومِهْن العلماء:

على الرغم من تفاوت علماء الأَنْدُلُس في العلم والمكانة والتأثير داخل المجتمع، إلا أنَّ هذا عكس في مجمله الوضع الاجتماعي لهم وكيف أنَّ غالبيتهم ينتمون لأبناء الطبقة الوسطى والدنيا التي شكلت السواد الأعظم من أبناء المجتمع الأندلسي.

وقبيل الحديث عن حِرَف ومِهَن العلماء وجب التعريف بالحرفة؛ فهي الكسب والحصول على شيء، ومزاولة أعمال دقيقة مختصة يقوم بها العاملين المهرة وتتطلب جهدًا فكريًّا وبدنيًّا عاليًا، يمارسها أفراد معينون لفترات طويلة ويتوافر فيها عنصر الإبداع، لغرض الارتزاق، ويكون العمل فرديًّا على الأغلب فيها، ويتصف بالندرة في بعض الأحيان، واكتساب العمل يتم بالتتلمذ بين العاملين أنفسهم، وتنحصر بين جماعات وعوائل معينة يتوارثونها فيما بينهم ويشتهرون بها في أغلب الأحيان، ولكل الحِرَف أسرار وتقاليد وقواعد يُعمل بها[١١]، وهي تشمل الزراعة والتجارة ووكالات الدعاوى وتعليم العلوم والسمسرة والدلالة والقبالة وغيرها[١٢].

أمّا المِهْنة فمفهومها يتداخل مع الصناعة والحرفة، فقيل عنها هي العمل باليد والحذاقة بها، ولاتتطلب إبداعًا في تأديتها في كثير من الأحيان[١٣]، أمّا الصِّناعة هي عمل يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع الذي يعمل به، كالطحانة والخبازة والطباخة، أو في صفته كالنجارة والحدادة والصياغة[١٤]، وعرّفها ابن خلدون بأنها «ملكة في أمر عملي فكري»[١٥]، فهي إجادة الفعل، فكلّ صُنع فعلٌ وليس كلّ فعل صنعًا، ومنها يقال رجل صَنع اليدين إذا كان حاذقًا بها وماهرًا في عملها[١٦].

وتنقسم المِهْن والحِرَف إلى:

أولا: المِهْن والحِرَف المكتسبة:

سعى بعض الأئمة والعلماء في الأنْدُلُس-كما أشارت كتب التراجم والسير والمناقب- لتعلم واكتساب فنون بعض المِهَن والحِرَف على اختلاف أنواعها وأصنافها ومراحلها رغبة في الحصول علي قوت يومهم من صنع أيديهم، فزاولوا الحِرَف ونسبوا إليها وتسموا بمفرداتها، مما يعطي مؤشرًا على أنَّ بعض العلماء ممن اختاروا الانخراط في الأعمال المِهْنية والحِرَفية لم تسعفهم

المكانة أو المنزلة لدى الدولة لأن ينضموا للجهاز الإداري لها، أو أنَّ بعضهم فضل الابتعاد عن السلطة ليتقي الشبهات على الرغم من قساوة المعيشة فقرروا امتهان الأعمال والحِرَف للعيش أيًّا كانت طبيعتها ومدى تناسبها لمكانتهم، إمّا لاتصالها بأمور الزهد والتقشف أو رغبة في الحصول علي قوت يومهم من صنع أيديهم، كالعالم ظاهر بن يزيد الزاهد من أهل قُرْطُبَة فقد كان قَزّازا[١٧] يبيع القزّ ويصنعه[١٨]، وعبد العزيز بن الحسين بن حبيب الزجَّاج[١٩]، ومحمد ابن سعيد بن حسان الصائغ[٢٠]، ومحمد بن غصن الحداد، من أهل قرطبة، قيل عنه أنه صالحٌ مغتنٍ بالعلم[٢١]، ومحمد بن عبد الله المطماطي البزَّاز[٢٢]، وابن محمد بن عبدالله بن حسان الأموي العطار من أهل قرطبة (ت٣٠٩هـ/١١١٥م)[٢٣]، ويوسف بن سموأل من أهل قرطبة يعرف بالدّقّاق وكان يفتي في السوق بقرطبة[٢٤].

ثانيًا: الحِرَف والمِهْن المتوارثة:

مجموعة المِهَن والحِرَف التي امتهنها وتعلمها بعض علماء الأنْدُلُس وتوارثوها عن آبائهم وأجدادهم فاقترنت بأسمائهم وألقابهم وكناهم فأتقنوها، حيث تفرد لنا كتب التراجم والمناقب والأدب الأندلسية قائمة طويلة من علماء وفقهاء وقضاة الأنْدُلُس ممن عُرفوا ونسبوا لأعمالهم وحرفهم أو لأعمال وحرف آبائهم وأجدادهم ومن بين أولئك: محمد بن سعيد بن أصبغ من أهل قرطبة، يعرف بابن الطحان[٢٥]، وعلي بن محمد بن هيصم (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) الملقب بابن الفخّار نسبة لصنعة أبيه الذي حرص على تعليم ابنه صناعة الفخارة[٢٦]، وعبدالرحمن بن أحمد المعروف بابن الجبّان[٢٧]، وأيضا محمد بن غالب المعروف بابن الصفّار (ت٢٩٥هـ/٩٠٨م)[٢٨]، وكذلك نرى إبراهيم بن لبيب من أهل قرطبة عُرف بابن الحائك[٢٩] ومنهم إبراهيم بن هارون وهو من قوم يعرفون ببني السقّا[٣٠]، وأحمد بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن باز (ت٢٧٣هـ/٨٨٦م)

مـن أهل قُرْطُبَة يعرف بابن القزَّاز، وأبو عبد الله مُحَمَّد بن عبادة المعروف بابن القزَّاز[٣١]، وكذلك أحمد بن مُحَمَّد الإشـبيلي أبو عمر (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م) يعرف بابـن الحرّار[٣٢]، وأحمد الحرّار التجيبي (كان حيًّا في القرن السـابع الهجري) استقر في القاهرة وعمل في صناعة الحرير فيقول «كنت أكبّ زنارًا حريرًا بدرهم وأجعله عند الزيات فاخذ في عشـيته كل يوم رغيفـاً اقتات به، فاذا فرغ الدرهم أكبّ زنارا غير وهكذا ... فلم أزل علي حالتي أكبّ الحرير»[٣٣]، كما انتسب الأديب أبـو بكر مُحَمَّد بن عيسـى الداني والمعـروف بـ «ابن اللبانـة» لوالدته التي عملت ببيع اللبن «حتى غلب اسـم اللبن عليها، ونسـب أولادها بـه إليها»[٣٤]، وعبد الله ابن مُحَمَّد المعروف بابن بركة الصابوني كان له في مدينة قُرْطُبَة «دكاكين يصنع فيها خدمه الصابون ومنه عيشه»[٣٥]، وحسن بن عبد الله بن حسن التميمي من أهل تدمير، ويعرف بابن ربيب القلاس[٣٦]، ومُحَمَّد بن سـعيد بن خصيب يعرف بابن القُسَّام[٣٧][٣٨].

ثالثًا: أصناف مِهْن وحِرَف علماء الأندلس:

تنوعـت الحِـرَف والمِهْن التي مارسـها علمـاء الأَنْدَلُس ما بـين مِهْن وحِرَف تتناسـب مـع المكانة والوضـع العلمي لهم، وأخـرى أقل مكانـة ولكنها تطلبت في تأديتهـا مهارة وإتقان، وهي وفي غالبيتها حرف متوارثة، ومِهْن وحِرَف لم تتوافق مع مكانة العلماء ولكن الحالة المعيشية اضطرتهم لذلك.

أ| مِهْن وحِرَف تناسبت مع الوضع العلمي لعلماء الأندلس:

هـي مجموعة مـن المِهْن ارتبطت بالطبيعـة والمنزلة العلميـة للعلماء، فنجد عددًا كبيرًا منهم عمل مؤدّبًا أو معلِّمًا أو كاتبًا أو مُقْرِئا أو مؤذنًا، لسـد معيشتهم وتحسين أحوالهم المادية ولارتباطهم بسلك التعليم وتماسها بالعلم والدين، وهي من المِهْن التي اكتسـبها علماء الأَنْدَلُس وانتسـبوا إليها، فاقترنت بأسمائهم ومن بينها:

المُقْرِئ[٣٩]:

نجد في كتب المناقب والتراجم عددًا كبيرًا منهم على سبيل المثال؛ الحسين بن يوسف البلنسي المُقْرِئ (ت٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، ونذير بن وهب البلنسي المُقْرِئ (ت٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)[٤٠]، وصاعد المقرئ وهو من الغرباء الذين قدموا للأَنْدَلُس وكان له نصيب من العربية[٤١]، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالعزيز المُقْرِئ (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م) من أهل بَلَنْسِيَّة، كان يقرئ القرآن بمسجد ابن حزب الله داخل بَلَنْسِيَّة(٤٢)، مُحَمَّد بن قاسم بن شمعلة المُقْرِئ، كان مقرئًا آخذ الناس عنه (ت٤٤٢هـ/١٠٣١م)[٤٣]، مُحَمَّد باسة بن أحمد أَرذمان المُقْرِئ (ت٥١٥هـ/١١٢١م)، كان مقرئًا عارفا بالقراءات[٤٤]، ويحيى بن إبراهيم المُقْرِئ (ت٤٩٦هـ/١١٠٢م) كان مقرئًا ويقرئ الناس القرآن[٤٥]، يحيى بن مُحَمَّد المُقْرِئ، من أهل المرية يعرف بابن الفوال[٤٦].

المُؤَدِّب:

المُؤَدِّب؛ هو من يأخذ المؤدَّب بعد معرفته لمبادئ وأوليات العلم، ويكون قادرًا على متابعة ما يتصل بالأدب من قرآن، وحديث، وكلام العرب نثرها وشعرها، وأخبار الماضين، وحكايات المعاصرين، وما في الكلام من ملح وطرائف، ونكاتٍ وعجائب، واختيار ما يستجاد من ذلك، ويعين على اختياره الذوق السليم، مع صفاتٍ أخرى فيه[٤٧]، ومن بين أولئك الذين عملوا مؤدِّبين وورد ذكرهم؛ مُحَمَّد بن أحمد الشذوني المُؤَدِّب سكن قُرْطُبَة فكان مغتنيًا بالعلم ومنه يتعايش (ت٣٠٥هـ/٩١٧م)[٤٨]، عمر بن حفص بن عمر المُؤَدِّب، من أهل طليلطة (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م)[٤٩]، ومُحَمَّد بن سليمان الأنصاري النحوي المكفوف (٣٢٦هـ/٩٣٧م) عمل مؤدِّبًا للنحو ومقرئًا[٥٠]، وعبد الله بن مهران المُؤَدِّب[٥١]، ومُحَمَّد بن حَامِد المُؤَدِّب وهو من أهل قُرْطُبَة[٥٢]، مُحَمَّد بن يحيى بن عوانة كان إمامًا في المسجد الجامع بقُرْطُبَة ومؤدبا[٥٣]، وحمزة بن موسى المُؤَدِّب من

أهـل إشْـبيليَّة[٥٤]،وعبد الله بن نصـر الصـريفي (ت٣١٥هـ/٩٢٧م) كان مؤدبًا في مسـجد أبى علاقة بقُرْطُبَة[٥٥]، ومسـعود بْـن مُحَمَّد المُؤدِّب مـن أهل قُرْطُبَة من الْعلمَاء بِالْفَروض والحسـاب[٥٦]، وأصـبغ بْن عِيسَـى المُـؤَدِّب القُرْطُبيّ[٥٧]، وأبو إِسْـحَاق المُـؤَدِّب من أَهْل قُرْطُبَـة[٥٨]، وأحمد بن مُحَمَّد بن هاشـم من أهل قُرْطُبَـة كان مؤدِّبًـا[٥٩]، ووليد بن عبـد الوارث المُؤَدِّب من أهـل المرية كان معلمًا بالقرآن[٦٠]، وعفان بن قريش بن مروان المُؤَدِّب من أَهْلَ إِشْبِيليَّة كان ببلده يقرئ القُرآن وَيعلم بِهِ[٦١]، وعثمان بن نصـر بن عبد الله المُؤَدِّب من أهل قُرْطُبَة، أدّب المستنصـر بالله (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)[٦٢]، وعبـد العزيز بن مهلب بن معلا المُؤَدِّب مـن أهل قُرْطُبَة[٦٣]، وشـيبان بن سـليمان المُـؤَدِّب من أهل قُرْطُبَـة[٦٤]، ومُحَمَّد ابـن خليفة ابن عبد الجبار المُـؤَدِّب (ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م)[٦٥]، ومُحَمَّد بن أحمد ابن عبيد الله القيسـي القبري المُؤَدِّب، من أهـل قُرْطُبَة (ت٣٦٢هـ/٩٧٣م) قيل عنـه أنه خير مـؤدّب[٦٦]، ومُحَمَّد بن عبـد الله بن مُحَمَّد البهـراني المُؤَدِّب، كان سـكناه خلـف الوادي بمنيـة العجب من أهـل قُرْطُبَة، وعمـل أَيْضًـا معلّم هِجاء (٣٨٥هـ/٩٩٥م)[٦٧]، ويوسـف بـن مُحَمَّـد بن يوسـف بن عمـرو المُؤَدِّب سـكن قُرْطُبَـة[٦٨]، ومُحَمَّد ابن أحمد بن مدرك أبو عبد الله القبري المُؤَدِّب[٦٩]، وأحمد ابن قزلمان المُؤَدِّب من أهل قُرْطُبَة[٧٠].

المعلِّم:

المعلِّم ذاك الذي ينشـئ أو يُنشـأ له حلقة علم في مسجد أو مدرسة، أو مكان مـا، ويكون مشـاعًا لعامـة الناس أو بشـروط[٧١]، ومـن العلماء من عمـل معلِّمًا وانتسب إلى مِهْنته؛ نذكر: مُحَمَّد بن الوليد القيشاطي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، كان معلِّـم العربية بقُرْطُبَة وقيل عنه «عنده تعلم العربية»[٧٢]، وعبد العزيز بن مُحَمَّد بن عبدالعزيز بن المعلِّم، من أهل قُرْطُبَة[٧٣]، وإسـحاق بن قاسم بن سمرة سكن قُرْطُبَة كان معلِّمًا[٧٤]، ومُحَمَّد بن عبد العزيز بن الخشني، المعروف بابن المعلِّم من

أهل قُرْطُبَة سكن إشْبيليَّة (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م)[٧٥]، ومُحَمَّد بن عبد الله المؤمن المعلِّم من أهل قُرْطُبَة (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م)[٧٦]، ومُحَمَّد بن يوسف بن مُحَمَّد النجاد من أهل قُرْطُبَة، كان له نصيب وافر من علم العربية وعلم الفرائض بالحساب وأقرأ الناس بقُرْطُبَة بمسجده[٧٧]، وأحمد بن إبراهيم العلاكي المعلِّم من أهل قُرْطُبَة[٧٨]، وعبد الْوَاحد المعلِّم من أَهْل قُرْطُبَة[٧٩]، والْقَاسِم بن مُحَمَّد المعلِّم[٨٠]، وحزم المعلِّم من أَهْل قُرْطُبَة كَانَ هُوَ وَابْنه مُحَمَّد وابنته تجمعهم في تعليمهم دار واحدة[٨١]، وأبو عمر المعلِّم من أهل قُرْطُبَة كان يُؤَدب بالفخارين وله مكانة في الصناعة[٨٢]، وأحمد بْن عِيسَى المعلِّم من أَهْلَ إشْبِيليَّة[٨٣]، ومُحَمَّد بن إبراهيم ابن حزم المعلِّم من أهل أستجة[٨٤]، وعبد اللَّه بن أحمد بن سعيد الْهَمدَاني المعلِّم من أهل جيان عمل بالتعليم والإقراء (ت٥٢٠هـ/١١٢٨م)[٨٥]، وعبد اللَّه بن الفقيه من أهل غرناطة يعرف بالألشي من أهل الْمعرفَة بالفرائض والحساب مُتَقَدم بهما يعلم بهما[٨٦]، ومُحَمَّد بن سليمان الطليطلي المعلِّم من قُرْطُبَة[٨٧]، وعلي بن خلف المعلِّم من أَهْل إشْبِيليَّة كان يُؤَدب بالقرآن[٨٨]، وإسماعيل ابن أحمد بن المعلِّم من أَهْل سرقسطة يعرف بالدراج[٨٩]، وحمدون بن مُحَمَّد من أَهْل بلسنية يعرف بابن المعلِّم[٩٠]، والحسن بن أحمد بن عبد اللَّه المعلِّم من أَهْل إشْبِيليَّة[٩١]، ومُحَمَّد بن أبي سليمان الطليطلي المعلِّم سكن قُرْطُبَة[٩٢]، ومُحَمَّد ابن حزم المعلِّم من أهل قُرْطُبَة، وكان مجتهدًا في طلب العلم فاضلاً[٩٣]، وعبد اللَّه بن مُحَمَّد بن الطفيل المعلِّم، من أهل قُرْطُبَة كان من القراء[٩٤]، وعباس المعلِّم من أهل قُرْطُبَة[٩٥]، وعامر المعلِّم من أهل قُرْطُبَة وعمل بها معلمًا[٩٦]، وغوث المعلِّم، من أهل قُرْطُبَة[٩٧]، وعلي بن رافع بن أحمد بن حلبس الأموي من أهل بَلَنْسيَّة، كان من أهل المعرفة بالفرائض والحساب معلمًا بذلك وهو أخو عيسى بن رافع المُقْرِئ وكان أخوهما الثالث مُحَمَّد أستاذًا في العربية «ذكرهم ابن عياد وقرأت ذلك بخط ابنه مُحَمَّد»[٩٨].

المُكَتِّب:

نُسب عددٌ من العلماء لعلمهم في تعليم وتأديب طلاب العلم خاصة معلم الكُتَّاب فهو أول شخصية علمية يلتقي بها الطالب ويتأثر بها ومن ضمن أولئك؛ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله البلنسي المُكَتِّب(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م) كان بارعًا في علم القراءات، وصلى بالناس في مسجد رحبة القاضي مدة طويلة[٩٩]، وأيوب ابن مُحَمَّد بن يحيى بن غالب المُكَتِّب(ت٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) تصدر للإقراء والتعليم، من أهل الصلاح والتحقيق والتجويد والقيام على كتاب الله[١٠٠]، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي زاهر المُكَتِّب[١٠١]، وإبراهيم ابن علي بن ترحيب المُكَتِّب (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م أو ٥٥١هـ/ ١١٥٦م) وقد اُستخلف على الصلاة والخطبة بالجامع لصلاحه وميل الناس إليه[١٠٢]، ومُحَمَّد بن موفق المُكَتِّب (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م) كان يُعلم القرآن وكان صنع اليد عارفًا بمرسوم الخطّ في المصاحف معروفًا بالضبط وحسن الوَرَّاقة يغالي فيما يكتب مع التجويد والإتقان[١٠٣]، وأبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن خلف المُكَتِّب (ت٥٧٠هـ/١١٧٤م) الذي عمل معلمًا بالقرآن وإمامًا في صلاة الفريضة بمسجد حميد في بَلَنْسيَّة[١٠٤]، مُحَمَّد بن رفاعة بن محدوب المُكَتِّب من أهل قُرْطُبَة (٣٧٢هـ/٩٨٢م)[١٠٥]، وسعيد بن عبد الله المُكَتِّب من أهل قُرْطُبَة[١٠٦]، وتاشفين بن مُحَمَّد المُكَتِّب من أهل فاس كان زاهدًا عابدًا معلمًا للقرآن له حظ من قرض الشعر[١٠٧]، وشعيب بن عامر بن مُحَمَّد القيسي المُكَتِّب من أهل إشْبِيليَّة أخذ القراءات عن جده لأمه[١٠٨]، وعبد الله بن عيسى بن عبد الله الأنصاري المُكَتِّب(ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م) من أهل قُرْطُبَة «قعد للتعليم بمسجد من شرقي قُرْطُبَة وكان يؤم به ويعيش من كراء ريع له وكان منقطع القرين في الزهد»[١٠٩]، ومُحَمَّد بن عبد الله بن خيار المُكَتِّب (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م) من أهل ميورقة انتقل إلى قُرْطُبَة فسكنها «وعلم بها القرآن وكان يكتب المصاحف ويؤم الناس في صلاة الفريضة بمسجد من

داخل قُرْطُبَة»[١١٠]، وعمرو المُكَتِّب من بعض ثغور الأندلس[١١١]، ومحمد بن رفاعة ابن محبوب المُكَتِّب، من أهل قرطبة[١١٢]، وخلف بن محمد بن خلف الخولاني المُكَتِّب، من أهل قرطبة؛ كان معلمًا، وكان عسرًا في الإسماع[١١٣]، وداود ابن إسماعيل المُكَتِّب من أهل تطيلة[١١٤]، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عياض اليحصبي المُكَتِّب من أهل سرقسطة يكنى أبا زيد كان من أهل العلم بالقراءة والحساب والأدب[١١٥]، وعبد الرحمن بن سعدون المُكَتِّب يعرف بالركاني[١١٦]، وعلي بن مُحَمَّد بن خلف المُكَتِّب من أهل شاطبة[١١٧]، وعبد المنعم بن يحيى ابن خلف بن النفيس الحميري المُكَتِّب من أهل غرناطة «كان له حظ من العربية»[١١٨]، وعمروس بن إسماعيل العبدري المُكَتِّب الزاهد من أهل قُرْطُبَة اشتغل بتعليم القرآن[١١٩]، وعبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أحمد المُكَتِّب من أهل شاطبة[١٢٠]، وعلي بن حيي الأنصاري المُكَتِّب من أهل سرقسطة تصدر ببلده للإقراء وكان مقرئًا فاضلًا (ت٥١٢هـ/١١١٨م)[١٢١]، وأحمد بن عبد الله ابن مفرج المُكَتِّب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) سكن إشبيلية[١٢٢]، وفتح السكوني مولاهم المُكَتِّب من أهل إِشْبِيلِيَّة علم بالقرآن وأخذ عنه ابنه[١٢٣]، وأحمد بن غرسية المُكَتِّب من أهل مدينة الفرح[١٢٤]، وخالص المُكَتِّب من أهل إِشْبِيلِيَّة أقرأ القرآن ببلده[١٢٥]، وعبدالملك ابن خلف بن مُحَمَّد الخولاني المُكَتِّب من مدينة سالم بالثغر الشرقي وسكن غرناطة وتصدر للإقراء بها[١٢٦]، وإبراهيم بن أحمد ابن مُحَمَّد الأزدي المُكَتِّب سكن قُرْطُبَة علم بالقرآن[١٢٧]، وأحمد بن مُحَمَّد ابن خلف بن اليسر المُكَتِّب من أهل غرناطة[١٢٨]، وأحمد بن سعيد بن عبد الله المُكَتِّب (ت٤٢٨هـ/..) من أهل إشبيلية[١٢٩]، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد المُكَتِّب من أهل بَلَنْسِيَّة سماه أبو الربيع بن سالم في شيوخه وهو كان معلمه في الكتّاب[١٣٠]، وأحمد بن أبي عبد الملك المُكَتِّب من أهل قُرْطُبَة[١٣١]، ومسعود المُكَتِّب من أهل مرسية أخذ القراءات وأقرأ بها القرآن (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)[١٣٢]، ومُحَمَّد بن مسعود المُكَتِّب (ت٥١٠هـ/١١١٦م)[١٣٣]، ومغاور بن حكم بن مغاور

السلمي المُكَتِّب من أهل شاطبة وأصله من غرب الأَنْدُلُس أدب بالقرآن وأقرأ بالسبع وذلك في مسجده (ت٥٠٩هـ/١١١٥م)[١٣٤]، وأبو بكر الصقلي المُكَتِّب سكن قُرْطُبَة وكان من كبار النساك والفضلاء نزل قُرْطُبَة قنع بأدنى معيشة مقتصرًا على أخرجة صبية تنقّى حِرَف آبائهم يعلمهم القرآن «متعيشا بالقليل الذي يؤثر به غير متقص عليهم ولا مقصّر في تعليمهم»[١٣٥]، وعبد الله بن مُحَمَّد ابن علي بن وهب القضاعي المُكَتِّب من أهل إِشْبِيلِيَّة من أهل المعرفة بالقراءات والنحو والأدب وعمل بذلك كله وكان حسن التعليم والتفهيم[١٣٦]، ويوسف ابن خلف بن سفيان المُكَتِّب سكن قُرْطُبَة يعلم القرآن «كان وراقًا محسنًا، حسن الرتبة، كثير الدربة»[١٣٧]، ومفرج بن يونس المُكَتِّب، سكن قُرْطُبَة واستوطنها وكان يعلم بمسجد مسرور[١٣٨]، ومنهم أَيْضًا مُحَمَّد بن أحمد بن يحيى الزهري من أهل قُرْطُبَة كان معلم كُتّاب[١٣٩]، وكذلك مُحَمَّد بن خمسين الأحدب من أهل قُرْطُبَة كان معلم كتّاب[١٤٠].

الوَرَّاق:

الوِرَاقة من المِهَن التي ارتبطت بالوضع العلمي لعلماء الأَنْدُلُس، فعكفوا عليها لتحسين أحوالهم، ومن ضمن العلماء الذين امتهنوا الوَرَاقة؛ عبد الرحمن ابن سعيد المعروف بابن الوَرَّاق[١٤١]، ومُحَمَّد بن سليمان بن سيدراي الوَرَّاق من أهل قلعة أَيُّوب وَسكن بَلَنْسِيَّة كان يبيع الكتب في دكان لَهُ وكان أَبوهُ أَيْضًا ورّاقًا[١٤٢]، وعبد الله بن إبراهيم بْن منتيال الوَرَّاق من أهل مربيطر وسكن بَلَنْسِيَّة وَكَانَ لَهُ دكان بالقيسارية يقْعد فِيهِ للتِّجَارَة وَيبِيع الكتب[١٤٣]، ومُحَمَّد ابن سليمان الكلابي الوَرَّاق(ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) سكن بَلَنْسِيَّة وعمل ببيع الكتب في دكان لهُ، وكان أبوه أَيْضًا ورّاقاً[١٤٤]، وإبراهيم بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن مفرج البلنسي الوَرَّاق يذكر عنه ابن الأبار: «إنه كان حسن الخط، محترفًا بالوَرَاقة، عاكفًا عليها، ذا إتقان وضبط»[١٤٥]، ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بن سليمان الأنصاري

(ت٦١٠هـ/١٢١٣م) من أهل بَلَنْسِيَّة، وأصله من سرقسطة «كتب بخطه علمًا جمًّا، وربما تعيّش من الوِرَاقة.... وقد نقلتُ من خطه مانسبته إليه، وأجاز لي بلفظه، وسمعتُ منه بعض نظمه»[١٤٦]، وعبدالله بن إبراهيم بن الحسن الوَرَّاق البلنسي (ت٦١١هـ/١٢١٤م) كان له دكان بالقيسارية، يقعد فيها للتجارة ويبيع الكتب[١٤٧]، ومُحَمَّد بن سعيد الوَرَّاق المعروف بابن الحنان كان مغتنيًا بالكتب (ت٣٦١هـ/٩٦١م)[١٤٨]، ومحمد بن علي الوَرَّاق الأندلسي، كان حسن الخط كتب جزءًا من صحيح بخاري[١٤٩].

كما مارس الوراقة حكم بْن عِمْرَانَ المُقْرِئ النّقّاط من أَهْل قُرْطُبَة وتصدر بقُرْطُبَة في مِهْنة النقاطة، أي عمل بنقط المَصَاحِف[١٥٠]، وشهاب بن مُحَمَّد ابن عبد الرزّاق من أهل إِشْبِيلِيَّة كان في عداد النبهاء ببلده مع الصلاح والخير وكان يكتب المصاحف ويعلم القرآن (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)[١٥١]، مُحَمَّد بن عبدالرحمن بن أحمد بن عبد العزيز من أهل مرسية ويعرف بابن حمنال كان يكتب المصاحف ويجيد نقطها ويعرف رسمها مع براعة الخط وحسن الوِرَاقة (ت٦٣٣هـ/١٢٣٦م)[١٥٢]، فضلًا عن مُحَمَّد بن إبراهيم المعروف بابن المؤذن وهو من أهل طليطلة[١٥٣]، ومُحَمَّد بن موسى بن مصباح المؤذن من أهل قُرْطُبَة كان مؤذنًا ملحقًا بالمسجد الجامع[١٥٤]، ومحمد بن عبد الله المؤذن، من أهل إلبيرة[١٥٥]، ويوسف بن مؤذن (ت٣٠٩هـ/٩٢٢م) وهو من أهل وشقة اشتهر بين أهل بيته بالمؤذن[١٥٦].

|ب| مِهْن وحِرَف تناسبت مع علماء الأَنْدُلُس وتطلبت المهارة والإتقان:

مارس علماء الأَنْدُلُس بعض الحِرَف التي كانت أقل حظوة ومكانة ولكنها استلزمت في تأديتها الخبرة والإتقان والحذقة وارتبطت بحياة المجتمع وذات صلة بالأشياء الضرورية والتكميلية التي احتاجها الناس، فكان لبعض العلماء حضور فيها من خلال تأديتهم لتلك الأعمال والحرف، فمنهم طاهر بن يزيد

الزاهد من أهل قُرْطُبَة الذي انتسب لبيع القزّ وعمله[١٥٧] فكان قزَّازا[١٥٨]، وكذلك محمد بن أحمد بن سعيد المعافري (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) من أهل البيرة كان يُعرف بالقزَّاز[١٥٩]، وأبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزَّاز[١٦٠]، وأحمد بن إبراهيم بن محمد بن باز (ت٢٧٣هـ/٨٨٦م) من أهل قُرْطُبَة عرف بابن القزَّاز، بينما كان محمد بن عبيد بن أيوب (ت٣١٧هـ/٩٢٩م) يعرف بالدبَّاج من أهل قُرْطُبَة، فكان يصنع الدِّيباج[١٦١]، والشيخ الحسن من أهل مالقة عمل بنسج الدِّيباج هو الآخر[١٦٢]، بينما كان أحمد بن محمد الإشْبِيليّ أبو عمر (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م) يُعرف بابن الحرَّار[١٦٣]، ومحمد بن بكر المعروف بابن الحرّار من أهل قُرْطُبَة كان والده يتاجر بالحرير[١٦٤]،كذلك عيسى بن علي عيسى الأندلسي الذي حل بدمشق خلال النصف الأول من القرن ٨هـ/١٤م، وعرف بمهارته في صباغة الحرير وتكوينه، فكان معلّمًا لهذه الصناعة في دمشق[١٦٥].

كما نجد عددًا من العلماء زاولوا حرفًا ارتبطت بالقطن وانتسبوا إليه[١٦٦]، فهذا قاسم بن مطرف بن عبد الرحمن من أهل قُرْطُبَة كان يُعرف بالقطَّان[١٦٧]، وكذلك محمد بن عبد الرحمن بن أبيه (ت٣٨١هـ/٩٩١م) من أهل قُرْطُبَة، عُرف بالقطنيّ[١٦٨]، ومحمد بن سليمان بن أحمد (ت٤١٩هـ/١٠٢٨م) من أهل إشْبِيليّة عُرف هو الآخر بالقطانيّ[١٦٩]، كما نجد عددًا من العلماء عمل بالكتّان وانتسبوا لصنعته كمحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) من أهل قُرْطُبَة عرف بالكتّانيّ[١٧٠]، والطبيب المعروف محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي (توفي قرابة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) من أهل قُرْطُبَة عرف بالكتّاني[١٧١] وهو منسوب لصنعته هذه[١٧٢]، وإسحاق بن مسرة (ت٣٥٢هـ/٩٦٣م) عمل في سوق الكتّان في دكان[١٧٣].

ويمكن أنَّ نضيف لهؤلاء من عمل في بعض الحرف التكميلية كعبد الرحمن بن يوسف بن نصر من أهل قُرْطُبَة كان رفّاءً يرفأ الثياب ومنها يتعيّش[١٧٤]،

أو نسب لحرفة كإبراهيم الزاهد الأندلسي الذي عمل خيّاطًا[١٧٥]، وأحمد ابن خلوف المسيلي (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) كان يُعرف بالخيّاط[١٧٦]، وأبو عبدالله الصوفي كان يزاول الخياطة وربما العطارة[١٧٧]،كما تعيّش محمد بن أحمد ابن عبد الرحيم الأنصاري الساحلي (ت٧٣٥هـ/١٣٣٥م) من حرفة الخياطة[١٧٨]، في حين عُرف وليد بن سعيد بن وهب الحضرمي الإشْبِيليّ (ت٤١٩ هـ/١٠٢٨م) بالجبَّاب[١٧٩]، نسبة لخيط وبيع الجِباب[١٨٠]، وأبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد القرطبي المعروف بابن بالجبَّاب نسبة لبيع الجِباب[١٨١]،كما كان عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) من أهل قُرْطُبَة ويعرف بالقنازعي[١٨٢] وهو منسوب لصنعته وهي عمل القنازع ويُرجّح أنَّ القنازع هي غطاء للرأس شبيه بالقلانس[١٨٣]، كذلك أحمد بن عبدالله أبا عمر (ت٤٠٤ هـ/١٠١٣م) من أهل قُرْطُبَة عرف بالقنازعي[١٨٤]، في حين أطلق أهل الأنْدُلُس على صانع القلنسوة القلَّاس[١٨٥]، فهذا محمد بن عيسى بن رفاعة الخولاني (ت٣٣٧هـ/٩٥٨م) من أهل رية، والمعروف بالقلَّاس[١٨٦]، وحسن بن عبد الله ابن حسن التميمي (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م) المعروف بابن ربيب القلاّس، وابنه محمد ابن حسن والمعروف بربيب القلَّاس[١٨٧].

كما نجد الكثير من العلماء ممن أطلق عليهم البزَّاز وهي لفظة تقال لمن يبيع البزّ[١٨٨]، وهي من المِهَن المرموقة، كأحمد بن عبد الله بن عمر القيسي (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) كان بزَّازًا[١٨٩]، وخلف بن سليمان بن عمرون (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) من أهل أستجة سكن قُرْطُبَة وكان بزَّازًا كذلك[١٩٠]، وخلاص ابن منصور بن سملتون (ت٣٨٠ هـ/٩٩٠م) من أهل بطليوس سكن قُرْطُبَة كان بزَّازًا[١٩١]، وعبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي عمر البكري (ت٣٧٠ هـ/٩٨٠م) من أهل قُرْطُبَة عمل بزَّازا[١٩٢]، وعثمان بن سعد (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) من أهل قُرْطُبَة كان بزَّازًا[١٩٣]، ومحمد بن هشام بن العباس بن الوليد (ت٣٨٧هـ/٩٩٧ م) من أهل قُرْطُبَة عمل بزَّازًا كذلك[١٩٤]، وأحمد بن قاسم

ابـن عبـد الرحمـن بـن عبـد الله البـزَّاز (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م)[١٩٥]، ومحمـد ابن عبد الله بن هاني اللخمي (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) من أهل قُرْطُبَة كان بزَّازاً[١٩٦]، وكذلك هشـام بن محمد بن عبـد الغافر المعافري كان يعمل بـزَّازًا[١٩٧]، ويحيى ابـن عمر بـن عبد الله بن قحطة الأنصـاري البـزَّاز[١٩٨]، ومحمـد بن عبد الله المطماطي كان بزَّازًا أيضا[١٩٩].

كمـا أشـارت كتـب التراجم لمـن مارس مـن العلماء حرفـة القصـارة[٢٠٠] وعُرف من مارسـها بالقصاري وهو الذي يقصر الثياب[٢٠١]، فهذا عبد الرحمن ابـن عبدالله بن خالد بن مسـافر الهمذاني الوهـراني (ت٤١١هـ/١٠٢٠م) من أهـل بجانة كان معاشـه من ثياب يبتاعها ببجانة ويقصـرها ويحملهـا لقُرْطُبَة، فتباع له ويبتاع في ثمنها ما يصلح لبجانة[٢٠٢].

ج| مِهْن وحِرَف لاتناسب مكانة علماء الأندلس:

مارس عددًا من علماء الأَنْدَلُس بعضًا من المِهَن التي لا تناسب مكانة العلماء في المجتمع ولكن الحالة المعيشـية دفعتهم لذلك، حيث نجد الأفوه البسطي «كان خرّازًا ببسـطة»[٢٠٣]، ومحمد بن عبد العزيز المعـروف بابن الخرّاز وهو من أهل قُرْطُبَـة[٢٠٤]، ويحيـى بن عبـد الرحمن المعـروف بابن وجه الجنّـة (ت٤٠٢هـ) كان يعمل خرّازًا «كان يلزم صـناعة الخرّازين»[٢٠٥]، ومحمد بن سـعيد بن حزم الشـقندي الخـرّاز من أهـل قُرْطُبَة[٢٠٦]، وعبـد الرحمن بن عبـد الله بن خالد ابن مسـافر الهمـذاني الوهـراني (ت٤١١هـ/١٠٢٠م) ابـن الخرّاز مـن أهل بجانة[٢٠٧]، بينما نجد إبراهيم بن هارون انتسب لقوم يعرفون ببني السقّا[٢٠٨].

وزاول بعض العلمـاء حرفـة صـناعة الحصـر[٢٠٩]، وانتسـبوا إليهـا، مثل محمـد بن عبـد العزيز بن يحيـى (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) من أهـل قُرْطُبَة ويعرف بابن الحصَّـار[٢١٠]، وأحمد بن سـعيد بـن محمد بن بشـر (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) مـن أهـل قُرْطُبَة عُرف بابن الحصَّـار[٢١١]، وأبـو عمر الحصَّـار الإمام الزاهد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)[٢١٢]، وعبد الله بن سـعيد (ت ٤٣٦ هـ/١٠٤٤م) عرف بابن

الحصَّـار[٢١٣]، وكذلك عبد الرحمن بن محمد بن عباس بن جوشن، عرف أيضا بابن الحصَّـار[٢١٤]، وقاضـي الجماعة بقُرْطُبَة عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد ابن غرسية؛ ابن الحصَّار[٢١٥].

كمـا اشـتهر محمـد بـن حـارث الخشـني (ت٣٦١هـ/٩٧١م) بصـناعة الأصـباغ[٢١٦] وخاصة المتعلقة بالتزويق وتركيب الأصـباغ والأدهان ويتصرف في ضروب من الأعمال اللطيفة[٢١٧] فأقام ببلاط الإمارة ثم اضطر لأن يفتح دكانًا بقُرْطُبَة ليبيع فيه الأدهان وتحضـير عقاقير الكتابة والتزويق[٢١٨]، وكان يحصل على اللون الأصفر من نبات العصفر والزعفران ومن يعمل في صباغة تلك الألوان أطلق عليه العصـفري[٢١٩]، وقـد كان محمد بن سـعيد (ت ٣٦٣ هـ/٩٧٣م) من أهل قُرْطُبَة يعرف بالعصـفري[٢٢٠]، ومحمـد بن يحيى بن خليل اللخمي الحباب (ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م) من أهل قُرْطُبَة يعرف بابن العصفري[٢٢١].

ومنهـم مـن تاجر عبر البلاد المشـرقية والمغربية كعبـد الله بن عبد الجبار الشاطبي (ت٦١٤هـ/١٢١٨م) إذ تنقل بين الإسكندرية وصعيد مصر واليمن[٢٢٢]، كذلك إبراهيم بن يوسف الأرسي(ت٦١١هـ/١٢١٤م) كان يتجر بسوق الغزل في مالقة[٢٢٣]، وأيضا الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي (كان حيا في القرن ٩هـ) الذي تنقل ما بين غرناطة وفاس وامتلك حانوتاً في قيسارية غرناطة[٢٢٤]،وكذلك أحمد بن خالد بن يبقى الجذامي التاجر من أهل قُرْطُبَة[٢٢٥].

هذا ماتيسّر لي جمعه من أسماء العلماء الذين انتسبوا إلى مهنهم وحرفهم وعُرفـوا بهـا، فلعل القـارئ الكريم يجد فيهـا مايفيد أو تكون نـواة بحث لباحث مهتهم بدراسة ألقاب العلماء.

الهوامش

(١) ابـن غالـب، محمـد بن أيـوب(ت في ق ٦هـ): نص أندلسـي جديد مـن كتاب فرحـة الأنفس من تاريـخ الأندلسـ. تحقيـق. لطفي عبـد البديع. مصـر، مجلة معهـد المخطوطـات العربية، مجلد

(١)، الجـزء الثاني، ١٩٥٦م، ص١٣ ؛ المقري، شـهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمسـاني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفـح الطيب من غصـن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسـان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج٤، ص ١٤٧.

(٢) المقري: المصدر نفسه، ج٤، ص ١٤٨.

(٣) احمادو تال ديالوا: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٤) الإمام سحنون: المدونة الكبرى للإمام مالك من رواية سحنون عن ابن القاسم ويليه مقدمات ابن رشـد لما اقتضـته المدونة من الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ج٧، ص٣٩٥.

(٥) بوادليـة بواتيـة: رؤية السـلطة والمجتمع إلى الصُـنّاع والحِرَفيـين ببلاد الأَنْدُلُس عصـري الأمارة والخلافة، دورية كان التاريخية، ع(١١)، ٢٠١١م، ص٢٣.

(٦) نافذ سويد: الحِرَفيون ودورهم التاريخي في المدينة الإسلامية، ص ١٥٥.

(٧) حسـن علي حسـن: الحضارة الإسـلامية، ص٢٦٠؛ مصـطفى عبد الرحيم: النشاط الاقتصادي، ص١٠٩.

(٨) الزجالي: أمثال العوام في الأَنْدُلُس، ص٣٨٨.

(٩) نافذ سويد: الحِرَفيون ودورهم التاريخي في تطور المدينة العربية الإسلامية، مجلة التراث العربي، السنة (١٩)، ع(٧٦)، ١٩٩٩م، ص١٥٥.

(١٠) للمزيـد مـن الحـرف التي مارسـها المجتمـع الأندلس. محمود أحمـد هدية: اقتصـاد العوام في الأَنْدُلُس من خلال الأَمْثال العامية، مجلة رواق التاريخ، ع (٨)، ٢٠١٩م، ص١٣٠.

(١١) سـولاف فيض الله حسـن: الحِرَف والمِهَن في أسواق بغداد في العصر العباسي، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ٢٠١٧، ع. ٥٧، ٢٠١٧م، ص٣٩٧.

(١٢) ظاهر خير الله الشويري: المرجع السابق، ص٥٧.

(١٣) سـولاف فيض الله حسـن: الحِرَف والمِهَن في أسواق بغداد في العصر العباسي، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ٢٠١٧، ع. ٥٧، ٢٠١٧م، ص٣٩٨.

(١٤) ظاهـر خير الله الشـويري: الحِرَفـةُ وتوابعها، مجلـة المقتطف، القاهـرة، ١٩٠٤م، مج ٢٩، ج١، ص٥٨.

(١٥) ابـن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٩م): المقدمة لابن خلدون، الهيئة المصـرية العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٧م، ج٢، ص ٨٥٦.

(١٦) احمـادو تال ديالوا: الصِّـناعة بالقيروان من خلال مدونة سـحنون ونوادر ابـن أبى زيد، جامعة الزيتونة، منشورات وحدة بحث تاريخ القيروان، ٢٠٠٧م، ص ٤٥.

(١٧) ابـن الفرضـي: تاريخ علمـاء الأَنْدُلُس، الهيئة المصـرية العامة للكتـاب، ٢٠٠٨م، ص ٢٠٧ (رقم ٦٢١).

(١٨) السمعاني: الأنساب، وضع حواشيه: مُحَمَّد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ج٤، ص٤٩.

(١٩) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٧٥.

(٢٠)ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٨٥.

(٢١) مثل:. ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٩٥.

(٢٢) مثل:. ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٨١-٣٨٢.

(٢٣) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٩٩.

(٢٤) تاريخ العلماء، ص٥٨٣.

(٢٥) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٥٠٢.

(٢٦) جهاد غالب: الحرف والصناعات، ص٢١٨.

(٢٧) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٥١.

(٢٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٩٨.

(٢٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص١١.

(٣٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص١٢.

(٣١) المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٢٣٤.

(٣٢) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ١٠٨.

(٣٣) علي أحمد: العاملون في الاقتصاد في مصر، ص ١٤٩.

(٣٤) جهاد غالب: الحِرَف والصناعات، ص٢١٨.

(٣٥) جهاد غالب: الحِرَف والصناعات، ص٢١٨.

(٣٦)ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص١١١.

(٣٧) القُسَّام: هو مقدر عيوب الدور والخبير بها، والعارف بتفاصيلها من تصدعات وانهيارات وغيرها من الأمور التي تعيب الدور، وتقاضى القسَّام أجرًا نظير القيام بهذا العمل سواء من قبل الأشخاص أو من قبل القاضي الذي يكلفه بالعمل "إذ المعلوم في القسَّام أنهم لا يشهدون في مثل هذا إلا بالأجرة، فقال لي: ذلك يظن بهم وليس يتيقن، ولو تيقن أنهم يشهدون بالأجرة ما جازت شهادتهم فيه. ابن سهل، ديوان الأحكام، ص.٤٠٣.

(٣٨) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٩٦.

(٣٩) القراءات جمع قِراءة، و يقال: قرأ يقرأُ قِراءةً، وقيل :رجل قارئ من قوم قُراء وقارئين، وأقرأ غيره يقرئهُ أقرأءً ومنهُ قيل: فلان المُقْرِئ، وأقرأهُ القرآن فهو مقرئ. ابن منظور، لسان، ج١، ص ١٢٩ .

(٤٠) المصدر نفسه، م٢، ص ٦٣٦-٦٣٧ .

(٤١) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٤٢) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص ٦٥ .

(٤٣) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٣٢.

(٤٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٧٢.

(٤٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٦٧٠.

(٤٦) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص١٧٦.

(٤٧) سليمان بن إبراهيم بن مُحَمَّد العايد: المُؤَدَّبون وتجربتهم في تعليم اللغة العربية، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ع (١)، محرم ١٤٢٠هـ، ص١٣.

(٤٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٠٦.

(٤٩) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٩٤.

(٥٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٣.

(٥١) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٩.

(٥٢) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٨٩.

(٥٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٤٩.

(٥٤) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٢٥.

(٥٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢٢٣.

(٥٦) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٩٥.

(٥٧) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٧٠.

(٥٨) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٦٢.

(٥٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص٤٧.

(٦٠) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص١٥٢.

(٦١) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص٤١.

(٦٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٠٥.

(٦٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢٧٧.

(٦٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص١٩٧.

(٦٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٨٢.

(٦٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٥٠.

(٦٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٧٦.

(٦٨) الضبي: المصدر السابق، ص٤٨٨.

(٦٩) الضبي: المصدر السابق، ص٥٢.

(٧٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص٥٣.

(٧١) سليمان العايد: المُؤَدَّبون وتجربتهم في تعليم اللغة العربية، ص١٤.

(٧٢) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٤٢.

(٧٣) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٦٩.

(٧٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص٧٢

(٧٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٢١.

(٧٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٧٧.

(٧٧) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٢١.

(٧٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق١، ص٥٩.

(٧٩) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص١١٦.

(٨٠) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص٧٠.

(٨١) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٣١.

(٨٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص٢٥٣.

(٨٣) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٥٩.

(٨٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٤٨.

(٨٥) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٩.

(٨٦) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٩.

(٨٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٤٢.

(٨٨) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص٢١٧.

(٨٩) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص١٥٢.

(٩٠) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٣٤.

(٩١) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢١٢.

(٩٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٤.

(٩٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٠٣.

(٩٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢٢٢.

(٩٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢٩٦.

(٩٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٢١٠.

(٩٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣٤٧.

(٩٨) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص١٩٩.

(٩٩) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص ١٣٥ .

(١٠٠) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٧ .

(١٠١) بابن الأبّار(ت٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس ،دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م، ج٢ ،ص١٣٥.

(١٠٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٢٨

(١٠٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣ .

(١٠٤) المصدر نفسه ،ج٤ ،ص١٧٨- ١٧٩ .

(١٠٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٦٢.

(١٠٦) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص١١٢.

(١٠٧) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٩٠.

(١٠٨) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص١٣٨.

(١٠٩) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص٢٨٥.

(١١٠) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص١٢٦.

(١١١) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٣١٨.

(١١٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٦٢.

(١١٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص١٣٦.

(١١٤) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص ٢٥٥.

(١١٥) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص١٤.

(١١٦) ابن الأبّار: التكملة، ج٣، ص١٤.

(١١٧) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص١٩٩.

(١١٨) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص١٢٦.

(١١٩) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص٤٢.

(١٢٠) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص٣١.

(١٢١) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص١٨٣.

(١٢٢) ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٥٨.

(١٢٣) ابن الأبّار، التكملة، ج٤، ص٦١-٦٢.

(١٢٤) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٨.

(١٢٥) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص٢٥٤.

(١٢٦) ابن الأبّار، التكملة، ج٣، ص٧٣.

(١٢٧) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٣٨.

(١٢٨) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص٨١.

(١٢٩) ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٤٢.

(١٣٠) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص٧٧.

(١٣١) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٩.

(١٣٢) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص٣٣٥.

(١٣٣) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص١٩٦.

(١٣٤) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص٢٠٥-٢٠٦.

(١٣٥) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص١٨١-١٨٢.

(١٣٦) ابن الأبّار، التكملة، ج٢، ص٢٧٧-٢٧٨.

(١٣٧) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦٧٤-٦٧٥.

(١٣٨) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦١٨.

(١٣٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٢.

(١٤٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٣.

(١٤١) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٥١.

(١٤٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص١٤-١٥.

(١٤٣) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص٢٨٧.

(١٤٤) ابن الأبّار، التكملة، ج٢ ،ص١٥.

(١٤٥) ابن الأبّار، التكملة، ج١، ص ١٣٠.

(١٤٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٣ .

(١٤٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٨٧.

(١٤٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٥١.

(١٤٩) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٥٣٤.

(١٥٠) ابن الأبّار: التكملة، ج١، ص٢٢٥.

(١٥١) ابن الأبّار: التكملة، ج٤، ص١٣٨.

(١٥٢) ابن الأبّار: التكملة، ج٢، ص١٣٥.

(١٥٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤١٣.

(١٥٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٧٣.

(١٥٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٤٢٢.

(١٥٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ق٢، ص٥٨١.

(١٥٧) السمعاني، الأنساب، ج٤، ص ٤٩.

(١٥٨) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٢٠٧.

(١٥٩) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٦٧.

(١٦٠) المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٢٣٤.

(١٦١) ابن الفرضي: المصدر السابق،ص٤١٥.

(١٦٢) الباديسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف، ص١٠٦.

(١٦٣) الحميدي: جذوة المقتبس، ص ١٠٨.

(١٦٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٨٠-٤٨١.

(١٦٥) علي أحمد: العاملون في الاقتصاد في مصر، ص ١٥٠.

(١٦٦) السمعاني: المصدر السابق، ج١٠٤، ص ١٨٤.

(١٦٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٣٦٨.

(١٦٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٤٧٤.

(١٦٩) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٥١٣.

(١٧٠) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٢٥.

(١٧١) ابن الآبار: التكملة، ج١، ص ٣٨٣ (طبعة الحسيني).

(١٧٢) المراكشي: الذيل والتكملة، س٦، ص ١٦٠ (رقم ٤٢٨) .

(١٧٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٤، ص ص ٤٢٤، ٤٢٦؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٧٢.

(١٧٤) ابن بشكوال: الصلة، ق١، ص٣٢٠.

(١٧٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص١٤.

(١٧٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٦٣.

(١٧٧) التادلي: التشوف، ص٢٥٧.

(١٧٨) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص٢٣٩.

(١٧٩) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٦٤٤؛ التادلي: التشوف، ص٢٨٩.

(١٨٠) السمعاني: الأنساب، ج١، ص ٣٨٠.

(١٨١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣، ٨١٥.

(١٨٢) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٢٢-٣٢٤.

(١٨٣) انظر خير الدين الزركلي: الإعلام، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ج٣، ص ٣٣٧.

(١٨٤) ابن بشكوال: الصلة، ص٢٧.

(١٨٥) ابن هشام اللخمي: الفاظ مغربية، ج١، ص ٢٩٣.

(١٨٦) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٤٣.

(١٨٧) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص١١١.

(١٨٨) السمعاني: الأنساب، ج١، ص ٢٣٩.

(١٨٩) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٥١.

(١٩٠) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص١٣٦.

(١٩١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص١٤١.

(١٩٢) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٢٦٥.

(١٩٣) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٣٠٧.

(١٩٤) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٧٨.

(١٩٥) ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص ٨٥.

(١٩٦) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٥٠٢.

(١٩٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٤٧.

(١٩٨) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٦٦١.

(١٩٩) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٣٨١.

(٢٠٠) القصـارة: هي دق الثياب وتحويرها وبلها وغلسها خاصة غزل الحرير والكتان والصوف، حتى تبييض وتجفيفها. محمود أحمد هدية: اقتصاد النسيج، ص١٣٦.

(٢٠١) السمعاني: الانساب، ج٤، ص ٦٠.

(٢٠٢) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٣٢٦..

(٢٠٣) جهاد غالب: الحرف والصناعات، ص٢١٨.

(٢٠٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٣٨٥

(٢٠٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٦٦٣.

(٢٠٦) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٩٤.

(٢٠٧) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٧٥ (رقم ٦٩٧) .

(٢٠٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص١٢.

(٢٠٩) الزبيدي: لحن العامة، ص ٧٠ ؛ ابن عبد الرؤوف: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، ص ١٠٢.

(٢١٠) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٦٢.

(٢١١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٦٠.

(٢١٢) ابن بشكوال: الصلة، ج٢، ص ٤٠٤.

(٢١٣) الضبي: بغية الملتمس، ص ٣٤٥.

(٢١٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٣٠.

(٢١٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ق٢، ص٣٢٦.

(٢١٦) الصباغة: هي طريقة يتم بها رسب مادة ملونة على نسيج ما شريطة أنَّ يبقى اللون دون تغيير بعد تعرضه للهواء والشمس، وتعددت اللألوان المستخدمة في عمليات الصبغ حسب المواد المتوفرة ومن بينها النباتات الطبيعية. محمود أحمد هدية: اقتصاد النسيج،ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢١٧)ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٦١.

(٢١٨) ابن الفرضي، المصدر نفسه ؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٤، ص ص ٣٥١ – ٥٣٢.

(٢١٩) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص ٣٤٨.

(٢٢٠)ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٤٥١.

(٢٢١) ابن الفرضي: تاريخ العلماء، ص٤٥٢. .

(٢٢٢) علي أحمد: العاملون في الاقتصاد، ص ١٥٣.

(٢٢٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٢٢٤) الكتاني: سلوة الانفاس، ج٢، ص ٢٧٧.

(٢٢٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ص٥٥

نقد الشِّعر الصقلِّي قديمًا

أ. د. نزار شكور شاكر

المستخلص:

الهدف من الدراسة الحالية بيان نقد الشعر الصقلي في المصنفات القديمة الذي توزَّع بعد عملية الاستقراء على مبحثين اثنين مراعيًا السياقات المتّبعة في النَّقد القديم، وفي الوقت الذي نرى فيه تظافر جهود القدامى نلمح غياب جهود النّقّاد الصّقليين ومؤلَّفاتهم الرّائدة في هذا الحقل المعرفي، ولا سيَّما ما يتعلَّق بشعراء صقلّية أو الشِّعر الصقلي، ومن المؤمَّل أن يسفر الكشف العلمي في هذا المجال عن إثراء هذه الحلقة النّقدية التي تسطِّر جهود القدامى من المشارقة والمغاربة في بيان الوثيقة النقديَّة للشِّعر الصقلِّي.

المقدّمة:

الشعر ميدان فسيح يستقطب إليه الكثير من الشعراء والنقاد والمتلقين، وتأتي أهمية هذه الدراسة في ضوء بيانها ماتطرَّق إليه القدامى ضمن جهودهم التأسيسيةلنقد الشِّعر الصّقليّ في إطار حلقة نقديّة ارتبطت بالشِّعر الصّقليّ والشعراء الصِّقليّين الذين جرى التّطرق إليهم في المصادر العربية القديمة، ويجد الدّارس في هذا الأمر إشكاليّة من نوعها لاتؤثّر على نحو كبير في رسم المشهد الثقافي النّقدي وخطوطه الرئيسة على الرغم من أثرها في فضاء العمليّة النّقدية القائمة. آملين تحقيق النفع العلمي، والله من وراء القصد.

الدراسة:

المبحث الأول: من قضايا نقد الشِّعر:

سنتطرق في هذا المبحث إلى بعض القضايا النقديَّة التي وردت في المصنَّفات القديمة التي تناولت الشِّعر الصقلِّي النحو الآتي:

١-قضية المعنىواللفظ:

أ-من النصوص الحاضرة الدالة على قضية المعنى ما جاء في بيان ابتكار المعنى في ضوء اعتماد المصنِّف أسلوب الموازنة الذي خرج بتفضيل نص (مشرقي) على آخر (صقلي) من جهة المعنىالقائم على سبيل الاستفهام الإنكاري بما يفيد في الإشارة إلى السَّبق الشعري المتحقّق مشرقيًّا،الذي كان التطرُّق إليه قد جرى من زاوية هذه القضية النقديَّةكما ورد في ذكر الأديب أبي الحسن بن الطوبي»وله من [قصيدة] أخرى:

أمـا مـن وقـفـةٍأم مـن مـقـامِ أبـثّـك عنـــده داءً دخيلا

الأبيـات... أيـن هذا من قول القاضـي أبي بكر الأرجاني حيـث قال وابتكر المعنى:

يـروِّي ضـاحِيَ الـوجـنـاتِ دمعي ويعدلُ عن لهيبِ جوىً دخيلِ
ومـا نـفـعي وإن هـطـلَـتْ غـيـوثٌ إذا أخطأن أمـــكنةَ المحولِ»[1]

وقريب من ذلك جاء قول التجيبي في بيت أبي الحسن الربعي:

«ولم يُبْكَ فـقـدانُ الشـبـاب لعلّةٍ سوى أنه داعٍ لفقـــــدِ مشيبِ

وأين من هذا قول مُسلم وقد أعاده فقال:

لايَـرحـل الشَّيب عن دار أقـام بها حتىيُرَحَّل عنهاصاحبَالدارِ»[2]

ومـن نحـو ما جـاء في ذكر ابن حمديـس، بما يفيد السَّـبق في هذا المجال

للشاعر الصقلي:«وله:

طَـرَقَـتْ والَّـليـلُ مَمـدودُ الجنـاحْ مَرْحَبًا بالشَّمسِ من غيرِ صباحْ

أتى فيه بكل معنى مبتكر بديع، معدود من الطراز الأول الرفيع».[٣]

وللتجيبي في تحديد مكان الاختراع في قول أبي الحسن الربعي، نقرأ:

«ولقد أحُكَّ العـين أُوهِمُ بالقَذَى واللَّحْظُ بين جفونهـا متواترُ

ولرُبَّما غفـلوا ففُزْتُ بنـظرة عَجِلًا كمـا قبضَ الجناحَ الطائرُ

وهـذا معنـى فيما أراه مخترع وتشـبيه مبتدع؛أعني عجز بيت أبي الحسـن هذا».[٤]

وأفاد قراءة غرض النَّسـيب في دحض مزاعم (الاختراع) له ليرسم ملامح اتجاه نقد بعض النصـوص الشـعريَّة من جهة المعنى من لدن بعض (الصقليين) على نحو سـاخر أوجبه التَّحول الملموس على مسـتوى الغرض الشِّـعري المرصـود من الناقد الصـقلِّي،إذ ورد في جواب أبي عبد الله الصـقلي للأديب أبي حفص القعينـي الأندلسـي بعد حدث أوجـب ذلك «فأجابه الصـقلي برقعة أخرى يقول في فصـل منهـا: زعمـتَ أنَّك شـديدُ الغرام بشـقيقةِ الظـلام، وأني أخطأتُ في عَتْبِـكَ علـى حبِّها،وظلمتُ في نهيك عن قربها،وجعلتَ أشـعارَكَ في النَّسـيب بها حجَّـةً لتمييزك، وإنـكارَ التأنيبِ عليها عـذرًا من تعجيزك،وطفقتَ تُنشِـدُ رافعًا عقيرتَك،مستصغراً كبيرتَك:

أسـتودعُ اللهَ مولىً مُلّكَتْهُ يدي ودَّعتُ إلا شجـونـي إذ أودّعُهُ

الأبيات... فجعلتها مسـكًا فتيقًا، وذهبًا عتيقًا، وقطعةً من فؤادك، ومَضنَّةً لودادك، وسـببًا لانقيادك، وألبسـتها من الأصـيل ثوبًا لا يُخلـع، ودِرْعًا لا يُنزع، وزعمتَ أنك اخترعت في هذا النَّسيب معنىً لم يُسْمَعْ، فانتصرتَ لمذهبك وحلَّيْتَ عاطلَ مركبك، وما أدري ما أقبلُ من شِعْرَيْكَ، ولا ما آخذ من قوليك،أهذا الأول

الذي زعمتَ أنك قلتَهُ في عنفوان الصَّبابة، وإفراط الكآبة،أم حين جلَّى الله عن بصيرتك غَيابَتها، وكشفَ عنها عمايتها – حين قلت:

ياسوءَ ما اخترتُها في الحب ضفدعةً جحوظَ عينٍ وقدًّا مفرطَ القصرِ

الأبيات... فمتى عادتِ الضفدعةُ غزالًا، وصار هذا النقصُ كمالًا؟[٥].

وضمن هذا الإطار جاءنقد المعنى في ضوء توجيهه– على سبيل التقويم– وجهة منطقية تقترن بتضمين القول القديم من نحو ماوردبعد مذاكرة جرت بين أبي طاهر التجيبي وأبي الحسن الربعي في أبيات شعرية،قال التجيبي:«وعلى ذكر الشكوى أنشدني إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري القيرواني –رحمه الله– ليَموت بن المزرَّع:

شكوتُ إليه باللِّحاظ رقيبَه وذلك منّي غايةُ الجُهد والوُسْعِ
فكان جوابي منه أنْ قَطرَتْ له بياقوتَتَيخَدَّيْه لُؤلؤتادمعِ

وذاكرتُ أبا الحسن الربعي هذا المعنى فقال: وما فائدة الشَّكوى إذا لم تُفِدْ جَدْوَى؟إنما القول في هذا ما قاله ابن المقفَّع في وصف صاحبه:كان لا يشكو وجعًا إلاّ لمن يرجو عنده بُرْءً، ثم أنشدني فيه من أوّل قصيدة:

عجبتُ ولم أعجب بغير عجيبِ لمن يشتكي داءً لغير طبيبِ

الأبيات».[٦]

ومن الجدير بالذكر أن هنالك بعض التَّنبيهات على المعنى الشِّعري والاستدراكات التي وردت، ومنها نطالع:

١–التَّنبيه النقدي على تكرار المعنى الشعري من المصدر الذاتي (الشاعر)[٧].
ومن البدهيّ أن يقع ضمن هذا الميدان الجمعيّ تداول المعنى الشِّعري بين الشُّعراء، ويفيد قيام التتبع بيان السابق في ذلك «قال أبو العرب للمعتمد من جملة قصيدة:

كأنَّ بلادَ الله كفّكَ إن يسِرْ... البيتان

وهـذا المعنـى قد تداولتـه جماعةٌ مـن الجاهليين والمخضـرمين، والمحدثين والمولّدين، وأرى أن أوَّلَ مَنْ أثاره ورفعَ مناره النَّابغة حيث يقول:

فإنَّك كالليل الذي هو مدْركي... البيتان

وقال المتنبي:

ولـكنّـك الدُّنيـــا إليَّ حَبِيَبةٌ فما عنكَ لِي إلاَّإليْكَ ذَهَـــابُ

والـذي هو أشـبه وأقرب، بقول أبـي العرب، ومنه أراه نقـل وعليه عوَّل، قول الأول:

كأنَّ بـــــلادَ الله وهـي عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كفّةُ حابلِ

تـؤدّي إليـــه أنَّ كـــــلَّ ثنيَّةٍ تيمّـــــمها ترمي إليـــه بقاتلِ

واستقصاء المناسبة والملاحظة في كلّ معنى حبلٌ ممدود»[٨].

٢-التنبيه على الضّديَّة في المعنى الشعري القائم عن طريق الموازنة ففي قول أبي الحسن الربعي:

«أهْـلاً بطيفِ حَبابة من زائـرٍ أهْلًا به هَجَرَتْ وليـس بهاجرِ

مُتَجَمـّـلٍ لَمَّـــا أراد زيـارَةً أهدى الرُّقَادَإلى جفون الساهرِ

قال التجيبي: وهذا ضِدّ ما أنشدنيه علي بن جيش الشيباني من أول قصيدة له:

رَعَى الله مـــــن ليلَى خيالا تأوَّبا وإن كان لم يشف الفؤاد المعذَّبا»[٩]

٣-التنبيـه علـى (القـول المفترع المعنى المتسـع). قـال التجيبي في أبيات

أبي الحسن الربعي:

«رُبَّ جليسٍ لي فيه وَطَرْ يَفْهمه عنّي بكرِّ النَظَرْ

الأبيات. وهذا قول مفترع ومعنى متسع وقد كثر فيه إحسان المحدثين وتوليد المولّدين «.[١٠]

٤-بيان معاني بعض الألفاظ وأثرها في الدلالة في قول ابن القطاع الصقلِّي في الزهد:

«تنبَّهْ أيها الرجلُ النؤومُ فقد نجمتْ بعارضِكَ النجومُ

وقد أبدى ضياءُ الصبح عمًّا أجنَّ ظلامه الليلُ البهيم

عنى بالضياء الرشاد، وبالصبح الشيب، وبالظلام الغي، وبالليل الشباب»[١١].

ونلحظ أيضًا تسليط الضوء على معنى أحد الألفاظ من الوجهة النَّحوية التي وردت في قول أبي العرب الصقلِّي من أبيات:

«ألا إنني لما عَدَدْتُكَ أولًا ختمتُ وما استثنيتُ بعدكَ ثانيا

«استثنيت» هاهنا: عددت ثانيًا، لا مِن الاستثناء الذي هو إخراج بعض من كل»[١٢].

ب-وانصرف النَّقد إلى (اللفظ) في ضوء تأشير عنصر الاضطراب فيه بإزاء المعنى الذي أردف بآخر اعتمد على جودة السَّبك فيه كما ورد في قول الأديب أبي عبد الله الصقلِّي:

«قالوا بفيكَ حرارةٌ فعجبتُ كيف يكونُ ذاكا

ورضابُ ريقِكَ مطفئٌ نيرانَ أقوامٍ سواكا

يقع لي أن المعنى حسن ولكن اللفظ مضطرب.

وقوله في المعنى وهو أجود سبكًا:

شكا لحرارةٍ في فيه أَعْيَتْ معالجةً فبات لها كئيبا

وكيف يصحّ ذا تفديه نفسي وبردُ رضابه يُطْفِي اللهيبا»[١٣]

ووقع أيضا أن اقترح المصنف إبدال بعض الألفاظ بغيرها لتحقيق عنصر الجماليَّة في النَّص الشِّعري كما ورد في معجم الأدباء في قول عثمان بن علي الصقلي، مما يشير إلى حضور الأثر التقويمي – التطبيقي في هذا الإطار:

«يهونُ عليها أن أبيت متيّمًا وأصبحَ محزونًا وأضحى مغرّما

ومنها:

صِلي مُدْنفًا أو واعديهِ وأخلفي فقد يترجى الآلَ من شفّه الظّما

الأبيات. قلت: لو قال في موضع (أضحى) من البيت الأول (أمسى) كان أجود ليقابل به (أصبح) ولو قال في البيت الثاني (وقد يشتفي بالآل من شفَّه الظما) كان أحسن في الصنعة وأجود».[١٤]

وفضلاً عن توافر المنطلقات الفنيَّة في توجيه عملية التَّقويم في النَّص في أعلاه، نقرأ من المنطلقات اللغويَّة ما جاء في قول ابن حيوس الدِّمشقي:

«لكَ اليومُ الذي شَابتْ قُرونٌ به مِنْ بَعْدِأنْ فَنِيَتْ قُرُونُ

بحيثُ بَنَيْتَ مُرهَفَة المواضِي صَوَالِجَ والرؤوسُ لها كُرِينُ

وكُرين: جمعُ كرة؛ لأنه يقال في جمعها :كُرات وكرين. ولهذا أُخِذَ على القائل في وصف النّارنج:

كأنَّ السّماءَ هَمَتْ بالنُّضَارِ فَصَاغَتْ لنا الأرضُ مِنْهُ أُكَرْ

وعلى أبي نُواسٍ قبله في قوله في أرجُوزته:

يَحْدُو بِحُقبٍ كالأُكَرْ

قالَ ابنُ جِنِّي: قد أخطأ في جمع كرة على أُكَر».[١٥]

وجاء تأشير اللَّحن[١٦] على وجه الكثرة لدى الشاعر كما ورد في قول العماد الأصفهاني وقد تحرى هذا الأمر لدى الغاون الصقلي:«وجدت في شعره لحنا كثيرًا»[١٧].

وتحيل بعض سياقات قضية المعنى إلى الكشف عن بعض الفنون البلاغية (البيانية والبديعية) التي وردت في قول الشُّعراء الصقليين كما ورد في قول ابن حمديس يمدح المعتمد:

«إذا النديمُ حَساها خلتَ جريتها نجمًا تَصَوّبَ حتى غابَ في قمرِ

... قوله: نجمًا تصّوب حتى غاب في قمر معنىً قد طوي ونُشر»[١٨].

«وقول مُجبر بنِ محمَّد:

فسقَى مَحَلَّ الجزعِ من مَحْلٍ به غَيْثٌ تَدُورُ على الرُّبَى كاسَاتُهُ

سفحٌ سَفَحْتُ عليه دَمْعِي في ثَرَىً كالمِسْكِ ضَاعَ من القَنَاةِ فُتَاتُه

فقد ورَّى بضَاعَ من الضيَاع عن ضَاعَ من التَّضَوعُّ»[١٩].

ومن نحو قول أبي الفضل مشرف بن راشد «يصف القتلى وطابق أربعة في بيت واحد:

فأقصاهمُ رضوانُ عن رَوْحِ جنّةٍ وأدناهمُ من نفحةِ النار مالكُ

وأنا أقول إن كان قد طابق ولكن في البيت اضطراب بيِّن من قبل المطابقة فأمعن النَّظر[٢٠].

ومن عكس التَّشبيه نقرأ «قال البُحتري في التشبيه بالجَوشن ووَصَفَ بِركةً:...

الأبيات. وعكس الربعي أبو الحسن هذا التشبيه فقال وأنشدنيه من قصيدة له:

ليلاً حسبت به المجرَّة جدولا وحسبتأنجمهاحصىً مرصوفا»[٢١]

٢- قضية السَّرقات/ الأخذ: أفادت بعض السياقات النصيَّة تسليط الضوء على هذه القضية النقدية والعلاقة الوثيقة بينها وبين قضية اللفظ والمعنى، بما أفصح أحيانًا عن تبنّي الرّأي المعتدل في هذا الحقل المعرفي إزاء اتجاه المولدين بتوظيف مصطلح الموارد على مستوى المعنى الشعري[٢٢]، والقياس على ذلك في اللفظ، يأتي هذا في إطار اختصار مباحث كتاب العمدة من لدن أبي عمرو الصقلي في باب السَّرقات، إذ «قال عثمان الصقلّي في مختصره للعمدة وقد ذكر السرقات...والموارد قال: وهو ما ادُّعِي في شعر امرئ القيس وطرفة من كونهما لم يفرقا بين بيتيهما إلاَّ بالقافية قال امرؤ القيس: (تجمَّلِ). وقال طرفة: (تجلَّدِ).قال الصقلي: وأعجب من ذلك أني صنعت قصيدة أولها:

يهونُ عليها أن أبيت متيّمًا وأصبحَ محزونًا وأضحى مغرّما

قال: ثم قرأت بعد ديوان البُحتري فوجدت معظم هذه الألفاظ مبددةً فيه. قال: فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة أن قوله تعالى: ﴿يريدُ أن ينقضَّ﴾ لايعبر عنه إلاَّ بهذه العبارة ونحوها فغير مستنكر أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها، ولكن أبى المولدون إلاَّ أنها سرقة»[٢٣].

ونجد أن قضية الأخذ قد أفادت في بيان الزيادة المتحققة بوصفها تحصيل فاعل على قول (المبتكر) في الغرض الشعري، مع تحديد موضع الزيادة، قال ابن دحية في ابن حمديس: «ومما أخذه فملَكه فاسترقَّه،واستوجبه بزيادة فيه على مبتكره واستحقَّه قوله في وصف فرس سابق:

كأنَّ له في الأُذن عينًا بصيرةً ترى اليوم أشباحا تمرُّ بها غَدا

يقيَّد بالسبق الأوابدَ فوقَه ولو مرَّ في آثارهنَّ مُقَيَّدا

أخذَه من قول امرئ القيس بن حجر، وهو أوَّلُ من قصَّد القصائد، وقيَّد الأوابد، فقال في لاميَّته المعلَّقة:

وقد أغتدي والطيرُ في وكناتها بمنجَردٍ قيد الأوابد هَيْكَلِ

وزيادةُ عبد الجبَّار عليه قوله : ولو مرَّ في آثارهن مقيَّدا

ومن مليح أخذه المستحسن قوله من أخرى:

لهم رياض حُتوف فالذُّباب بها يَشدوهمُ في الهوادي كلما اقتحمُوا

بيض يضعن المنايا السَّودَ صارخةً وهي الذُّكور التي افتُضت بها القمم

أخذه من قول أبي نصرٍ عبد العزيز بن نُباته السَّعدي:

ومن العجائب أنَّ بيضَ سيوفه تلد المنايا السُّودَ وهي ذُكورُ

إلاَّأنه زاد عليه، بعدما ساواه في المقابلة، بذكر البيض والسّود. وذكر الذكورية مع ذكر الوضع الذي ذكره في موضع (تَلدُ) بقوله: (صارخة)،إذ من شأن المولود أن يَستهلَّ صارخًا عن الوضع. وكذلك الواضعة تصرخ أيضًا حالة الطَّلق، فتمَّم بهذه الزيادة قوله: (يضعنَ المنايا السود). كما زاد عند ذكر الذكور، وتمَّم المعنى بقوله: (افْتُضَّتْ بها القِمَمُ)، فجعل سيلان دماء القمم بذكور الصَّوارم كسيلان دماء العَذارى لدى افتضاض ذُكور الرِّجال لها»[٢٤].

ومن الإشارات التي وردت إلى الأخذ من (المصدر الذاتي)ما جاء في قول محمَّد بن الحسن الطوبي«في فص أحمر:

حمرتي من دمِ قلبي أينَ من ينـدبُ أينا

أنا من أحجارِ أرضٍ قتلوا فيها الحسينا

هو من قول الشاعر في فصّ أخضر:

لا تعجبوا من خُضْرَتي فإنها مَرَارتي

تَفَطَّرَتْ لما رأتْ ما صَنَعُوا بسَادتي»[٢٥]

وجاء من باب أخذ الشعراء الصقليين من الآخرين من نحو أبي العلاء المعرِّي والمتنبي والبحتري[٢٦] في ذكر مجبر الصقلي «وله:

أرأيت برقًا بالأبارقِ قد بدا في أُفْقِهِ متبسمًا متوقدا

هو مأخوذ من قول ابن أبي الخليل:

ومن العجائب أن أتى من نسجه -وخيوطه بيض-بساط أخضر»[٢٧]

وجاءت الموارِدة في المقطع الشِّعري لدى التجيبيب صحبة الإلمام أو (الصبِّ على القالِب) إذ ذكر الإلمام / أو الموارِدة في قول أبي الحسن الربعي:

وما كلّ حين يتبع السّعدُ ربَّه بلى كل سعد ليلة النّحس ذابحُ

وألمَّ في قوله: - بلى كل سعد ليلة النحس ذابح – بقول ابن بسَّام أو وارده، قال ابن بسَّام في سعد حاجب الوزير الخاقاني:

يا حاجب الوزراء إنَّك عندهم سعد ولكن أنت سعد الذابح»[٢٨]

وأقرن التجيبي بين الصبِّ على القالِب والموارِدة في قول أبي الحسن الربعي:

وما طمَعُ الإنسان إلاّ مذَلَّة ومَن قَنع استغنَى وإن لم يَنَلْ وَفْرَا

وبعضُ الرجال كلَّما زاده الغنى غنىً زاده بالحرص في نفسه فقرا

صَبَّ أبو الحسن على قالِب أبي العتاهية هذا البيت الثاني من بيته ووارده في قوله:

أرَى صاحبَ الدنيا بها حيثما أمَّا إذا ازداد مالًا زاده مَـــاله غَمَّا»[٢٩]

«وذكر ابن خلكان قول ابن حمديس:

رفعت لساني بالقيامة قد دنتْ فهذي الجبالُ الراسيات تسيرُ

وقد ألمَّ في البيت... بقول عبد الله بن المعتز في مرثيته للوزير أبي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب:

قد استوى الناس ومات الكمالْ وقال صَرْفُ الدهر:أين الرجالْ

هذا أبو القـــاسم في نَعْشِهِ قوموا انظروا كيف تزول الجبالْ[٣٠]

ومن الإيماء إلى المعنى في قول المتنبي في صفة جيش:

ورب جـواب عن كتاب بعثته وعنـوانه للنـاظرين قتـام

وقد أومأ إلى هذا المعنى أبو الحسن ابن الخيَّاط فيما أنشدنيه لنفسه من قصيدة ...».[٣١]

وجاءت الإشارة إلى الأخذ من الشاعر ذاته القائل في المعنى كما ورد في قول أبي الحسن الربعي «في مدح انتصار الدولة وابنه من قصيدة:

عَلِّقْ رجاءك بالحُسيـــن وبابنه إنَّ العلائق بالـــكِرام أواصرُ

واعلَمْ بأنك إن غزوتَ نَدَاهما بِلواء مدحهما فإنَّـــكَ ظافر

وقال أبو الحسن هذا المعنى عندي من عجز بيت أبي تمَّام:

إذا ما أغارُوا فَاحْتَووا مالَ معشرٍ أغارت عليهم فاحتوَتْهُ الصنائِعُ»[٣٢]

٣- قضيّة الطَّبع:وردت الإشارة إلى هذه القضية بوصفها مزيَّة تحسب للشعراء الصّقليّين من نحو ما ورد لأبي محمَّد الأنصاري الـ «متصرِّف في فنون

الشِّـعر كما هو مُلَقَّى على لسـانه فهو يجري مع نفسـه جَرْيَ الزّلال الرّضراض، ولو مُزِجَ شـعره بشـعر أبي العتاهية، لم يفرّق بينهما إلاَّ من كان راوية»[٣٣]، ومن الحقل الأدبي نقرأ في ذكر محمَّد بن سـدوس الصقلي:«وكان النظم والنثر طوع عنانه»[٣٤].

ومن الجدير بالذكر في هذا الإطار تأشير القصور في القدرة الشعريَّةإذ ورد أن «لبعضِ شُـعراء المجلس العالي – ثَبَّتَ اللّه سـلطانهُ- في ملك غانة، لما وصَـل مصـر يريد الحجّ، وقد شـاهد أهل مملكة مولانا ماناله من الحِبَاءِ الذي سَـهَّل حجَّهُ، والعطاء الموضّح له سبيل مرادِه ونهجه:

كذا يجيبُ دُعَـاءَ اللهِ من عَـرَفَهْ من غَانةٍ غايةِ الدُّنيا إلى عَرَفَهْ

ولما اجتمع الملك به طالبَهُ بعمل ثانٍ فذكَرَ قُصورَ قدرتهِ عنه»[٣٥].

المبحث الثاني: النقد الانطباعي

هنالـك العديدمن المظاهر المألوفةللنَّقد الانطباعي في هذا الحقل،ولم يفلح بعضـها في الخـروج من هذا الإطـار على الرغم مـن الارتباط ببعض القضـايا النقديـة والبلاغية والبنائية والغرضـية، من ذلك التعلُّق بـ (المعنى / الصـحيح والمبنى / القويم) في الشـعر نقرأ في ذكر ابن السوسي:«وله شعر صحيح المعنى، قويم المبنى»[٣٦].

ومن الالتفات إلى الشَّـكل البنائي (المقطعات العجيبة)، ورصـد فن التَّشبيه البلاغي(المصيب) نقرأماجاء للوزير ابن دابق: «وله مع ذلك مقطَّعات عجيبة، وتشبيهات مصيبة»[٣٧].

ومنـه في غرض الوصـف في قـول أبي الحسـن الرّبعي نقـرأ: «ومنه أيضًـا مـا ملَّح فيه وشـبَّه الماء في حين اجتماعه في الجدول بالسَّـيف وفي اسـتقراره في البِرْكة إذا ضـربته الرّيح بالدّرع، وأوجز فيه وأحسـن كل الإحسان،فقال ووصف

عين ماءٍ جُلبت إلى بِركة بدار الإمارة:

حتى استقرَّت لـــديه في قرارتها ثم استمرَّت بـه في مَرمرٍ سَـــــرِبِ

لهاعلىالجمـــــعوالتفريقأمثلة في الدرع مسرودةً والسَّيف في الشُّطُبِ

وهذا إن لم يكن أبو الحسـن أخذه من الصَّـنَوبري فقد أحسـن مواردته فيه قال الصنوبري:

بـرَكٌ تُوصـــف الجواشن فيها وســواقٍ تسيل سَيل السيوفِ

يُرعَد الماء فيه خـــوفًا إذا ما لَمَسَتْه يد النسـيم الضعيفِ[٣٨]

ومـن التَّنبيـه على تطـرق الشـعراء إلى الغرض الوصـفي، واختيار مليح ما قيل فيه على وجه المعاصـرة نقرأ «وقد تعاور الشُّعراء وصف وقوع الشُّعاع على صـفحات الماء، ومن مليح ما قيل فيه قول بعض أهل العصر وهو أبو الحسن علي بن أبي بشر الكاتب:

شربنا مَعْ غروبِ الشَّمس شمسًا مشعشعةً إلـــى وقـــتِ الطلوعِ

وضوءُ الشمسِ فـــوق النيلِ بادٍ كأطراف الأسنَّـــــة في الدروعِ»[٣٩]

يشـير النَّص في أعلاه إلى أن من مظاهر النقـد الانطباعي الذوقيّة اختيار (أحسن /أبدع) ما لدى الشاعر المصاحب للتقديم له في المصنَّفات القديمةعلى نحو مألوف[٤٠]ومن مظاهره الشـكليَّة قيامه على نظام السَّـجع والتَّقفية من نحو مـاورد في ذكـر أبي عبد الله الفقيه «وقد أورد من شـعره ما يهز أعطاف القلوب مراحًا، ويدير على الأسماع من الرحيق المختوم راحًا»[٤١].

وقـد ارتبط هـذا الجانب ببعض الأغراض الشـعريَّة من نحو الغـزل[٤٢] والمراثي، ومنها لأبي عبد الله الفقيه «وله من المراثي ما يحل للقيام حبى المستمع الجاثي، فمنه قوله من قصيدة طويلة:

عـزَّالـعـزاءُ وجـلَّ الـبـيـنُ والجـزعُ وحلَّ بالنفس منه فوقَ ما تَسَعُ»[٤٣]

ومن الاسترسـال في هذا الأسـلوب القائم على التزام السَّـجع نقرأ في ذكر ابـن الثيري:«وأورد من شـعره ما يروع ويروق، ويضـوع ويفوق، ويطرب ويشـوق، وتحسده عقود العقيان والعيوق، وتصف مرحه ووهجه الرّحيق والحريق»[٤٤].

ومن آليات النَّقد الانطباعي قيامه على الموازنةبين النصـوص الحاضرة في هذا السياق،نقرأ لمجبر الصقلّي «يصف فوارة:

وفـــوّارةٍ يستـــمدّ السحـــا بُ من فضـــل أخـلافها المـحتلبْ
رأت حـــــمرةَ القـيظِ محـمرَّةً لها شـــررٌ كرجـــومِ الشـــهب
فظلَّتْ بهـــا الأرضُ تسقي السـما ءَ خوفًا علـى الجـــوّ أن يلتـــهب

أحسن ما قيل في الفوارة قول البُحتري:

وفـــوّارة مـاؤهـا في السـمـاءِ فليستْ تُقَصِّـرُ عـــن ثارها
تـــردُّ عـلـى المـــزنِ مـا أسبلت على الأرضِ من فَيْضِ مدرارها»[٤٥]

وجـاء الالتفـات المـوازن إلى القول القديم بفائدة ضـمنيَّة تحسـب لأبي العرب الصقلي أيضًا- على أساس مبدأ الجودة الشعرية- الذي «قال:

كأن فجاجَ الأرضِ يمناك إن يَسِرْ ها خائفٌ تجمعْ عـــليه الأناملا
فأنَّى يفـرُّ المرءُ عنـــــكَ بجرمِه إذا كان يَطْوِي في يديكَ المراحلا

ليس يخرج هذا في الجودة عن قول النابغة الذبياني:

فإنَّك كاللّيلِ الـذي هـو مـدركي وإنْ خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ»[٤٦]

الحصاد:

أسفرما سبق عن بيان الملمح النَّقدي للشِّعر الصقلي قديمًا،وأبرز ما فيه هو

توافر الجانب الموضوعي، والنمطيِّة الهادفة في التعامل مع النَّص الشِّعري من لدن المؤلفين القدامى الذين لم يؤلُوا جهدًا في الرَّصد والتتبع وتوظيف الآليات النقديَّة لهذه الغاية.

ويمكن القول إنَّ المشهد النقدي للشِّعر الصقليّ كان ذا فائدة كُبرى لو بقي ذلك الإرث النقدي للنّقّاد الصّقليّين وضمَّ إلى مجمل الجهود في هذا الحقل المعرفي وتيسَّر للدارسين، ولا سيَّما وأنَّ المصادر تشير إلى ضياع مؤلفاتهم في هذا المجال كما تشير إلى العديد من العلماء الصّقليّين الذين نبغوا في الشِّعر والنَّقد والأوزان والأعاريض كانوا على صلة وطيدة بمن حولهم ولاسيما بمعاصريهم من الشُّعراء والأدباء الصّقليّين، ومنهم من ترك آثاره في فضاء العمليّة النقديَّة التي هي جهد مشترك بين الصّقليّين وسواهم، ولاسيَّما الذين أفادوا من المؤلَّفات الأدبيّة والنقديّة الصقليّةآنذاك،فضلاً عن جهودهم النقدية في شريحة الشِّعر الصقلي.

الهوامش:

(١) الأصفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب /١، تح: محمَّد المرزوقي (باشتراك)، الدار التونسية للنشر، تونس، النشرة الثالثة، ١٩٨٦،٩٣. عبَّاس، د. إحسان،معجم العلماء والشعراء الصقليين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٤،٩٣. وينظر البيتان:يروي ضاحي الوجنات...:الأرجاني، ديوان، م٢، تقديم وضبط وشرح: قدري مايو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٨،١٥٨. وأبو الحسن علي بن الحسن بن الطوبي إمام البلغاء، وزمام الشعراء، مؤلف دفاتر، ومصنف جواهر، ومقلد دواوين، ومعتمد سلاطين رحل إلى المشرق، وكان في زمان المعزّبن باديس. ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب /١: ٩٣.

(٢) التجيبي، أبو طاهر، المختار من شعر بشَّار / اختيار الخالديين، تح: السيِّد محمَّد بدر الدين العلوي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (د.ت)، ٣٣٨. والبيت:لايرحل... ابن الوليد، مسلم، شرح ديوان صريع الغواني، تح: د. سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط٣، (د. ت)، ٢٢٣. أبو الحسن علي بن محمَّد بن علي الربعي المعروف بابن الخياط، أطنب في الثناء عليه من طريقة الشعر والأدب ابن القطاع، وهو أحد أعلام الشِّعر. ينظر:عباس،مصدر سابق،١٢٨.

(٣) ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تح: إبراهيم الأبياري (باشتراك)، دار العلم للجميع، بيروت، (د.ت)، ٥٥.ابن حمديس، ديوان تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ت).٨٢. وفيه:في غير صباح.

(٤) التجيبي،مصدر سابق، ٦٢.

(٥) الشنتريني، ابن بسَّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤م١، تح: د. إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ٣١-٣١٤ عباس،مصدر سابق، ٢١٦-٢١٧.أبو عبد الله محمَّد ابن علي بن الصباغ الكاتب الأديب الشَّهير، كان في عهد ابن رشيق، وبينهما مراسلات ذكر انه ناظم ناثر. ينظر: الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٠٨. الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٨٣.

(٦) التجيبي، مصدر سابق، ١٤٧.عباس،مصدر سابق، ١٤٢.

(٧) ينظر:الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٢٣.والتجيبي، مصدر سابق، ١٧٢.

(٨) الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٠٦-٣٠٨.وبيت المتنبي،البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر، ٢٠١٤،١٨٦ وفيه: ولكنك الدنيا، وعنك بدلًا عن منك. الأديب أبو العرب مصعب بن محمَّد بن أبي الفرات من أهل صقلية ومن شعراء المعتمد ابن عبَّاد، كان عالمًا بالآداب مفننًا شاعراً مفلقًا (٤٢٣- ٥٠٦ه). ينظر:الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٠١. الأصفهاني، مصدر سابق،قسم شعراء المغرب والأندلس / ٢، تح:آذرتاشآذرنوش، نقَّحه وزاد عليه: محمَّد العروسي المطوي (باشتراك)، الدار التونسية للنشر، تونس ط٢، ١٩٨٦، ٢١٩.البلنسي، ابن الأبَّار، التكملة لكتاب الصلة، ج٢، تح: د. عبد السَّلام الهراس، دار الفكر،بيروت،١٩٩٥، ١٨٩.

(٩) مصدر سابق، ٦٠.

(١٠) مصدر سابق،٦٣.

(١١) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٥٥، عباس،مصدر سابق، ٨٨. علي ابن جعفر المعروف بابن القطاع اللغوي النحوي الكاتب، قال الشِّعر صبيًا، من تصانيفه:كتاب تهذيب أفعال ابن القوطية في اللغة.كتاب شرح الأمثلة. كتاب الدرة الخطيرة في شعر أهل الجزيرة كتاب المجموع الأدبي (٤٣٣- ت في حدود ٥١٥) ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٥١.القفطي،جمال الدين،إنباه الرواة على أنباه النُّحاة، ج٢، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة (باشتراك)، ط١، ١٩٨٦، ٣٣٦-٣٣٧.

(١٢) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب والأندلس / ٢: ٢٢٢. عباس،مصدر سابق، ٢٤٣.

(١٣) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٥٦. عباس،مصدر سابق، ١٨٦.أبو عبد الله محمَّد بن الحسن ابن الطوبي صاحب ديوان الرسائل والإنشاء، ومن ذوي الفضائل البلغاء،

طبيب، مترسّل، ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٥٥.

(١٤) الرومي، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، تح:د.إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٦١٠،١٩٩٣.عباس مصدر سابق، ٧٩- ٨٠. عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الصقلي:أبو عمرو النحوي، كان من العلم بمكان نحوًا ولغة، له تواليف في القراءات والنحو والعروض، ومن مصنفاته الحاشية على كتاب الإيضاح، ومختصر عمدة ابن رشيق، وله كتاب مختصر في القوافي، وكتاب مخارج الحروف مختصر ينظر:السّلفي، أبو طاهر، معجم السّفر، تح: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ٢٤٤،١٩٩٣-٢٤٥. الرومي،مصدر سابق، ٤: ١٦٠٨ – ١٦٠٩.

(١٥) ابن الصيرفي، أبو القاسم، الأفضليات، تح: د. وليد قصَّاب، د. عبد العزيز المانع،مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢، ٦٤-٦٥. البيتان:لكَ اليومُ الذي ليسا في الدّمشقي، ابن حيوس، ديوان، تح: خليل مردم بك، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.البلنوبي، علي بن عبد الرحمن، ديوان، تح: هلال ناجي، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٦، ٥٢. أبو نواس، ديوان، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي بيروت (د. ت)، ٤٣٩. والشطر الثاني:ترى بأثباج القصر.

(١٦) ينظر المصطلح لطفاً: مطلوب، د. أحمد ،معجم مصطلحات النقد العربي القديم، عربي – عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١ ٢٠٠١، ٣٣٥.

(١٧) مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٢٦. عباس،مصدر سابق، ٣٨.أبو علي حسن بن واد الملقب بالغاون.ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٢٦.

(١٨) الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٢١-٣٢٢. ابن حمديس،مصدر سابق، ٢٠٥، وفيه غار بدلًا عن غاب.

(١٩) ابن الصيرفي، مصدر سابق، ١١٣.الصقلي، شعر مجبر (ت قبل ٥٤٠ه)، صنعة وشرح: د.عبدالرزاق حويزي، مجلة آفاق الثقافة والتراث مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ع ٨٩، مارس ٢٠١٥، ١٠٨.مجبر بن محمَّد بن عبد العزيز الصقلي(٤٦٤ –ت قبل ٥٤٠ هـ) من أهل الأدب البارع والشعر الرائع، من فحول الشعراء. ينظر: السّلفي، مصدر سابق، ٣٨١ -٣٨٢.الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء مصر/٢، نشره: أحمد أمين (باشتراك)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ٨٢.

(٢٠) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب/١: ٩١. عباس،مصدر سابق، ٢٣٥.

(٢١) التجيبي، مصدر سابق، ٣١٩.

(٢٢) ينظر المصطلح لطفًا: مطلوب، مصدر سابق، ٤١١.

(٢٣) الرومي،مصدر سابق ٤: ١٦٠٩-١٦١٠. عباس،مصدر سابق، ٧٩-٨٠.الآية الكريمة، الكهف: ٧٧. وينظر:امرؤ القيس، ديوان (القسم الأول رواية الأصمعي من نسخة الأعلم)، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، (د.ت)،٩.طرفة بن العبد، ديوان شرحه وقدَّم

له: مهدي محمَّد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢، ١٩.

(٢٤) ابن دحية، مصدر سابق، ٥٥-٥٦. ابن حمديس، مصدر سابق، باختلافات يسير في الرواية: ١٤٤، امرؤ القيس، مصدر سابق، ١٩.

(٢٥) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٦٠. عباس،مصدر سابق، ١٨٩.

(٢٦) ينظر:الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٣٨. ابن الصيرفي، مصدر سابق، ١١٧-١١٨. ابن خلكان، أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، م٣، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ٢١٣.

(٢٧) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء مصر/ ٢: ٨٦. الصقلي،مصدر سابق، ١١١.

(٢٨) التجيبي، مصدر سابق، ٧٦.

(٢٩) التجيبي، مصدر سابق، ١٩٨- ١٩٩.والبيت ليس في أبي العتاهية، ديوان، دار بيروت، بيروت، ١٩٨٦.

(٣٠) ابن خلكان، مصدر سابق ٣: ٢١٤. ابن حمديس، مصدر سابق، ٢٦٩ باختلاف في رواية عجز البيت.ابن المعتز، ديوان، دار صادر بيروت، (د.ت) ،٣٨٩.وعجز البيت الأول:ونادت الأيام أين الرجال.

(٣١) التجيبي، مصدر سابق، ٤-٥.البرقوقي،مصدر سابق، ١٢٢٢.

(٣٢) التجيبي، مصدر سابق، ١٧٤-١٧٥.التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمَّام، ج٢، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤، ٤٥٣.

(٣٣) عباس،مصدر سابق ٦١ -٦١. عبد العزيز بن عبد الرحمن:كاتب مبرَّز، وشاعر مفلق، كان يشبَّه بأبي العتاهية. ينظر:النيفر، محمَّد عنوان الأديب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ٣٧١.

(٣٤) القفطي،إنباه الرواة ٣: ١٥٠.القفطي،جمال الدين،المحمدون من الشعراء وأشعارهم، تح: حسن معمري، جامعة باريس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٧٠، ٣٣٩. عباس،مصدر سابق، ٢٠٥. جاء فيها: محمَّد بن سدوس أبو عبد الله النَّحوي الكاتب، برع في النَّحو على أهل زمانه. وينظر:القفطي،إنباه الرواة ٣: ١٠٧. عباس،مصدر سابق، ١٨٤ -١٨٥.

(٣٥) ابن الصيرفي، مصدر سابق، ٢٥٩-٢٦٠. في الحاشية:مجبر بن محمَّد الصقلِّي.والبيت في: الصقلِّي،مصدر سابق، ١١٤.

(٣٦) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٤٦. عباس،مصدر سابق، ٧٤. عثمان ابن عبد الرحمن ابن السوسي، قرأ على أبيه الأدب نيَّف على السَّبعين. الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٤٦.

(٣٧) عباس،مصدر سابق، ٦٠.

(٣٨) التجيبي، مصدر سابق، ٣١٩.عباس،مصدر سابق،١٣٧-١٣٨.

(٣٩) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب / ١: ٦. عباس،مصدر سابق،١١١. البيتان:البلنوبي، مصدر سابق، ٥٣-٥٤.

(٤٠) ينظر:الحميدي، أبو عبد الله، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح: بشَّار عواد معروف (باشتراك)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١ ٢٠٠٨، ٣٢٠. السَّبتي، القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج٨، تح: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١١٥، ١٩٨٣. الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب والأندلس / ٢: ٢٢١. عباس،مصدر سابق، ١٩، ٤٧.

(٤١) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب١/: ٣٤. عباس،مصدر سابق، ٢٢٤.أبو عبد الله محمَّد بن عيسى بن عبد المنعم الفقية: كاتب شاعر، بارع ماهر، مهندس منجِّم، مذكور بين الحكماء. الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب١/: ٣٤.القفطي، جمال الدين إخبار العلماء بأخبار الحكماء، علَّق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ٢١٨.

(٤٢) ينظر: الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب/١: ١٧، ٢٧. عباس،مصدر سابق، ٢٨، ١٥٩.

(٤٣) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب/١: ٣٨. عباس،مصدر سابق،٢٢٧.

(٤٤) عباس،مصدر سابق، ٢٣٢.

(٤٥) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء مصر / ٢: ٨٩. عباس،مصدر سابق،١٧٧. البيتان:البحتري، ديوان، ج٥، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط٣، (د.ت). ٢٥٨٤. وأبيات مجبر: ابن الصيرفي، مصدر سابق، ١١٧ -١١٨ جسرة بدلًا عن حمرة، الصقلي مصدر سابق، ١٠٦.

(٤٦) الأصفهاني، مصدر سابق، قسم شعراء المغرب والأندلس / ٢: ٢١٩. عباس،مصدر سابق، ٢٤١. وينظر: البيت:فإنك... الذبياني النابغة، ديوان، (صنعة ابن السكيت)، تح: د. شكري فيصل، دار الفكر،بيروت، ١٩٦٨، ٥٢. ينظر:الشنتريني، مصدر سابق، ق٤م١: ٣٠٦.

مصادر الهَمْداني عن قبيلة حرب

كتبه/ سلطان بن نواف الحربي

تمهيد:

تُعد شخصية الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني[١] من أهم الشخصيات التي اعتمد الباحثون عليها في تاريخ وجغرافية جزيرة العرب[٢]. فهو من أعيان مطلع القرن الرابع الهجري[٣]، وألّف في تاريخ وجغرافية الجزيرة العربية عددًا من الكتب التي عدّها كبار المؤرخين والبلدانيين العرب من أهم وأجل ما كُتب في المجالات المتعلقة بجزيرة العرب[٤]، ومنها كتاب (الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير)، وقد تطرّق الهَمْداني في هذا الكتاب إلى تاريخ القبائل اليمنية وأنسابها، فنجد ذلك جليًّا في ذكره قبيلة حِمْير في الجزء الأول والجزء الثاني، وأيضًا ذكره قبيلة هَمْدان في الجزء العاشر من هذا الكتاب. وقد أفاد العلماء في مجالي التاريخ والبلدانيات كثيرًا من مؤلف الهَمْداني هذا طوال القرون الماضية[٥]، فكان مرجعهم الأول في حديثهم وبحوثهم عن تاريخ القبائل اليمنية وأنسابها[٦]؛ يقول شيخ حفّاظ الحديث في عصره الإمام عبدالغني الأزدي عن عِلم الهَمْداني في الأنساب: «عليه المعوّل في أنساب الحِمْيَريين»[٧]. وفي وقتنا المعاصر يُعدّ كتاب «الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير» من أهم المصادر التي استفاد منها الباحثون والمهتمون في تاريخ القبائل اليمنية[٨]. وتحديدًا قبيلة خولان ابن عمرو القضاعيّ، التي تُنسب إليها قبيلة حرب في الحجاز ونجد. وقد

استفاد من هذا المصدر مؤرخون وباحثون من قبيلة حرب[٩] في معرفة نسبها، كما أنّهم نقلوا أخبار نزولها واستقرارها في منطقة ما بين الحرمين الشريفين في الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين.

وهذه ورقة بحثية عن مصادر الهَمْداني في كتابه (الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير). عندما تحدث عن نسب قبيلة حرب وأخبارها في الحجاز مطلع القرن الرابع الهجري. وستجري دراسة نصوص الإكليل المعنيّة في هذا البحث من مخطوط الجزء الأول من كتاب الإكليل في مكتبة برلين الحكومية، ومن النسخة المطبوعة من الجزء الأول لكتاب الإكليل التي حقّقها القاضي محمد بن علي الأكوع[١٠] طبعة عام ٢٠٠٨م، وأيضًا من النسخة المطبوعة من الجزء الأول لكتاب الإكليل التي حققها العالم أوسكار لوفجرين[١١] عام ١٩٥٤م. وعليه يجدر إيضاح الطريقة التي جرى بها اعتماد الأصل في هوامش هذه الورقة البحثية عند النقل من كتاب الإكليل، حيث سيكون الأصل هنا هو النّصوص التي حقّقها الأكوع، ومقابلتها بالنّصوص التي حققها أوسكار، وإن وُجِد اختلافٌ بين النّصوص التي حققها الأكوع مع النصوص التي حققها أوسكار سنستعين بالنصوص التي في المخطوطة ونجعلها هي الأصل.

وفي البداية ننوّه عن مصادر الهَمْداني في كتابه الإكليل، حيث أكدّ الهَمْداني في مقدمته للجزء الأول من كتابه الإكليل أنه اعتمد عند روايته للأنساب والأخبار على نوعين من المصادر، مصدر مكتوب وهي السجلات المتوارثة والزّبر والمسانيد المنقوشة[١٢]، والنوع الثاني المصدر التقليدي أي الأخذ من أفواه الرّواة، رواة عصره[١٣]. وفي هذا البحث سيكون التركيز فقط على مصادره في روايته لنسب قبيلة حرب وأخبارها في الحجاز[١٤].

المصادر المكتوبة:

اعتمد الهَمْداني في روايته لنسب حرب وأخبارها في الحجاز على أربعة

مصـادر كتابية هي: سجل ابن أبان الخنْفَري[١٥]، سجل خولان[١٦]، سجل صعدة و سـجل الهميسـع بن حِمْـير[١٧]. فمن هـذه السـجلات الأربعة أخـذ الهَمْداني نسـب خولان بن عمرو القضـاعي وقام بتعداد بنيه، ومنهم سـعد بن الملك سعد ابن خولان[١٨]. ومن سـجل خولان و سـجل صـعدة نقل الهَمْداني أنسـاب وبطون حرب بن سعد بن الملك سعد بن خولان[١٩]، و أيضًا من سجل خولان وسجل صعدة نقل الهَمْداني كذلك بقية فروع حرب التي في الحجاز غير فروع زياد بن سـلمان ابن الفاحش بن حرب وهي فروع عامر بن حرب وحظي[٢٠]، ومن سجل صعدة نقل الهَمْداني سبب هجرة قبيلة حرب وتاريخ هذه الهجرة من اليمن إلى الحجاز[٢١].

الرواة:

رواة الهَمْـداني عند حديثه في الجزء الأول من كتابه الإكليل عن قبيلة حرب في الحجاز هما الأمير أبو جعفر إبراهيم بن إسماعيل بن العباس المحابي، وابنه عالم الأنسـاب محمد بن إبراهيم بن إسـماعيل المحابي،و أسرة آل المحابي بفتح الميـم والحـاء المهملة بعدها ألف وباء موحدة وياء مثنـاة من تحت، من حِمْير ثم من الكَلَاع، وإليهم تنسـب المحابية[٢٢]، قرية من قرى الجعاشـن في مديرية ذي سُـفَال وأعمال محافظة إب[٢٣]. وقد يظنهم من لا معرفة له بالأنساب والبلدان، أنهـم المخائـي بالخـاء المعجمة بعد الميـم ثم ألف وهمـزة وياء، نسـبة إلى المخا الثّغـر المعـروف. وقد تسـرّب هذا الوهم بالتصـحيف إلى كثـير، كما في طبقات ابن سـمرة، وشـفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسـي[٢٤]. وكان لهم شـهرة وصيت ورياسة[٢٥]، ورياستهم قديمة بسبب جهادهم للقرمطي أيام الحوالي[٢٦].

الأمير أبو جعفر إبراهيم بن إسماعيل بن العباس المحابي:

أول أمـراء مخـلاف جعفر بعـد إنهاء حكـم القرامطة فيه، وكانـت إمارته عـام ٣٠٤هـ[٢٧]،ومخـلاف جعفـر هو مايسـمى اليـوم بالعُدَيـن وإب والمُذَيخرة والسُّحول[٢٨]،وفي إمارةإبراهيم المحابي نقل أسعد بن أبي يعفر الحوالي[٢٩]إدارة

مخلاف جعفر من حصن المُذَيخرة إلى حصن التّعكَر[٣٠]. و التّعكَر بتشديد التاء وسكون العين، جبل في العُدَين (الكَلَاع) تقع في سفحه الشمالي مدينة جِبلَة ومن جنوبه مدينة ذي السُفَال، يبلغ ارتفاعه نحو ٣٠٠٠ متر من سطح البحر. قال القاضي محمد بن علي الأكوع: التّعكَر أشهر جبال اليمن وأبعدها صِيتًا، وأمنعها حَصانة، وأعلاها شموخًا، وهو خزانة الملوك،وحافظ مهجها من غارات المغيرين وعاديات الأيام[٣١].

ونقل الهَمْداني عن الأمير أبي جعفر إبراهيم المحابي تفاصيل عن يوم الرّغَامة[٣٢] الذي رواه ابنه محمد للهَمْداني[٣٣]، حيث أضاف الأمير أبو جعفر المحابي لرواية ابنه محمد سبب وقوع يوم الرّغَامة، بأن هناك معركة قد سبقتها وهي يوم الحَرّة[٣٤] بين بني عمرو بن زياد وقبيلة بني سُلَيْم[٣٥]، وقُتل من قبيلة بني سُلَيْم ٧٠ رجلاً، وقُتل من بني عمرو بن زياد جماعة منهم أربعة من أبناء محمود؛ هم: محمد وأحمد والحسن والحسين[٣٦]، ليُصَبّحهم محمود في يوم الرّغَامة، ويقتل من قبيلة بني سُلَيْم ١٠٠ رجل، وفي تلك المعركة كانت عمائم رجال قبيلة بني سُلَيْم خزّ زُرق، وبعد هذه المعركة لم يلبس سُلَميٌّ عمامة زرقاء[٣٧]. وذكر الأمير أبو جعفر إبراهيم المحابي يوم آخر لقبيلة حرب في الحجاز، وهو يوم شرف الأُثاية، حين سار إلى حرب أميرُمكة ابن ملاحظ[٣٨]، فقتلت حربٌ أصحابَهُ وأسرتْه، فأقام ابن ملاحظ عند حرب مدّة، ثم منّوا عليه وأطلقوا سراحه[٣٩].

وقد روى الهَمْداني في الجزء الثاني من كتابه الإكليل عن أبي جعفر إبراهيم المحابي، حين نقل عنه قصيدة الأعشى في ذي فايش الأصغر[٤٠].

محمد بن إبراهيم بن إسماعيل المحابي:

عالم في الأنساب سَمِع منه الهَمْداني وروى عنه[٤١]، وهو أحد أبناء أمير مخلاف جعفر؛ الأمير أبو جعفر إبراهيم بن إسماعيل المحابي. حدّث الهَمْداني

بأنـه جاورقبيلـة حرب في الحجاز عام ٣٢٢هـ[٤٢]، وقال إنه نزل على سـيّد بني حرب؛ محمود بن علي بن عمرو[٤٣]، ثم ذكر محمد المحابي نسـب محمود، وعدَّد فـروع قبيلـة حـرب في الحجاز،فذكر فروع زياد بن سـلمان[٤٤]، وهـم بنو عمرو وزُبَيْـد وبنوالسَـفَر[٤٥].ثم عدَّد فروع بني عمرو[٤٦]، ثم تحـدّث عن زُبَيْد وقال أن عددهم زهاء ٣٠٠[٤٧]، وذكر سيد زُبَيْد وهو أبو الحسين يحيى الزُّبَيْدي[٤٨]، وذكر مصاهرة آل يحيى الحسينيين وأبي الحسين يحيى الزُّبَيْدي[٤٩]، ثم ذكر سيّد بني السَّفَر واسمه المُسَلّم[٥٠]. ثم عدَّد محمدُ المحابي أبناء محمود وكذلك أصهاره من الحسـينيين[٥١]، بعدها تحدّث محمد المحابي ناقلًا عن موالي بني حسن أحداث يـوم الرَّغَامـة[٥٢]، ثم عـاد محمد المحابي واسـتكمل تعداد ذريّـة محمود، حيث ذكـر أحفاد محمود من أبنائه الذين قتلوا[٥٣]، وأكمل تعداد بقية أصـهار محمود من الحسـينيين، وذكر أن من أصهاره من ذرية عمر بن الخطاب[٥٤]-رضي الله عنـه- ليختم محمد المحابـي كلامه للهَمْداني بالحديث نقـلًا عن محمود أخبار قبيلة حرب حين وصـلت إلى الحجاز[٥٥]، وذكر محمد المحابي أنّه وبعد سـيطرة قبيلةحرب على البـلاد مابين مكة والمدينة، تعلَّقت قريش بمصـاهرة حرب[٥٦]، وكان لقبيلـة حـرب خفارة الطّريق ما بين مكة والمدينـة[٥٧]، وقال محمد المحابي أن الخليفة العباسي المقتدر بالله كان يبعث بمال خفارة الطريق طوال حياته إلى حرب[٥٨].

ونجـد أن الهَمْـداني في الجزء الثاني من كتابه الإكليل قد روى أكثر من مرة عن محمد بن إبراهيم المحابي، حيث نقل عنه قصـيدة لعلقمة بن ذي جدن[٥٩]، وقصيدة تُبّع الأصغر في بني السُّلُف[٦٠].

ومن مشـاهير أسـرة آل المحابي، أبو يعقوب إسـحاق بـن إبراهيم المحابي؛ أمير الكلاع أيام أسـعد الحـوالي[٦١]، وكان أمير مخلاف جعفـر بعد وفاة والده أبـي جعفـر إبراهيم بن إسـماعيل المحابي حتى عـام ٣٤٢هـ[٦٢]، وتـوفي في أول

سـنة ٣٤٤هـ[٦٣]. ومن آل المحابي عدد مـن الفقهاء؛منهم: أبو عبدالله جعفر بن عبدالرحيـم المحابـي، وقيل جعفر بـن أحمد بن محمد بـن عبدالرحيم المحابي ثـم الكلاعي[٦٤]، عالم مبرّز في فروع الفقه وأصـوله، انتهت إليه رئاسـة الفتوى في ناحيتـه، وتـوفي بقرية الظّرافـه في وادي نخلان عام ٤٦٠هـ، مـن آثاره كتاب التقريب في الفقه وكتاب الجامع في الخلاف[٦٥]. ومنهم الفقيه أبو بكر بن جعفر بـن عبدالرحيـم المحابي، عالم مبرز في الفقه، انتهت إليه رئاسـة العلم باليمن، أخذ عنه جمع كبير لا يكاد الحصر يدركهم، توفي سنة ٥٠٠ هـ[٦٦].

المصادر والمراجع:

- الإكليـل من أخبار اليمن وأنسـاب حِمْير، الجـزء الأول، للهَمْداني، مخطوط مكتبة برلين الحكومية.
- الإكليـل من أخبار اليمن وأنسـاب حِمْير، الجزء الأول، للهَمْداني، تحقيق أوسـكار لوفجرين طبعة ١٩٥٤م.
- الإكليـل من أخبار اليمن وأنسـاب حِمْـير، الجزء الأول، للهَمْـداني، تحقيق محمد ابن علي الأكوع طبعة ٢٠٠٨م.
- الرسـائل المتبادلة بين الشـيخ ابن باز والعلماء، محمد بن موسـى الموسـى و محمد ابن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- السـلوك في طبقات العلماء والملوك، للجَنَدي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
- أنباء الزمن في أخبار اليمن، يحيى بن الحسـين بن المؤيد، تصحيح محمد عبدالله ماضي.
- تاريـخ اليمـن الإسـلامي، أحمد المطاع، تحقيـق عبدالله محمد الحبشـي، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ١٤٠٧هـ.
- تاريخ صنعاء، للطبري الصنعاني، تحقيق عبدالله محمد الحبشي.
- تبصـير المنتبه بتحرير المشـتبه، ابن حجر العسـقلاني، تحقيق محمد علي النجار

وعلي محمد البجاوي، طبعة المكتبة العلمية.
- رافضة اليمن على مر الزمن، لأبي نصر محمد بن عبدالله بن الإمام، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
- سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق سهيل زكار، ١٣٩٢هـ .
- صفة جزيرة العرب، للهَمْداني،تحقيق محمد بن علي الأكوع،الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- طبقات فقهاء اليمن، للجعدي، تحقيق فؤاد سيد.
- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .
- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون،لإبن الديبع، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، للحمادي المعافري، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى ٢٠١٤م .
- معجم البلدان والقبائل اليمنية،للمقحفي، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
- مقالة الدكتور إحسان النص، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٦٩، الجزء٤.
- مقالة الدكتور مقبل التام عامر الأحمدي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٨٢ ، الجزء ٢ .

الهوامش

(١) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني، لقّب نفسه بلسان اليمن، ولد سنة ٢٨٠هـ وتوفي بعد سنة ٣٦٠هـ ، فيلسوف وعالم في النسب والجغرافيا وشاعر، له مؤلفات عظيمة في التاريخ والجغرافيا، منها كتاب صفة جزيرة العرب وكتاب الإكليل. للتوسع أكثر انظر ترجمة علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر للهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب ص٦-٣٦.

(٢) المرجع السابق. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٦٩ (٦٣١/٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) مجلة العرب سنة ٣٠ الجزء١ و٢ من ص٦٧ . تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ص١٣٨٧ .

(٨) مثل محمد الحجري في كتابه مجموع بلدان اليمن وقبائلها، وكذلك إبراهيم المقحفي في كتابه معجم البلدان والقبائل اليمنية

(٩) مثل حمد الجاسر في كتابه بلدة البرود، و عاتق البلادي في كتابه نسب حرب، وفائز البدراني في كتابه فصول من تاريخ قبيلة حرب في الحجاز ونجد.

(١٠) اقرأ ما قاله الإمام والعالم الرباني الشيخ ابن باز عنه في كتاب الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء ص٢١ .

(١١) أوسكار أندرس فالفريد لوفجرين، مستشرق سويدي، أستاذ في اللغات السامية، درّس في جامعة جوتنبرج في عام ١٩٥١م، وفي عام ١٩٥٦ انتقل إلى التدريس في جامعة أوبسالا، حقق العديد من المخطوطات الأثيوبية والعربية الجنوبية، توفي سنة ١٩٩٢م، وبموجب إتفاقية أبرمها مع دار النشر Brill Editore في لايدن بهولندا عام ١٩٨٧م انتقلت ملكية مكتبته الخاصة إليها بعد وفاته .

(١٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد٨٢(٢/٣٠١).

(١٣) الإكليل(١/٦٠-٦٥).

(١٤) الإكليل(١/٢٦٦-٢٧٢).

(١٥) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد٨٢(٢/٣٠٤-٣٠٨). محمد بن أبان بن ميمون الحِمْيَري، شاعر وفارس من نسل معاوية بن صيفي ابن حِمْيَر، سيد بني خَنْفَر الحِمْيَريين في صعدة، ثار على معن بن زائدة الشيباني الذي تولى اليمن سنة ١٤٠هـ، توفي محمد بن أبان الخَنْفَري في صعدة سنة ١٧٥هـ وعمره ١٢٥ سنة. للتوسع أنظر المحمدون من الشعراء ص١٣٦، قصة الأدب في اليمن ص٢٤٤ و ص٢٩٣، الأعلام لخير الدين الزركلي الجزء الخامس ص ٢٩٣.

(١٦) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد٨٢(٢/٣٠٩-٣١١).

(١٧) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد٨٢(٢/٣١٢-٣١٥).

(١٨) الإكليل(١/١٩٥-١٩٨).

(١٩) الإكليل(١/٢٦٦).

(٢٠) الإكليل(١/٢٦٨).

(٢١) الإكليل(١/٢٧٢).

(٢٢) نقل بتصرف الإكليل(١/٢٦٧).

(٢٣) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٤).

(٢٤) نقل بتصرف الإكليل(٢٦٧/١)، والتصحيف كذلك نجده في كتاب سيرة الهادي إلى الحق ص٤٠٣، وفي كتاب طبقات فقهاء اليمن ص١٠٥، وكتاب رافضة اليمن على مر الزمن ص٢٢٢.

(٢٥) معجم البلدان والقبائل اليمنية(١٤١٤/٢).

(٢٦) طبقات فقهاء اليمن ص١٠٥، والمقصود بالحوالي هو الأمير أبي حسان أسعد بن أبي يعفر الحوالي.

(٢٧) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص١٦٩ ، أنباء الزمن في أخبار اليمن ص٦٣ ، سيرة الهادي إلى الحق ص٤٠٣-٤٠٤، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص١٥١، غاية الأماني أخبار القطر اليماني ص٢٠٩ ، رافضة اليمن على مر الزمن ص٢٢٢ .

(٢٨) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٣٣٧/١).

(٢٩) الأمير أبو حسان أسعد بن إبراهيم بن محمد بن يعفر بن عبدالرحمن بن كريب الحوالي، أشهر حكّام الدولة اليعفرية الحوالية، ودام حُكمه قرابة الثلاثين عام، قلده الخليفة العباسي المقتدر بالله ما بين عدن جنوبًا إلى ما وراء البون شمال صنعاء، وهو الذي أمر بسجن الهَمْداني سنة ٣١٩هـ، توفي رحمه الله سنة ٣٣٢هـ.

(٣٠) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ص١٦٩ ، أنباء الزمن في أخبار اليمن ص٦٣ ، سيرة الهادي إلى الحق ص٤٠٣-٤٠٤، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ص١٥١، غاية الأماني أخبار القطر اليماني ص٢٠٩ ، رافضة اليمن على مر الزمن ص٢٢٢ .

(٣١) نقل بتصرف معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢٣٣/١).

(٣٢) الرّغَامة تقع شرقي جدة، عسكر فيها الملك عبدالعزيز-طيب الله ثراه- وجيشه عندما حاصر جدة، وامتد إليها في الوقت الحاضر عمران مدينة جدة. انظر معجم معالم الحجاز ص٦٩٩ .

(٣٣) الإكليل(٢٦٩/١).

(٣٤) المعروفة قديمًا بحَرّة بني سُـلَيم، حَرّة عظيمة ممتدة من نخلة الشامية قرب مكة إلى أن تفترق عن المدينة المنورة. انظر معجم معالم الحجاز ص٤٣٨.

(٣٥) الإكليل(٢٧٢/١).

(٣٦) المرجع السابق.

(٣٧) المرجع السابق.

(٣٨) هو محمد بن ملاحظ بن عبدالله الرومي، قائد يمني، تولى إمارة مكة عام ٣١٠هـ، وظل فيها إلى أن قتله القرامطة عام ٣١٧هـ. شاهد أخباره في كتاب تكملة تاريخ الطبري للهمذاني المقدسي، وكذلك كتاب تاريخ أمراء مكة المكرمة تأليف عارف أحمد عبدالغني.

(٣٩) المرجع السابق.

(٤٠) الإكليل(٢/١٦٠).

(٤١) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٥).

(٤٢) الإكليل(١/٢٦٧).

(٤٣) المرجع السابق.

(٤٤) الإكليل(١/٢٦٨).

(٤٥) المرجع السابق.

(٤٦) المرجع السابق.

(٤٧) المرجع السابق.

(٤٨) المرجع السابق.

(٤٩) المرجع السابق.

(٥٠) المرجع السابق.

(٥١) الإكليل(١/٢٦٩).

(٥٢) المرجع السابق.

(٥٣) الإكليل(١/٢٧٠).

(٥٤) المرجع السابق.

(٥٥) المرجع السابق.

(٥٦) الإكليل(١/٢٧١).

(٥٧) المرجع السابق.

(٥٨) المرجع السابق.

(٥٩) الإكليل(٢/٢٢٥).

(٦٠) الإكليل(٢/٢٤٩).

(٦١) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٥).

(٦٢) طبقات فقهاء اليمن ص١٠٥.

(٦٣) تاريخ صنعاء ص٨٦ .

(٦٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك ص٢٣٣-٢٣٤ .

(٦٥) معجم البلدان والقبائل اليمنية(٢/١٤١٥).

(٦٦) المرجع السابق.